وأنشدني من لفظه لنفسه المولى القاضي شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني من لفظه لنفسه المولى زين الدين عمر بن الوردي وأنشدنيه فيما بعد اجازة ونقلته من خطه

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر
مناهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

(المعنى) صحت بالحظ وطابت اقباله لو أني ناديت من يسمعني لأن الحظ اشتغل عني بالجهال وهذا ينظر الى قول عبد الرحمن بن الحكم

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

والصحيح أن الحظوظ لا تعلل فما وجدانها وعدمها باستحقاق من الطرفين بل الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب قال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قلت نعم آمنت وصدقت انه لا ينفع ذا الجد منه الجد ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى اذ سبحانه وتعالى هو فعال لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم أن الحظوظ أمور يقدرها الله ويقضيها وقضاؤه وقدره لا يعللان على الصحيح لانه لو كان ما يوجده معللا بعلة لكانت تلك العلة أما قديمة ويلزمها قدم الفعل اذ المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما وهو محال واما محدثة ويفتقر الامر في ذلك الى علة أخرى فاما يلزم الدور واما التسلسل وذلك محال وهذا هو المراد بقول مشايخ الاصول كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وهذه حجة كافية في هذا الموطن والافالبحث في هذه المسئلة مجال متسع لانها من أمهات الاصول واذا كان الصحيح أن الله تعالى له أن يثيب العاصي ويعاقب الطائع في الدار الآخرة وهي دار القرار ونعيمها وجحيمها أبديان سرمديان فما ظنك بالحظ وهو نصيب هذه الدار الفانية التي لا بقاء لها والحظ فان في هذه الدنيا وثواب الآخرة وعقابها الانهاية لهما ولا نسبة للتناهي في جنب ما لا يتناهى البتة أفترى أن الله تعالى ليس له أن يهب الحظ لمن يشاء استحقه أو لم يستحقه في هذه الدنيا الفانية قل متاع الدنيا قليل وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وما أحسن قول أبي الفوارس سعد بن محمد ابن الصفي

علمي بسابقة المقدور الزمني * صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل
لو نيل بالقول مطلوب لما حرم الـ * ـرؤيا الكليم وكان الحظ للعبل
وحكمة العقل ان عزت وان شرفت * جهالة عندكم الرزق والاجل

قلت قد فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا الرؤيا مصدر رأى للحلم والرؤية مصدر رأى للعين وغلطوا أبا الطيب في قوله

مضى الليل والفضل الذي لك لم يمض * ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

قالوا الرؤيا للحلم قال الله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون فعلى هذا قد وهم هذا الشاعر في استعمال الرؤيا هنا في قوله لما حرم الرؤيا الكليم وانما حرم الرؤية وهذا الغلط قد وقع فيه كثير من الفضلاء وقريب من قول أبي الفوارس قول الآخر

فاطعم وكل من عارة مستردة
ولا تبقها ان العواري للرد

وقوله

دعتني حين شبت الى المعاصي
محاسن زائر كالريم غض
كان كلامه برم التقينا
رقى ياخذن في طولي وعرضي

وقوله

ربما ثقل الجليس وان كا
ن خفيفا في كفة الميزان
واقد قلت حين وتدني الار
ض ثقيل ارسى على كيوان
كيف لا تحمل الامانة ارض
حملت فوقها الابار وان

وقوله

رايت السهيلين استوى
الجود فيهما
على بعدنا من ذاك في حكم
حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله
كما جاد بالرمح سهيل بن سالم

وقوله

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته
فانه عربي من قوادير

واما يعقوب الذي اشار بقتل بشار فهو ابن داود بن طهمان السلمي كان في الاصل هو واخوته كتابا لابراهيم بن عبد الله بن حسن المتغلب في ايام المنصور فلما قتل استخفوا فمن عليهم المهدي واطلقهم وكانوا ادباء البلغاء فجاء وكان المهدي يتطلب الحسن ابن ابراهيم بن عبد الله فضمن له يعقوب احضاره وتوسط

سلم المطامع لا تفقت فان من * ترك المطامع كان أربح متجرا
نال الذى ترك المطامع خلفه * عين الحياة وفاتت الاسكندرا

قال العباس بن المأمون سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول قال لى على بن موسى الرضى ثلاثة موكل بها ثلاثة تحامل الايام على ذوى الادوات الكاملة واستيلاء الحرمان على المتقدم فى صنعته ومعاداة العوام لاهل المعرفة وقال أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور استأذن العقل على الحظ فحجبه قلت هذا من جوامع الكلام وهو أنه كلام قليل معناه شريف جزيل يعنى ان الحظ هو الأمير المخدوم المحجب المطاع والعقل هو المأمور الخادم المبذول الممتثل لانه أتى الى باب الحظ والآتى دون من أتى اليه وسعى الى بابه واستأذن عليه لما لم يصل اليه ومن طلب منه الاذن أشرف ممن طلب له فالاذن والمحجوب أقل من المحجب بدركات وذاك أكثر بدرجات لانه لم يكن أهلا للدخول

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

ولا ينكر هذا الكلام من أهل بيت النبوة لانهم أحق العالمين بميراث البلاغة والفصاحة والحكم وقال بعض الحكماء قال الحظ للعقل ان شئت سر أو أقم فانى مستغن عنك ومن الكلام النوابغ خيم النقص والجد طنبيه وسافر الفضل والجد جنبيه وقال بعضهم

كم من غبى غنى * ومن فقيه فقير

وقال الآخر

واذا استقام الدهر يوما للفتى * أغنت سعادته عن التنجيم

ومثله قول محمد بن شرف القيروانى

ونجوم كاساتى طوالع بالمنى * والسعد يستغنى عن التقويم

وحكى ابن أبى طى فى تاريخ حلب عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال الناس يتشاءمون بالتربيع وأنا وليت الوزارة يوم الاربعاء رابع ربيع الاول سنة اربعة واربعين وخمسمائة فقال له ابن أبى الفضل ان تبركت أنت به فقد تشاءمنا نحن به وحكى أبو الفرج المعافى بن زكريا فى كتاب الجليس والانيس قال بينا أبو اسحق مزيد ذات يوم جالس اذ جاءه أصحابه فقالوا يا أبا اسحق هل لك فى الخروج بنا الى العقيق والى قبا والى أحد نأتيه قبور الشهداء فان هذا يوم كما ترى طيب فقال اليوم يوم الأربعاء ولست أبرح من منزلى فقالوا وما تكره من يوم الاربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى فقال بأبى وأمى صلى الله عليه وسلم فقد التقمه الحوت فقالوا يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فقال أجل ولكن بعد اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقال أبو عبادة البحترى

الا ليت المقادر لا تكون * ولم تكن الأحاظى والجدود
فيعلم أينا غدر ويمسى * له هذى المراكب والعبيد

ومثله قول ابن مقلة

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * فى شاهق من عزه المتمنع
قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

ومن عدم تعليل الحظ قول أبى الطيب

الى ان احضر له الحسن من مكة بأمان المهدى ودخل فى الطاعة وتمكن يعقوب وولى وزارة المهدى وغلب على امره ويسره ودانت له الدنيا الى ان طلبه المهدى يوما فقال فدخلت عليه وهو فى مجلس مفروش فى غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رأيت أحسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله أمير المؤمنين لم أر كاليوم فقال هو للثلاثة بما فيه والجارية ليتم سرورك فدعوت له ثم قال لى ألك حاجة فقلت الامر لك فقال ضع يدك على رأسى واحلف ففعلت فقال هذا فلان من ولد فاطمة أحب أن تريحنى منه فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب وعلم انه كانت لهم دولة لم يعش فيها وان المهدى لا ينظره الى ذلك لكثرة السعاة به اليه والحسدة له فقال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمى وكان المهدى معظما فى دولة وهو الذى أخرجه من سجن المنصور فقرأ على اليه يعقوب وأقبل يريش له الامور فسعوا فيه الى المهدى وقالوا ان البلاد فى يده وأصحابه وانما يكفيه ان يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحق بن الفضل فلؤا مسامع المهدى

هو الجد حتى تفضل العين أختها * وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

ويعجبني قول ابن قلاقس

ولست ترى في محكم الذكر سورة * تقوم مقام الجد والكل قرآن

قلت انما يمشي على قول من قال ان الفاتحة لا بد منها في كل ركعة وهو مذهب الشافعي ومن تابعه مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة وانما سميت السبع المثاني لانها تثنى في كل صلاة فعلى هذا الرأي يحسن بيت ابن قلاقس لانها لم يقم مقامها في الصلاة غيرها فان قلت يحمل ذلك على الفضائل التي وردت فيها قلت قد ورد في آية الكرسي فضائل عدة وفي غيرها من السور والآيات ولم ينفرد من القرآن جميعه بهذه المزية غير الفاتحة على رأي الشافعي أما على رأي من جوز الصلاة بما تيسر من القرآن ولو آية مستدلا بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه حتى يكفيه في ذلك مد هامتان لانها آية وهو مذهب أبي حنيفة فلا مزية للحمد على غيرها وقد حكى ابن خلكان وغيره من أهل التاريخ ما جرى للقفال المروزي من صلاته بحضرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة فمن أراد الوقوف عليها فلينظرها في ترجمة يمين الدولة وقد حكاها امام الحرمين أيضا في كتابه غياث الخلق في اختيار الأحق ولكن ما رأيت أن أذكرها أنا لما فيها من الشناعة (رجع) وقال أبو اسحق الغزي

والحسن والقبح قد تحويهما صفة * شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظبا الخلاف أقلام مكسرة * رؤسهن دوى أقلام السعيد ظبا

والثاني ماخوذ من قول أبي العلاء المعري

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماء كان السماء كلاهما * هذا الدرج وهذا أعزل

وقال ابو اسحق الغزي أيضا

لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه

فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدي جياده عن علي رجبه

وقلت أنا

لئن رحت مع فضلي من الحظ خاليا * وغيري على نقص به قد غدا حالي

فاني كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد في جيد شوال

وقال ابن قلاقس الاسكندري

لولا الجدود لما ارتمت بمسافر * كف الغنى وتعلقت بمقيم

والحظ حتى في الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والترخيم

وقال أبو تمام الطائي

لزموا مراكز الندى وذرا * وعدتنا عن مثل ذاك العوادي

غير أن الربى الى سبل الانـ * ـواء أدنى والحظ حظ الوهاد

وقال ابن جني في قول أبي الطيب

أين أزمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربى وأنت الغمام

فأمهله قليلا ثم تجنى عليه جنايات ووضعه في السجن الى ان عمي وأخرج في أيام الرشيد فلما احضر بين يديه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي قال لست به قال الهادي قال لست به قال الرشيد قال نعم فسلم ثم لحق بمكة المشرفة ومات في دولته

*(وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات)

(الخرق) قطع الشيء وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق فان الخلق فعل الشيء بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات أي حكموا بذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل أخرق وامرأة خرقاء لا تفعل الامر باحكام ولا تدبير (والعادة) تكرار الفعل مأخوذ من أعاد الحديث اذا كرره فخرق العادات تغيير ما تكرر أفعاله من المخلوقات واستقر على مرور الايام والليالي وكذلك الامر في قوله (وخالفت المعهودات)

*(فاحالت البحار عذبه * وأعدت السلام رطبه)

(البحر) كل مكان واسع جامع للماء الكثير ويقال في الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب للتغليب كما يقال العمران

انما خص الربى بالذكر لان نباتها أحسن وقال أبو زكريا الخطيب انما أتى بها للوزن وقال الشيخ تاج الدين الكندى وعندى أن ثبت الربى أشد احتباجا للغمام من الوهاد لان الوهاد يمكن أن يسقى من غير الغمام قلت وهذا تأويل شعرى رقيق المأخذ حسن الى الغاية ومما دله على ذلك الاقول أبى تمام وقول أبى العلاء أيضا

ولو أن السحاب هممى بعقل * لما أروى مع النخل القتادا
ولو أعطى على قدر المعالى * سقى الهضبات واجتنب الوهادا

وقال الباخرزى

لاحبذا البخت أعيانا ومال الى * قوم يعدهم الارذال أعيانا
يدرع البصل المذموم أكسية * ويترك النرجس المحمود عريانا
وينبت الشوك فى أرض وجارتها * تجنى أكف بغاث الرزق عقيانا

وقال أبو بكر بن اللبانة

ان ضعت والشعر مما قد علمت به * ونال جودك أقواما وما شعروا
فالجود كالمزن قد يسقى بصيبه * شوك القتاد ولا يسقى به الزهر
ان لم أكن أهل نعمى أرتجيك لها * فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر

وقال مهيار الديلمى

لاتحسب الهمة العليا موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لو كان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أو كان أسير ما فى الافق أسلمه * دام الهلال فلم يمحق ولم يغب

وقال الطغرائى

وأعظم مابى انى بفضائلى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
اذا لم يردنى موردى غير غلة * فلا صدرت بالواردين مشارع

وقال القاضى الفاضل

ماضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقال شرف الدين بن عنين

كأنى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيدى فى بنيه كواو عمرو * مانى الحظ فيه كراء واصل

وقال أبو العلاء المعرى

ولا بد للحسناء من ذم حسنها * ولا ذم نفسى غير سيىء بختها

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

ومما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يمنعنى بالخل وسمح * وليس لى منهما نصير

واختلف فى عدد البحار فقيل انها سبعة أبحر ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسة وقيل أربعة والاول أصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر قال بعض العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام سبع وخلق الانسان من سبع يعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية ورزق من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية وذكر فى جغرافيا ان البحار مختلفة المقاد برفمنها ماهو على هيئة الطيلسان ومنها ماهو على هيئة الشابورة ومنها ماهو على صورة التدوير وهو الغالب عليها وأشدها البحر الشرقى وهو لفارس والغربى وهو للروم يأخذان من البحر المحيط ويقال له قنطس والبحار تستمد منه وهى بالنسبة اليه كالخلجان ولا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش حيوان ويقال ان أطراف السماء عليه كالخيمة ولا يعلم ماوراءه * فأما البحر الشرقى فيأخذ من أقصى المغرب وينتهى الى أقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بأرض الحبشة ومنه

وغايتي ان ألوم حظي * وحظي الحائط القصير

وقال ابن سناء الملك

ورب مليح لايحب وضده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم

وقال أيضا

ماثم الا الحظ فارقب له * ولا تقل عقلي ولا حزمي
كم نعمة في طيها نقمة * ويوجد الدرياق في السم

وقال أبو العلاء المعري

لك الخير أمواه البلاد كثيرة * عذاب وخصت بالملوحة زمزم
هو الجنة غير الوحش يستاق انفه الشخزامي وأنف القرد بالعود يخزم

وكتب الشريف الرضي الى الساقي

ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه * ليس الحظوظ على الاقدار والمنن
قد كنت قبلك من دهري على حنق * فزاد مابك في غيظي على الزمن

وقال الامام الشافعي من أبيات

لو أن بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أفلاك السماء تعلقي
لكن من رزق الجحا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
فاذا سمعت بأن محسورا وما أتى * ما ليشربه تغاض فصدق
أو أن محظوظا غدا في كفه * عود فاورق في يديه فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقال عبد الجليل بن وهبون

يعز على العليا أني حامل * وان أبصرت مني خمودتها بالي
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السعادة كابيا

وقال آخر

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت ان تدري الذي هو أحذق
فلا تتقدمهما غير ماجرت * به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وقال آخر

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وقال أبو اسحق الغزي

كم عالم لم يلج بالقرع باب غنى * وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسي

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات تنوب
واذا انتهيت الى العلوم وجدتها * شيأ يعذبها عليك ذنوب

بحر فارس أوله من الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقال له رأس الجمجمة ومنه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كيش وأما البحر الغربي فانه يأخذ من المحيط من المغرب في الخليج الذي بين المغرب والاندلس ويسمى زقاق سبتة حتى ينتهي الى الثغور الشامية وقدره في المسافة أربعة أشهر ومن القلزم الذي هو لسان بحر فارس ومن بحر الروم على سمت الفرما أربع مراحل وزعم بعض المفسرين في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان انه هذا الموضع وزعموا أن بحر الروم متصل بالشرق وانه وجد فيه شيء من التوراة الذي يكون في البحر الشرقي وهذا بعيد لبعد ما بينهما من المفاوز والجبال * واختلف في مبادي البحار على أقوال أحدها انها من الاستقصات الاربع خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والثاني انها بقية طوفان نوح عليه السلام والثالث انها من غرق الارض لما بناها من حر الشمس والرابع انها من مياه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة والكل ملح وانما يتصعد منها الجو

وغضارة الأيام تأبى ان يرى * فيها الابناء الذكا نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وهذا من قول أبى الطيب

وما الجمع بين الماء والنار فى يد * بأصعب من ان أجمع الجد والفهما

وهو ينظر من طرف مريب الى قول أبى تمام حبيب

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

وقال أبو الحسن على بن رشيق

أشقى لعقلك ان تكون أديبا * أوان يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى خطه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

وقال ابن الخياط الدمشقى

ومازال شؤم الحظ من كل طالب * كفيلا ببعد المطلب المتدانى
وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتوانى

ومنه قول الآخر

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المال عن ذى الحيلة الداهى

وقال ابن عنين

يعد والرياض الحيا والارض مجدبة * رزقا وفى البحر ذيل السحب مسحوب
فلا العجز تعدى ذاك وابله * ولا الحرص سقت تلك الشآبيب

وقال أبو الاسود الدئلى

المرء يحمد سعيه من جده * حتى يزين بالذى لم يعمل
وترى الشقى اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وقال محمد بن شرف الدين القيروانى

اذا صحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وأخذه ابن النقيب فقال ومن خطه نقلت

لو لحن الموسر فى مجلس * لقيل عنه انه يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

يقال ان ابن بقية الوزير كان من أشد الناس لحنا فلما تولى الوزارة لم يره لحن الا فى الشاذ ونقلت من خط السراج الوراق له

الباء والخاء من بخلى قد اقترنا * بالباء والخاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * أم المسائل من أسباب حرمانى

ونقلت منه له أيضا

أراه يصدعنى وهو لاه * بنوبى كليل الهجر والصد

فيلطفه و يجليه ثم يهبط الى الارض فينه الانهار العذبة * ومراد ابن زيدون انك لو شئت فعلت ما لا يمكن وهو تفسير قوله خرقت العادات ومثله (وأعدت السلام رطبا) العود الرجوع الى الشئ بعد الانصراف عنه والسلام الحجارة الصلبة وانما عنى باعادتها الى الرطبة هو مازعم قوم ان الحجارة كانت فى الزمن الاول على عهد نوح لينة وعلى ذلك قول الراجز حيث يقول

انك لو عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل
كنت رهين هرم أو قتل

(ونقلت غدا فصار امسا وزدت فى العناصر فكانت خمسا)

أصل الغد غدو حذفوا الواو وعوض وفى هذا المعنى قال الشاعر

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

(وأمسا) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين واختلف فيه فاكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف واللام يقول مضى الامس وقال سيبويه جاء فى ضرورة الشعر كقوله

فان لم يرعني لبياض لوني * فيرعاني لحظي وهو أسود

ونقلت منه له أيضا

أولاد أولادي مامنهم و * من قال مثل الناس جدي السعيد
ومرادي الحظ لكن أنا * ولو أردت الحظ رمت البعيد

ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب له

وقالوا بماذا يكتب الحظ كاتب * جهول بظلماء الجهالة خابط
فقلت بظاء فا كتبوا الحظ قائما * سرى شؤم حظي وحده فهو ساقط

وأنشدني لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ياسيدي عطفا على متألم * يشكو من الايام حظا ساقطا
لو جاء يكتب حظه متحرزا * ماجاء ذاك الحظ الا ساقطا

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

هي الحظوظ فعش منها بما وهبت * ولا تقل عالي حظي ولا دوني
تغني بذا دون هذا عن تمائله * وقس على ماتراه العين والسينا

وقال أبو الحسين الجزار

أشكو لعدلك جور دهر جائر * فضلت به فضلاءه الجهال
منعت به عقلاؤه اذ قسمت * بالجور في انعامه الانذال

وقال ابن الساعاتي في وصف قصيدته

وكم لي فيك من عذراء زفت * لفهمك في غد وا ورواح
من الغيد الحسان بلا شبيه * فكيف يفوتها حظ القباح

وقال أبو بكر القهستاني

بالجد يسعى الفتى والا * فليس يغني أبو وجد
وليس يجدي عليك كد * مادام يكدي عليك جد

وقال آخر

مضنا الدهر بنابه * ليت ماحل بنابه
لا يوالي الدهر الا * عاملا ليس بنابه

وقال القاضي الفاضل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقال ابن نباتة السعدي

الافاخش مابرجي وجدك هابط * ولاتخش مايخشى وجدك رافع
فلانافع الامع النحس ضائر * ولاضائر الامع السعد نافع

وقال أبو العلاء المعري

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل * ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الاعداء نحوك أسهما * ثنتها على أعقابهن المناصل

لقد رأيت عجبا مذ أمسا
عجائزا مثل السعالى خمسا
ولا يصغر أمس كما لا يصغر
غدوا معنى انك لو شئت قلبت
الاشياء اما قدرة واما تسمية
تقتدي الناس بك فيها
(والعناصر) أصول الخلق
وهي أربعة لا غير النار والهواء
والماء والتراب ثنتان تذهبان
صعدا وهما النار وطبيعتها
حارة يابسة والهواء وطبيعته
حار رطبة وثنتان تذهبان
سفلا وهما الماء وطبيعته
باردة رطبة والتراب وطبيعته
باردة يابسة وقيل في قول
فيثاغورس والذي وهب
لنا اليبوع الاربع أراد
العناصر
(وانك المقول فيه كل الصيد
في جوف الفرا)
هذا مثال قديم يضرب في
وصف الشيء المربي على غيره
وأصله أن قوما خرجوا
للصيد فصاد أحدهم ظبيا
وآخر أرنبا وآخر ظبيا وهو الحمار
الوحشي فقال لاصحابه كل
الصيد في جوف الفرا يعني
ان جميع صيدكم يسير في
جنب ماصدته وزعم بعضهم
أن الفرا اسم واد كثير الصيد
وهو قول مردود وأما قول
الشاعر
وواد كجوف العير قفر قطعته
فليس من هذا وانما أراد
الوادي المعروف بجوف حمار

وحكى أن بعض المطربين غنى فى جماعته عند بعض الامراء الاعاجم فلما أطربه قال للمملوك هات قباءك لهذا المغنى ولم يفهم المغنى ما يقوله الامير فقام الى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالقباء فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى وهو فى أثناء الطريق بعدما أخرج ان الامير أمر لك بقباء ولم تلحقه فلما كان بعد أيام حضر عند ذلك الامير وغنى اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل البيت لكن بفتح التاء وضم الباء فانكروا عليه ذلك فقال لما بلت فى ذلك اليوم فأتتنى السعادة من الامير فأوضحوا القضية للامير فاعجبه ذلك وأمر له به وقال عبد القدوس

وليس رزق الفتى من حسن حيلته * لكن جدود يرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد * يرمى فيرزقه من ليس بالرامى

وذكرت بالصيد هنا حكاية مطبوعة وهو أن الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت فى الليلة الماضية مضطجعا تكبسنى جاريتان عندى فتناومت عليهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فبدأت المدنية بدها الى ذلك الشئ ولعبت به فانتصب قائما فوثبت اليه المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لانى حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيى أرضا ميتة فهى له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن قبضه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ثم قال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما يحكمك يا امير المؤمنين وحملهما اليه وقال عيسى بن ابان كنت عند المأمون فاستأذنته فى الخروج الى البصرة الى عيالى فقال أنا أشوق منك الى عيالى ولكن وجه اليهم ليحملوا ثم قال لخادم على رأسه رهم بالوصول واقبل غلام لانبات بوجهه مخلق بالغالية فلم يقل مرحبا فاجلسه على

فخذه اليمنى وأقبل آخر فاقعده على فخذه اليسرى فجعلت أنظر اليهما والى حسنهما فقال يا عيسى بمن ترى ان أبدأ فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله فقد نزهه الله عن هذا وصانه فقال يا عيسى ليس هذا الذى ذهبت اليه انهما جاريتان اشتريتهما فى زى الغلمان فقلت أمير المؤمنين اعلى عينا فقالت الاولى والله يا عيسى ما تحسن الحكومة ألم تسمع قول الله تعالى والسابقون الاولون قال فبقيت والله متعجبا وتمنيت انى كنت اهتديت الى ما قالت بجميع ملكى ثم قالت الاخرى والله ما تبصر من الحكومة شيأ ألم تسمع قول الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى فتركتهما معه وخرجت وقد ذكر ذلك صاحب كتاب الجليس والانيس (رجع) قلت والزمان مواتح يحمول الادباء وخمود نار الاذكياء كم أخفى على الفضلاء وجهل قدر العلماء هذا الملك الافضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف كان متأدبا حليما حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك بعد أبيه بل لبث مدة يسيرة بدمشق ثم حضر اليه عمه العادل أبو بكر وأخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه الى سميساط وفى ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبانى السيف حق على

وحمار اسم رجل قديم كان فى واد خصيب فظلم عشيرته فأرسل الله تعالى عليه نارا فاحرقته واحرقت الوادى فخلا وسكنته الجن فقيل أخلى من جوف حمار وعجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم أذن له فقال يا رسول الله ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحمارة الجلهتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كل الصيد فى جوف الفرا

(وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد)

هذا البيت لابى نواس من جملة أبيات يقولها فى الفضل ابن يحيى ويخاطب بها الرشيد وهى

قولا لهرون امام الهدى
عند احتفال المجلس الحافل
أنت على ما بك من قدرة
فلست مثل الفضل بالواجد
وليس لله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

وأبو نواس هو الحسن بن هانئ ابن الجراح الحكمى البصرى وكنى نفسه بابى نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذى رعين وذى نواس فاكتنى بابى نواس وكان مولده بالاهواز سنة مائة وخمس واربعين ثم نشأ بالبصرة وتادب بها على أبى زيد وخلف

فانظر الى حفظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر مالاقى من الاول

وكتب اليه الامام الناصر الجواب

وانى كتابك يابن يوسف معلنا * بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الناصر بل توفى فجأة فى سميساط ومن شعره رحمه الله

أما آن للسعد الذى أنا طالب * لادراكه يومايرى وهو طالبى
ترى هل يرينى الدهر أيدى شيعتى * تمكن يوما من نواصى النواصب

ومن شعره رحمه الله على ماذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يامن يسود شعره بخضابه * لعساه من أهل الشبيبة يحصل
هافاختضب بسواد حظى مرة * ولك الامان بانه لاينصل

ووجدتهما بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان فى بعض مسوداته لابن السكيزانى المصرى ووجدت بخطه أيضا ماصورته نقلت من خط كمال الدين بن العديم الحلبى من مسوداته التى علقها التاريخه من ترجمة الملك الافضل نور الدين وذكر البيتين اللذين أولهما مولاى ان أبابكر وصاحبه ثم قال وبعض الناس يقول انهما من نظم أبى فراس بن أبى الفرج البزاغى ابن أخت الاديب حماد البزاغى ثم ذكر فى الحاشية ان أباطالب بن زيادة أجابه عن البيتين المذكورين بالابيات الثلاثة التى فى آخرها الناصر وكذا الملك الناصر داود صاحب الكرك ابن المعظم لم يزل منكدا الحال مشتتا فى البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة بن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسروشاهى وقد استصحب جواهر نفيسة وتحفا ظريفة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده فى الملأ فما قدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التى أولها

ودان ألمت فى الكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وجف تحول غياهبه
تقهقره فى تلك الربوع رعوده * وتبكى على تلك الطلول سحائبه

ومنها

أيحسن فى شرع المعالى ودينها * وأنت الذى تعزى اليه مذاهبه
بانى أخوض الدو والدوم قفر * سيارتيه مغبرة وسباسبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة * له الامن فيها صاحب لايجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله * ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر من الاه قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة * وصدق ولاء فيه لست أعاقبه
لكنت أسلى النفس عما أرومه * وكنت أذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلى ولو قلت انى * أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

يشير الناصر الى مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين كوجك فانه قدم الى الديوان وطلب الحضور فاذن له وبرز الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته

الاحمر ونظر فى كتاب سيبويه وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو فى المحدثين مثل امرئ القيس فى المتقدمين وكان العتابى يقول لولا درك الخبيث الجاهلية لم يفضل عليه أحد وسئل المرزبانى أيهما أشعر أبو نواس أم الرقاشى فقال ضراط أبى نواس فى جنبه أشعر من تسبيح الرقاشى فى الجنة ثم مدح الامين واختص به وصار من ندمائه بذلك وبذلك كان أخوه المامون يشنع عليه ويقول كيف يصلح للخلافة وجليسه أبو نواس القائل فى مجلسه كذا وكذا من الاشعار المحتوية على الفسق والكفر وكان أبو نواس قد انفرد فى زمانه باتفاق الشعر وافراط المجون والهتك قال أبو العتاهية عاتبته مرة على المجون فانشد يقول

أترانى يا عتاهى
تاركا تلك الملاهى
أترانى مفسدا بالـ
ـنسك عند القوم جاهى

فلما ألححت عليه قال

لاترجع الانفس عن غيها
مالم يكن منها لها زاجر
فوددت أن هذا البيت لى بجميع ما قلته وعلمت أنه لايصغى الى عذل ولم يزل على حاله الى ان توفى ببغداد

لانهما من النظم البديع فى غاية واستدعاه سرا بعد شطر من الليل واجتمع به فى خلوة وماتم له ماظفر به مظفر الدين المذكور وذكر المؤرخون فى سبب ذلك ان الخليفة راعى عمه الكامل لانه قد كان تأذى على الناصر داود وما أرى السبب الا ماحواه من الادب وقد كان الناصر من الشعراء المجيدين والادباء المفيدين يفوق بلطفه على النسمات المتأرجه ويكتب خطا يزرى بالحدائق المدبجه وكذا المعتمد على الله بن عباد واقعته مشهورة ومصيبته على جبهات الايام مسطورة عبرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر وستأتى نبذة من خبره بعد والكن المعتمد تملك وصفت له الايام ودام ملكه ثلاثة وعشرين سنة كما ذكر ذلك فى قوله

أشرقت عشرون من انفسها * وثلاث نيرات تأتلق

لانه ولى سنة احدى وستين واربعمائة وجرت كائنته سنة اربع وثمانين واما الكائنة التى جرت عليه وعلى ذريته الى ان مات فى اغمات وماتوا قبله وبعده فما اتفقت لغيرهم ولا جرى فى خلع ملك ماجرى له رحمه الله تعالى وكذا عبد الله بن المعتز من خلفاء بنى العباس لم يزل منغصا طول عمره ولما بويع له بالخلافة ظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم له الامر الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم انهم لا يسفكون فى واقعته دما فيقال ان والده لما خلع ترك فى مصورة ملئت ريشا فى يوم صائف شديد الحر الى أن مات ولما خلع هو الفى فى صهريج ملئ ماء فى يوم شديد البرد الى ان مات وقيل ادخل حماما حارا حتى عطش عطشا شديدا اتى اليه بماء بارد بثلج فحين شرب مات رحمه الله أو بالعكس فى امره وامر والده ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقع ولا تطفا وفى المعتز قيل

لله درك من ملك بضيعة * ناهيك فى العلم والعلياء والحسب
مافيه لو ولا ليت تنقصه * وانما ادركته حرفة الادب

وقال ابو تمام الطائى من ابيات

مازلت أرمى بآمالى مطالبها * لم يخلق العرض منى سوء مطلبى
اذا قصدت لشأو خلت انى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب

وقال بن الساعاتى

عفت القريض فلا أسمو له أبدا * حتى لقد عفت ان أرويه فى الكتب
هجرت نظمى له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال بن قلاقس

لا اقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث ان يأتى بلا طلب
عيون جاهك عنى غير نائمة * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وقد أنصف الحسن بن أبى الحسن لما سئل لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل حيث قال ليس الامر كما زعمتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليلون ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اه قلت هذا هو الانصاف لو عدنا العلماء السعداء لوجدناهم أضعاف المحارفين الجهلاء لانهم أناس يمكن ضبطهم ومن العلماء السعداء غالب الخلفاء والملوك والامراء المتقدمين والوزراء والقضاة وأرباب المناصب والولايات بل جمهورهم الا ماندر ولكن الناس قد لهجوا بهذا

سنة مائتين هو ومعروف الكرخى فى يوم واحد فخرج مع جنازة معروف زهاء المائة ألف ولم يخرج مع جنازة أبى نواس غير رجل واحد فلما دفن معروف قال قائل أليس جعفا بأبا نواس الاسلام ودعا الناس فصلوا عليه فرى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بصلاة الذين صلوا على معروف وعلى وأوصى ان يكتب على قبره هذا

وعنتك أجداث عمت
ونعتك أزمنة خفت
ياذا المنى ياذا المنى
عش مابدا لك ثم مت

وأخبار أبى نواس وأشعاره مجموعة ومنها الزائدة والناقصة فمن مستظرف أخباره قيل تحاكم فى سؤال رافضى وسنى فيمن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيا أبا نواس فسألاه فقال أفضلهم بعده يزيد بن الفضل فقالا ومن يزيد بن الفضل فقال رجل يعطينى كل سنة ثلاثة آلاف درهم وسئل عن الخمر فقال خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة وقد جعلها الله تعالى لذة للشاربين فقيل له كيف هى اجود قال لانها انموذج والانموذج خيار الشئ وكان يوما جالسا وفى يده كأس خمر وعن يمينه

الامر وصار مشهورا بينهم والرزق والاجل مقدران من لدن حكيم عليم وقد تقدم أن الحظوظ لا تعلل والباحث عما لا يعلمه ضال فاصبر واحتسب واجهد على تكميل ذاتك واكتسب قال بعضهم

خط ولاحظ وشعر ماله * سعرا أثر فيهما أم أنظم
كم جهد ارفع قصتي ويحطها * حظي وأنصب والحوادث تجزم

قلت اراد أن يقول ويخفضها لحظي فما اتفق له فعدل الى يحطها وهو بمعناه ولكن الاول أكمل ولو اتفق له أن تكون القصة مرفوعة في اعرابها والحظ مكسور الكان من البديع في غاية وما رأيت من استعمل هذا المعنى ولحظه وأتى به كاملا غير شهاب الدين التلعفري فقد أنشدني المولى شهاب الدين أبو العباس احمد بن غانم كاتب الانشاء السلطاني قال أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين التلعفري بحماه سنة سبعين وستمائة

واذا الثنية أشرقت وشممت من * أرجائها أرجاء نشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثه المرفوع عن ذيل الصبا المجرور

فانظر كيف نصب الهضب ورفع الحديث وجر ذيل الصبا وهذا في غاية الحسن من البديع مع انسجام هذه الالفاظ وعدم التكلف في تراكيبها وقد نظم شهاب الدين التلعفري المذكور هذا المعنى أيضا ولكن قصر عن هذه الغاية فقال

قل للصبا سرا فان لها شذا * يضحي بما يقضي اليه مذيعا
ياذيلها الجرور عن هضب الحمى المنصوب هات حديثها المرفوعا

ونقلت من خط الوداعي له

ولقد وقفت على الثنية سائلا * عما أشار به فتى شيبان
فروت أحاديث الحمى عن عامر * وحديث روض السفح عن ابان

وقلت أنا في الحظ

شكوت حظي الى دهري وبيتي * فضلي ولكنها لم ترضها حكمي
ما آب عاتبني عن نيلها قدر * جرى ولكنها لم تعل عن هممي

وقلت أيضا

تشفعت للبين المشت بكم عسى * يعود هزيم الوصل عودة منصور
على ان جاه الحظ أكرم شافع * ولولاه لم يحتج الى بنت منظور
وما هو الا الحظ يعترض المنى * ولولاه كان الدهر اطوع مأمور

وفي الثاني اشارة الى قول الفرزدق

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا

والواقعة مشهورة فلا فائدة في ذكرها

(لعله ان بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لي)

(اللغة) بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اذ ظهر وابديته أنا فضلي تقدم الكلام على الفضل في أول القصيدة ونقصهم النقص ضد الفضل لعينه تقدم الكلام على العين نام تقدم الكلام على النوم في قوله تنام عيني تنبه نبهته على الشيء أوقفته عليه فتنبه هو عليه وهو الارتناء

عنقود وعن يساره زبيب فقيل له ما هذا فقال الاب والابن والروح القدس وقيل له أتشرب الخمر قال نعم اذا اشترى بثمن خنزير سرق حتى يكون حراما ثلاث مرات وحكي عن نفسه قال دخلت الى دمشق وخلوت بامرد ودفعت له دينارا فلما رأى متاعي استعظمه فقلت اما ان ترد الدينار واما ان تحتمله وأما ان تشتم معاوية فاذ عن فرضي بالوسط فلما دفعته فيه سمعته يقول هذا في رضا لئيم قليل يا أبا يزيد وقال له أردمني تعطيني درهما قال اذا جرى الماء في العرد وكان أبو عبيدة يجلس الى اسطوانة في جامع البصرة فكتب أبو نواس في أعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ولم يعرف من كتبه فامر بعض تلامذته بحكه من السارية فلم يصل فقام له أبو عبيدة وصعد على ظهره الى ان حكه فلما طال عليه الامر قال له أقرغت قال نعم حككت الكل الا حرفا قال وما هو قال كلمة لوط قال لقد بقي الكل * ومن شعره قيل ان سليمان بن المنصور دخل على الامين فرفع اليه انه هجاه وانه زنديق وأشار عليه

ثم تنبيه له وأصله من الانتباه الذى هو اليقظة (الاعراب لعل) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر من أخوات أن ومعناه الترجى وقد تقدم الكلام عليه فى قوله لعل الماسة بالجزع ثانية والهاء فى لعله ضمير يرجع الى الحظ وهو فى موضع نصب على انه اسم لعل (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فان جنحت اليه (بدا) فعل ماض حكى الحريرى فى درة الغواص أن أبا عمر الجرمى حين شخص الى بغداد ثقل موضعه على الاصمعى اشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنه ويصير الشوق له فاعمل الفكر فيما يغض عنه فلم ير الا أن يرهقه فيما يسأله عنه فاتاه فى حلقته وقال له كيف تنشد قول الشاعر

قد كن يخبأن الوجوه تسترا * فاليوم حين بدأن للنظار

أوحين بدين فقال له بدأن قال غلطت قال بدين قال غلطت انما هو بدون أى ظهرن فاسرها أبو عمر فى نفسه وفطن لما قصده به واستأنى به الى أن تصدر فى حلقته واحتف الجمع به فوقف عليه وقال له كيف تقول فى تصغير مختار قال مخيتير فقال أنفت لك من هذا القول أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وان التاء فيه زائدة ولم يزل يندد بغلطه ويشنع عليه الى أن انقض الناس من حوله وقال الحريرى فيه مخير قلت وحكى ابن وكيع فى المنصف عن شيخه أبى الحسن المهلبى انه اجتمع بالمتنبى عند بعض الرؤساء فسأله عن تصغير مختار فقال لا يصغر فقال المهلبى ليهن مختارا وأم حنين العافية اه قلت ومن الاشياء التى لا تصغر الثريا والكميت لانهما تصغير ثروى وأكمت وذكرت هنا ما قاله الكسائى لمحمد بن الحسن فى مجلس الرشيد وهو أن الكسائى قال من تبحر فى علم اهتدى به الى جميع العلوم فقال محمد بن الحسن ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى قال الكسائى لا قال لماذا قال لان النحاة قالوا المصغر لا يصغر فقال له محمد بن الحسن ما تقول فى تعليق الطلاق بالملك قال لا يصح قال لم قال لان السيل لا يسبق المطر وعلى ذكر مختار قد نقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله فى الطوالئ مختار البغدادى لما حمل طيور اصرعها الملك السعيد بن الملك الظاهر قوله

عزائم للطير كم قد رقت * وكم أتاها منه مصروع
وكيف لا يصرع شئ بدا * وهو من البندق متبوع

ومنها

ملك شديد البطش ذو عزمة * لباسها فى القتل تنويع
مختار لم يحمل لها طائرا * الا لباتى منه مجموع

وما أحسن ما أنشدت للموفق الحكيم أظنه المعروف بالورل أو المعروف بساقرة الادب

لله أيامنا والشمل منتظم * نظامه خاطر التفريق ما شعر
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

أتى بالجمع والاختيار والاختصار فى نصف بيت بل فى ثلثه مع ما فى الاول من التورية أيضا (رجع بدا من ذوات الواو كما تقدم (فضلى) فعل بدا والرفع فيه بضمة مقدرة على اللام لانه مضاف الى الياء وهى فى موضع جر بالاضافة (ونقصهم) الواو عطفت الاسم المرفوع على الاسم قبله والهاء والميم ضمير الجهال فى البيت المتقدم والضمير فى موضع جر بالاضافة (لعينه) اللام

بقتله فقال يا عم كيف أقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد
ومن الثناء تكذب وتخرص
واذا بنو المنصور عد حصاهم
فعمد يا قوتها المستخلص
فانقطع سليمان عن الركوب فامر الامين بحبس أبى نواس فكتب اليه من السجن يقول

تذكر أمين الله والعهد يذكر
مقامى وانشادى لك والناس حضر
وتثرى عليك الدر يا در هاشم
فيا من رأى درا على الدر ينثر
ومن ذا الذى يرمى بسهمك فى العلا
وعبد مناف والد لك وحمير
فان كنت لم أذنب ففيم عقوبتى
وان كان لى ذنب فعفوك أكبر

فلما قرأ الابيات قال أخرجوه ولو غضب ولد المنصور كلهم ومن شعره قوله من قصيدة

يا كثير النوح فى الدمن
لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة
فاذا أحببت فاستكن
ضن بى من قد كلفت به
فهو يجفونى على الضنن

ومنها

تضحك الدنيا على ملك
قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فغدا
فكأن البخل لم يكن

وقوله ايضا يمدح الامين

هنا للتعدية وعينه مجرور باللام والهاء في موضع جر بالاضافة وهي تعود الى الحظ (نام) فعل ماض وهو جواب الشرط (عنهم) عن حرف جر ومعناه المجاوزة والضمير في موضع جر ولم يتنبه لبنائه وهو عائد على الجهال (أو) حرف عطف وهو هنا للتخيير وقد تقدم الكلام على أقسام او في قوله فان جئت اليه البيت (تنبه) فعل ماض جواب ثان للشرط (لي) جار ومجرور واللام للتعدية والياء ضمير المتكلم وخبر لعل الجملة من الشرط والجزاء والتقدير لعل الحظ منصف (المعنى) أترجى الحظ عساه اذا رأى فضلي وعلم نقصهم أن ينام عنهم فيسلبهم ما هم فيه أو يتنبه لي فيوفيني ما استحقه هيهات ضاع عمره وفني زمانه وانتهت مدته وما نام عنهم ولا تنبه له نعم كان قد نام عنه ثم تنبه له فاورده على ظمأ به جدول الحسام وأعانت على قتله فضائله الجسام ولكن الامل خلق جبلت النفوس على ألفه وطبع يزداد بنقص الانسان ويقوى بضعفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيب الانسان وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن كلام الحكمة الامل ينقسم والاجل يبتسم وكيف يتنبه له الحظ والدهر كما قال التهامي

ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار

وفي معنى قول الطغرائي

عمرت أروض خطوب الزمان * لوان جامحها يستقيد
وما كان أجدرني بالعلى * لو قد تنبه حظ رقود

وقال مهيار الديلمي

أيا سكر الزمان متى تفيق * ويا وسع المطالب كم تضيق
ويا نيل الحظوظ أما اليها * بغير مذلة أبدا طريق
أكل فضيلة كانت عليها * تعين هي التي عنها تعوق
قضاء ضل وجه الرأي فيه * وكاذب دونه الظن الصدوق
وعتب طال والايام صم * كما يشكو الى الموج الغريق

وهذا المعنى كقول أبي الطيب المتنبي

لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وذلك لان الغريق أعظم آفته وأكبر الاسباب في هلاكه تواتر الموج وكذلك الجريح ما عليه أضر من العقبان والرخم فلا تفيد الشكوى اليهما شيأ وما أحلى قول القائل

يا رد فهم رفقا على خصره * فانه جهد ما لا يطيق
يشكو الى أردافه خصره * لو تسمع الامواج شكوى الغريق

(رجع) ولا بد للزمان من انتباهة للفضلاء بعد رقاده عنهم قال مؤيد الدين الطغرائي

لا تيأسن اذا ما كنت ذا أدب * على خمولك أن ترقى الى الفلك
بينا ترى الذهب الابريز مطرحا * في معدن اذ غدا تاجا على الملك

وذكر الحريري في درة الغواص عن أبي العباس المبرد أنه قال قصد بعض أهل الذمة أبا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه ويبذل له مائة دينار فامتنع من ذلك وأصر على رده قال فقلت له جعلت فداك أترد مثل هذه النفقة مع فاقتك وشدة ضيقك فقال ان هذا الكتاب

يشتمل

أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته
اذا الزمان على ابنائه كلها
وكانت بالدهر عينا غير غافلة
من جود كفك تأسو كل ما جرحا

وقوله ايضا

علقت بحبل من حبال محمد
امنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحيه
فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الايام ما اسمي ما دريت
وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقوله ايضا

ألم تراني أفنيت عمري
بطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيأ اليها
يقربني وأعيتني الامور
حمت وقلت قد حجبت جنان
فيجمعني واياها المسير

وقوله أيضا

أيها العاتب في الحظ
رمتني كنت صفيها
لو تركناها العتب
لاطعنا الله فيها

وقوله

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر
لها محبان لوطي وزناء

يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى ان أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية في حضرة الواثق بقول العرجي

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه وجعله خبر ان والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازني لقنها بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال أي الموازن أمازن قيس أم مازن تميم أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمني بلغة قومي وقال يا اسملك بالباء بدل الميم لانهم يقلبون الباء ميما والميم باء فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين فتبين لما قصدته وأعجب به ثم قال ما تقول في قول الشاعر أظلوم البيت أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قلت لان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فاخذ اليزيدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربي زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل على ذلك أن الكلام معلق الى أن تقوم ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدتني قول الاعشى

أيا ابنة الارتم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم

أو انا اذا أضمرتك البلا * دنجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قلت قول جرير

نبئ بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرما قال أبو العباس فلما عاد الى البصرة قال لي كيف رأيت يا أبا العباس ردد نا لله مائة فعوضنا ألفا قلت لم تكن هذه المسئلة مما يخفى على أبي محمد اليزيدي وهو الذي قال للكسائي يوما في بعض مناظراته كيف تقول ان من خير القوم أو خيرهم نية زيدا وزيد افقال الكسائي زيد بالرفع فقال أخطأت علام ترفعه قال انه خبر ان قال فأين اسمها ٣ فالتبك فقال له زيد اسم ان والخبر في الجار والمجرور وهذا اليزيدي له مسائل عويصة سأل الكسائي عنها وأخطأ في الجواب منها انه سأله بحضرة هرون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكي عن قول الشاعر

٣ ما رأينا قط خربا * تقر عنه البيض صقر

لا يكون المهر مهرا * لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء فقال اليزيدي الشعر صواب لان الكلام تم عند قوله لا يكون الثانية وهي مؤكدة للاولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى انكتني بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدي ان حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ قلت وأخطأ الكسائي أيضا في تسميته هذا أقواء لان الاقواء اختلاف حركة الروي بالرفع والجر كقول النابغة في قصيدته الدالية المجرورة وبذلك أخبرنا الغراب الأسود فاما اذا كان الاختلاف بالرفع والنصب فهو

ومنها

دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما يصيبهم الا بما شاؤا

ومنها يعني ابراهيم النظام
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة
حفظت شيأ وغابت عنك اشياء

لا تحظر العفو ان كنت امرأ فطنا
فان حظرك بالدين ازراء

وقوله أيضا

قالوا ظفرت بمن تهوى فقلت لهم
الآن أطول ما كانت صبابتي

لا عذر للصب أن تهدى جوارحه
وقد تظلم فوه بالمدامات

وقوله أيضا

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى
وأضغاث ريحان جنى ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم
وانى على أمثال تلك لحابس

ولم أر منهم غير ما شهدت به
بشرقي ساباط الديار البسابس

٣ قوله فالتبك أي اختلط اه

٣ قوله خربا الخرب بفتحتين وذكر الجباري وانما سكن كالقاف من نقر للوزن اه

الاصراف والذى ذكره الحريرى من معارضة اليزيدى للمازنى بين يدى الواثق فيه تجوز لان أبا محمد اليزيدى كان يؤدب المأمون والكسائى كان يؤدب الامين وتوفى اليزيدى مع المأمون فى مرو او فى بغداد سنة مائتين واثنين والواثق تولى الامر بعد وفاة أبيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ولعل هذا اليزيدى المذكور هنا أحد أولاد أبى محمد اليزيدى لانه كان له خمسة أولاد كلهم علماء أدباء شعراء رواة للأخبار وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القاسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبيد الله وأبو يعقوب اسحق وكلهم ألف فى اللغة والعربية فان كان ذلك المذكور أحدا من هؤلاء فكان ينبغى أن يعينه ولا يطلق لفظ اليزيدى لانه لا يفهم منه الا أبو محمد يحيى اليزيدى (رجع) نقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان ما صورته نقلت من خط القاضى كمال الدين ابن العديم من مسودة تاريخه ان ابن الرقاق البلنسى الشاعر المشهور كان يسهر فى الليل ويشتغل بالأدب وكان ابوه فقيرا حدادا فلامه ابوه وقال نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق انه برع فى العلم وقال الشعر وعمل فى ابى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

يا شمس خدرها لها مغرب * أراعة دارك ام غرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * اين استقرت بعدنا زينب
لم تسر الا بشذا عرفها * اولا فهذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فأمر له بثلثمائة دينار فجاء الى ابيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها واشتر بها زيتا وذكرت ببلنسية هنا ما حكاه صاحب الريحان والريعان قال حضر شاب ذكى فى بعض مجالس الأدب فقال بعضهم ما تصحيف فحكت لحيتى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه بالجواب وكان فى المجلس شاعر من اهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحف ببلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسى يقول صدق ظنى فيك انك تدعى وتنتحل ما تقول ويحك والفتى يضحك ثم قال له الفتى اشعر فأنت شاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول هو ذا التقتنى بعض الحاضرين بعد حين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فجعل المنازع ومضى الى الشاب معتذرا معترفا اه قلت وقال آخر لا آخر ما تصحيف نصحت فوضعت فجعل لا يهتدى الى تصحيفه فلما اعياه الامر قال له ما تصحيفه قال تصحيف صعب قال بالله قل لى ما تصحيفه قال تصحيف صعب ولم يزالا كذلك هو يسأله وذاك يجيبه ولم يهتد الى أن ذلك هو الجواب وقال آخر لآخر ما تصحيف استنصح ثقة ففكر زمانا فلما أعياه قال له لم يظهر لى ايش تصحيفه فقال له قد أجبت ولم تعلم بأنك قد أجبت ومن التصحيف ما كتب به ابراهيم بن المهدى الى اسحق بن ابراهيم النديم أى شئ تصحيف لا ترج مثل الاسنة فكتب لا برث جميل الابيضة فكتب اليه ابراهيم فما تصحيف هذا فكتب اليه وانه منك وحكى أن الامام الناصر قال لابن الدباهى وقد اشترى مملوكا اسمه بليه يا ابن الدباهى ثلثه ثلثه فقال يا أمير المؤمنين لا تعدو مثل هذا ما قاله لى بعض الاصحاب وقد رأى معى مفاتيح سلسلة يعنى به تنيك تنيكه فقلت بقناديل أى

بقياد تنك

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوما له يوم الترحل خامس
تدور علينا الراح فى عسجدية
حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها
مهاتدريها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبنا
وللماء ما دارت عليه القلانس
كان الجاحظ يقول وجدنا الشعراء تجاذبوا المعانى الا قول عنترة فى وصف الذباب
هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الاجذم
وقول أبى نواس يصف الكاس يعنى فى هذه الابيات السبعة فان أحدا من الشعراء لم يجسر التعرض لها وقوله
كيف النزوع عن الصبا والكاس
قس ذا الغواية عاذلى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى
عن ان تجىء الى فى بالكاس
وقوله
يقولون فى الشيب الوقار لاهله
وشيبى بحمد الله غير وقار
اذا كنت لا أنفك عن أريحية
الى رشا يسعى بكاس عقار
وقوله
ظلت حيا الكاس تبسطنا
حتى تهتك بيننا الستر
فى مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر

بقياد تلك وأحسن تصحيف رأيته في سلسلة بث بليتي له وهو أحسن من قولهم نيتك تنيكه وحكي أن ابن منقذ قال لابن الساعاتي الشاعر وكان مليحا في حال صباه حسن الصورة والخلق أجبي واحدة شكم فاجابه في الحال مرويك وحكي أن المتوكل قال لابن ماسويه بعت بيتي بقصرين فقال بطين آجوغدا كله قال الخليفة تعشيت فضرني فقال الطبيب بطبي اخوغدا كله ونقلت من خط السراج الوراق له

أتيت أرجيه في حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقتل في ذقنه والنقوس * تعاف المقتلة البارده
وكبدي مقطعة دونها * ونيرانها لم تكن خامده
فقلت له خل تقتيلها * وصحف عسى خلفها فائده

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

ما زلت مذ غبت عنك في بلدي * حتى اذا ما أزحت علتها
أقمت أجرانها على عجل * وبعد هذا خزنت غلتها

وقال آخر أيضا

وقد كان فيما مضى دابة * تحن علينا وتبغي رضانا
فماتت فآلمنا فقدها * فنحن جميعا عليها حزانا

وقال ابو عبد الرحمن حمزة الاصفهاني في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف سمعت ابن دريد يقول وجدت للجاحظ في كتاب البيان تصحيفا شنيعا في الموضع الذي يقول فيه حدثني محمد بن سلام الجمحي قال سمعت يونس يقول ما جاءنا عن احد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو البتي فأما النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك عند المسلم والذمي أنه أفصح الخلق اه كلام حمزة قلت وقد قلده جماعة من علماء الادب كالابي وغيره وهذا فيه بعد كبير على الجاحظ وهو ماهر في الادب وغيره ولا يجوز أن يقع الجاحظ في مثل ذلك لوجوه الاول انه لا يخفى هذا على من هو دونه الثاني انه قال البتي بالباء والتاء وانما الناسخ هو الذي حرف ذلك وصحفه بالنبي بالنون والباء وما رأى ذكر النبي بدون ان يقول صلى الله عليه وسلم على عادة الناسخ الثالث أن الجاحظ قال سمعت يونس يقول فهو نقله عنه سماعا من لفظه والسماع لا يقع فيه التصحيف ولئن كان الامر كذلك فينبغي أن يغلط يونس دون الجاحظ قاعدة التحقيق يقتضي ان القاف والنون والياء آخر الحروف اذا وقعت أخيرة لا تصحف لان القاف لا تشبه الفاء والنون لا تشبه الباء ولا التاء ولا الثاء وكذلك الياء أيضا ولا يصحف حبيبي بحسن لان الصورتين مختلفتان ولكن الناس تساهلوا في ذلك والتحقيق ما ذكرته لان محققي الكتاب اذا وقعت هذه الحروف متطرفات لا ينقطونهن لعدم اللبس فاعرف ذلك

(اعلل النفس بالآمال أرقبها * ما اضيق الدهر لولا فسحة الامل)

(اللغة) علله بالشئ لهاه به كما يعلل الصبي بشئ من الطعام ويعلل نفسه بتعلة أي يلهي وعل الشئ فهو معلول وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام أبو الفتح محمد بن محمد بن سيدا الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة مطولة

ياخالي القلب قلبي في محبتهم * لك السلامة مشغوف ومشغول

ولقد تجوب بي الفلاة اذا
صام النهار وقالت العفر
شدفية رعت الحمى فاتت
مل الجبال كأنها قصر
ومنها
يسعى اليك بها بنو امل
عتبوا فاعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
ذكر بعض العلماء في قوله وحلت الخمر أربعة أوجه الاول أن طيب المكان وتكامل السرور صار مقتضيا الشرب الخمر ومايئا الى تناولها وراقما للحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة وفائدة وصفها بأنها حلت المبالغة في الوصف بالحسن والجمال الثاني ان يكون آلى على نفسه أن لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع بمحبوبه فكان الاجتماع به مخمرا من يمينه على عادة العرب وعلى ذلك قول امرئ القيس
حلت لي الخمر وكنت امرأ
عن شربها في شغل شاغل
الثالث يريد بحلت نزلت من الحلول لا من الحلال كأنه وصف بلوغ آرابه وانها تكاملت بحضور الخمر الرابع اننا استحللنا الخمر بكرنا وذهولنا والى ذلك أشار في المعنى بقوله

مضى بهم وبياض من تذكرهم * يعيده فهو مغلول ومعلول

النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

تجاسالم والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا

أي بجفن سيف ومئزر والنفس لغة الدم يقال سالت نفسه وفي الحديث ما الانفس له سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بني سحيم أدخلوا * أبياتهم تامور نفس المنذر

والتأمور الدم واما قولهم ثلاثة أنفس فانهم يريدون بذلك الانسان هذا قول أصحاب اللغة والفقهاء وافقوهم على ذلك وأما ارباب المعقول فقد اختلفوا في حقيقة النفس ما هي اختلافا كثيرا الى الغاية وأما الحكماء فقالوا النفس عبارة عن هذه الأجزاء النارية السارية في هذا الهيكل لان النار خاصتها الاشراق والحركة ولهذا قال الاطباء ان مدبر الجسد هو الحار الغريزي وهذا رأي أفلاطون ومن تابعه ومنهم من قال هو عبارة عن هذا الهواء لانه متى كان النفس مترددا كانت الحياة باقية فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد في مخارق البدن ولانه لا لون له ويدخل في المنافس الضيقة وهذا رأي ديوجينس ومن تابعه ومنهم من قال النفس عبارة عن الماء لانه سبب لحصول النشو والنمو والنفس كذلك فكانت هي الماء وهذا رأي تاليس الملطي وهذه الاقوال فاسدة لان الاشتراك في بعض الصفات لا يوجب التساوي في تمام الماهية ومنهم من قال النفس عبارة عن مجموع الاخلاط الاربعة بشرط أن يكون كل واحد له قدر معين لانه ما دامت هذه الاخلاط باقية على كيفياتها المخصوصة وكيفياتها المنصوصة فالحياة باقية وهذا ضعيف أيضا لانه لا يثبت العلم بمجرد الدرر ومنهم من قال النفس عبارة عن الدم لانه أشرف اخلاط البدن ومتى نزف الدم عن الجسد فارقته الحياة وهذا رأي جالينوس ومن تابعه من الاطباء فوافقوا الفقهاء واهل اللغة وهذا ضعيف لان الجسد يعرض له عدم الحياة والدم فيه ولانه كان ينبغي ان تزيد النفس بزيادة الدم في البدن وان تقوى معلوماتها وادراكاتها وتضعف بقلته في البدن والقضية بالعكس فان الصائم والضعيف يقوى ادراكهما ومنهم من قال ان العناصر المركبة مختلفة في ماهياتها فاللطيف منها لا ينقلب كثيفا وبالعكس وكذا القول في الرطب واليابس والحار والبارد فثبت أن النفس أجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها وتلك الأجسام اذا شابكت هذا الهيكل المحسوس وسرت فيه سريان ماء الورد في الورد والدهن في السمسم صار هذا الهيكل حيا بتلك المشابكة ولا يتطرق الذبول والانحلال الى هذا الهيكل دون تلك الأجسام اللطيفة الحية والاخلاط فيها قابلية لتلك الاجزاء فمتى ذهبت القابلية من الاعضاء والاخلاط انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة الحية وكان ذلك هو الموت وهذا القول مشكل لانه يلزم من هذا أنه اذا قطعت أطراف الانسان اما ان يذهب كل طرف بما فيه من النفس وهو باطل لانه يوجب ضعف النفس في تدبير البدن وضعف الادراك والعلم واما ان تتداخل تلك الاجسام في الجسد الذي بقي ويقوى تدبير النفس للبدن في الحركة وقوة الادراك لان تلك الاجزاء تقلصت واجتمعت في هذا الباقي وهذا فيه قول بتداخل الاجسام وهو محال ومنهم من قال النفس عبارة عن الاجسام اللطيفة المتكونة في البطن الأيسر من القلب النافذة في الشرايين الذاهبة منه الى كل اجزاء البدن ومنهم من قال النفس عبارة عن الارواح المتكونة في الدماغ الصالحة

ذريني اكثر حاسديك برحلة
الى بلد فيه الخصيب اسير
اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا
فأي فتى بعد الخصيب تزور

ومنها

فان تولني منك الجميل فأهله
والا فاني عاذر وشكور

وقوله ايضا من ابيات رويت منها هذين البيتين

لقد أتقيت الله حق تقاته
وجهدت نفسك فوق جهد المتقي

وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التي لم تخلق

احتج له في بعض العلماء في هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيأ خافه بجميع وجوده فكأن الاعداء خافته ونطفها في ذلك الوقت دم فجرى الخوف في الدم فجرى الدم في الاخلاط واستحالت الى مني بعد الانعقاد والنضج التام فانعقد منه في الرحم فتكون انسان فخافته من هذا القبيل وهذا أمر غامض والامر فيه محتمل وقال آخر خافته ذرية آدم منذ أخذ الله تعالى عليها الميثاق وهي في ظهر أبينا آدم حين قال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فابت في ظهر آدم صلوات الله وسلامه عليه القول الاول أمكن عند الحكماء وأما الثاني فهو قريب من باب الاحتمال وقوله

لقبول قوة الحس والحركة والحفظ والفكر والذكر النافذة من الدماغ في شظايا الأعصاب النابتة منه الى أقاصي البدن ومنهم من قال أجزاء هذا البدن على قسمين بعضها أجزاء أصلية باقية من أول العمر الى آخره من غير أن يتطرق اليها شئ من التغيرات والانحلال والزيادة والنقصان وبعضها أجزاء عارضية تبعية تارة تزداد وتارة تنقص فالنفس والشئ الذي يشير اليه كل أحد بقوله أنا هو القسم الاول قال الامام فخر الدين وهذا القول اختيار المحققين من المتكلمين وبهذا القول يظهر الجواب عن أكثر شبهات منكري البعث والنشور اه وقال بعض المحققين النفوس جواهر روحانية ليست بجسم ولا جسمانية لا داخلة البدن ولا خارجة عنه لا متصلة به ولا منفصلة عنه لها تعلق بالأجساد تشبه علاقة العاشق بالمعشوق وهذا القول ذهب اليه أبو حامد الغزالي في بعض كتبه ونقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ وما رأيت للنفس مثالا أحسن من هذا ويقال ان بعض المتكلمين سئل عن الروح والنفس فقال الروح هي الريح والنفس هي النفس فقال له السائل فعلى هذا اذا تنفس الانسان خرجت نفسه واذا ضرط خرجت روحه فانقلب الخلس ضحكا وهذه مسئلة عظيمة تتجاذب الأدلة فيها وتتعارض وتصح البراهين فيها وتتمارض وما أقول فيها الا ما نطق به القرآن الكريم من قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فقد اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا وتمسكوا فيه بأدلة تؤيد من كل مذهب ما ادعاه أربابه وجزم بأنه الحق قال الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن الزملكاني في مصنف له قال القاضي عياض ما معناه اختلاف الناس في الروح اختلافا كثيرا لا يكاد ينحصر فقال كثير من أرباب المعاني وعلم الباطن والمتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه اه قلت ولله در أبي الطيب اذ يقول

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم * الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة * وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا وبهجتها * أقامه الفكر بين العجز والتعب

والقاضي الفاضل حيث يقول

والشعر ثوب طالت عنه وربما * تتعثر الشعراء في أذياله
سهل على الاسماع لا الاطماع في * تقريب مطمعه وبعد مناله
كالروح تدركه العقول بفعله * ويضل عنه الفكر في تحواله

رجع الآمال جمع أمل وتقدم الكلام عليه أرقبها أرصدها الدهر تقدم الكلام عليه نسحة الأمل فسحة الشئ سعته ومكان فسيح ومجلس فسيح اذا كان واسعا (الاعراب أعال) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنا (النفس) منصوب لانه مفعول به (بالآمال) الباء هنا للتعدية وهي متعلقة بأعال والجار والمجرور في موضع نصب (أرقبها) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضمير في موضع نصب لانه مفعول به وهو يعود الى الآمال والجملة في موضع نصب على الحال تقديره أعال النفس بالآمال مرتقبا لها (ما) هنا هي التي للتعجب وقد تقدم الكلام على تقسيمها وهي هنا على مذهب سيبويه نكرة غير موصوفة فهي في موضع رفع على الابتداء وساغ الابتداء بها

ربنا والعيون ترمقه
تجرح منه مواضع القبل
أفرغ في قالب الجمال فما
يصلح الا لذلك العمل

وقوله أيضا وقد هجا بعضهم فسمع منه ما لا يرضيه فقال

ما أنت بالحر فيلحى ولا
بالعبد يرجى نفعه بالعصا
فرحمة الله على آدم
رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدري انه خارج
مثلك من حليله لاختصى

وأما قوله في أمر الزهد فأنشد يوما هذين البيتين يقول

ألا رب وجه في التراب عتيق
ويا رب حسن في التراب رقيق
اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو في ثياب صديق

وقوله من أبيات يرثي بها الامين وكأنها مطولة والله أعلم

طوى الدهر ما بيني وبين محمد
وليس لما تطوي المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده
فلم يبق لي شئ عليه أحاذر

(والمعنى يقول أبى تمام فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من شرف الطباع) هذا البيت لابي تمام من قصيدة مطولة ستأتي ان شاء الله تعالى في آخر ترجمته وهو حبيب بن أوس بن الحرث

لانها فى تقدير التخصيص والمعنى شئ عظيم مثل شر اهر ذا ناب وجملة (أضيق) خبر المبتدأ واختلف فى أفعل التعجب فقال قوم انه فعل لانه تدخله نون الوقاية تقول ما أكرمنى وهى مما يدخل على الافعال وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون انه اسم لانه يصغر وأنشدوا على ذلك

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا * من هؤلاء بين الضال والسمر

ومذهب البصريين أقوى لأدلة ذكرت فى مواطنها وللتعجب صيغتان وهما أفعل وأفعل به تقول ما أكرمه وأكرم به وهاتان الصيغتان ممنوعتان من الصرف والبناء على غيرهذه الصيغة التى جعلت لهما ولا يبنيان من فعل زائد على الثلاثة وأجاز سيبويه بناءه من أفعل كقولهم ما أعطاه للدرهم وما أولاه للمعروف ولا يبنيان من غير متصرف كنعم وبئس ولا من فعل لا يقبل التفاوت نحو مات وفنى لانه لا مزية فيه لقائله بل فاعلوه متساوون فيه ولا من فعل ملازم للنفى نحو ما عاج زيد بهذا الدواء أى ما انتفع به لانه لم يستعمل الا فى النفى ولا من فعل اسم فاعله على أفعل وهذا يجئ فى الالوان والعاهات نحو سود فهو أسود وخضر الزرع فهو أخضر وعرج فهو أعرج وحول فهو أحول لان فعل هذين أكثر ما يجئ بزيادة اللام على وزن أفعل نحو أحمر وأخضر وأعور وأحول فان أردت التعجب منهما قلت ما أشد سواده وبياضه وما أشد عرجه وحوله ولا يبنيان من فعل مبنى للمفعول نحو ضرب لئلا يلتبس التعجب منه بالتعجب من فعل الفاعل قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك ولو كان الالتباس مأمونا مثل أن يكون العفل لازما للبناء نحو وقص الرجل وسقط فى يده لكان فعل التعجب منهما خليقا بالجواز اه وقد دارت هذه المسئلة أعنى ضرب زيد وبناء التعجب منه بين أبى جعفر النحاس وبين أبى العباس بن ولاد وجرى بينهما بحث طويل نقض كل منهما كلام الآخر وبعث كل منهما الى ابن بدر النحوى ببغداد فمال مع أبى العباس على أبى جعفر وكأنه ارتشى وقال أبو القاسم الشاطبى وقد وقفت على هذه المسائل فأبو جعفر يسلك فى كلامه طريق النحاة وأبو العباس لذ كما ذكر ذلك علم الدين السخاوى فى سفر السعادة وفيما دار بينهما فوائد جمة (رجع الدهر) منصوب على التعجب وهو فاعل فى المعنى فعل الفعل المتعجب منه ولكن دخلت عليه همزة النقل فصار الفاعل مفعولا كأنك قلت شئ عظيم ضيق الدهر (لولا) حرف يمتنع به الشئ لامتناع غيره وهى هنا امتناعية وقد تكون تحضيضية كقوله تعالى لولا أخرتنى الى أجل قريب وحكى أبو جعفر النحاس أنها تكون نافية فى مثل قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها أى فما كانت وهى عند الناس هنا للتحضيض وقيل انها مركبة من لو ولا (فسحة الامل) فسحة مبتدأ ومنهم من قال يرتفع ما بعد لولا بفعل مضمر تقديره لولا حضر أو وجد وليس بشئ ومنهم من قال ارتفع بلولا وليس بشئ ايضا لان لولا غير مختصة والخبر هنا محذوف لان المبتدأ اذا وقع بعد لولا حذف خبره وتقديره لولا فسحة الامل موجودة وانما يحذف الخبر بعد لولا للعلم به لانك تقول لولا زيد لزرتك اى لولا زيد مانع او موجود قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فعلى ما قاله الجماعة يكون بيت المعرى لحنا وعلى ما قاله الرمانى وهو الصحيح لا لحن فيه اه قلت أما بيت المعرى فهو قوله

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

الطائى الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة أقول بأنه ولد فى سنة تسعين ومائة ومات فى سنة ست وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بقرية يقال لها جاسم وهى من أعمال حوران من بلاد دمشق وكان أبوه نصرانيا وكان اذ ذاك أبو تمام بمصر القاهرة فى حداثته يسقى الماء بالمسجد الجامع ثم جالس الادباء وأخذ عنهم من النظم والنثر والأدب والفضل ما لا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء وأصحاب الفضل فلم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره فى العصر وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سرا برأى بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه حدث على ابن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون فى كل جمعة فى القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم فى الجمعة التى قبلها فبينا أنا فى جمعة من تلك الجمع

٣ (قوله لامتناع غيره) صوابه لوجود غيره اه

قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قالوا حذف خبر المبتدا بعد لولا واجب لان ما في لولا من معنى الوجود دل عليه وقال ان كان الخبر معلوما وجب حذفه كما قال النحاة وان كان مجهولا وجب ذكره فانا اذا قلنا لولا زيد لا كرمتك ان أردنا لولا زيد حاضر أو موجود أو غير ذلك مما يدل عليه قوة الكلام وجب الحذف كما ذكرتم للدلالة عليه وطول الكلام وان اردنا به لولا زيد يلبس كذا او يركب كذا او يفعل فعلا ليس في اللفظ دلالة عليه وجب ذكره حينئذ والا كان في حذفه تكليف السامع علم الغيب وانشد على ظهور الخبر قول الشاعر * فوالله لولا الله لا شئ غيره * وقوله ايضا * فوالله لولا الله تخشى عواقبه * وابيانا غير ذلك اه ما حكاه ابن النحاس وقال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل وجب حذف خبر لولا الامتناعية لانه معلوم بمقتضى لولا اذهي دالة على امتناع الثبوت والمدلول على امتناعه هو الجواب والمدلول على ثبوته هو المبتدا ثم قال فيما بعد والمراد بالثبوت هنا الكون المطلق فلو اريد كون مقيد دلا دليل عليه لم يجز الحذف نحو لولا زيد سالمنا ما سلم ولولا عمرو عندنا لهلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديث عهد بكفر لاسست البيت على قواعد ابراهيم فلو اريد كون مقيد مدلول عليه جاز الاثبات والحذف نحو لولا انصار زيد جوه ولم يجز فهموه خبر مفهوم المعنى فيجوز اثباته وحذفه ومن هذا القبيل قول المعري وانشد البيت ثم قال وهذا الذي ذهب اليه الرماني وابن الشجري والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس ومن ذكر الخبر بعد لولا قول ابي عطاء السندي

لولا ابوك ولولا قبله عمر * القت اليك معد بالمقاليد

اه كلامه وفي حذف خبر لولا قال السراج الوراق ومن خطه نقلت

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى

وجوابي يلغى يحاكي للولا * خبر الوأتوابه ما أفادا

وذكرت بيت أبي العلاء المعري قول بن المعتز

يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

وقوله ايضا يصف فرسا

يكاد أن يخرج من اهابه * اذا تدلى السوط لولا اللبب

وقول أبي الشيص في مثل هذا

لولا التمنطق والسوار معا * والحجل والدملوج في العضد

لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

وأخذ أبو الطيب هذا ديباجا منقوشا وأعاده ساجا مخدوشا فقال

ترفع ثوبها الارداف عنها * فيبقى من وشاحيها شسوعا

اذا ماست رأيت لها ارتجاجا * له لولا سواعدها نزوعا

وأخذه أيضا كمال الدين علي بن النبيه تبرا وأعاده دررا فقال

لها معصم لولا السوار يصده * اذا حسرت أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول الآخر

لها من الليل البهيم طرة * على جبين واضح نهاره

ودعبل وابن أبي الشيص وابن أبي فنن والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم بعضا أبصرت شابا في أخريات الناس جالسا في زي الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع انشاده التفت الشاب الينا وقد قال سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادي فقلنا هات فأنشد

* فخوالك عين علي * نحوالك ياندل *

ثم مر فيها منشدا حتى اتى الى قوله

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد ابو الشيص عند هذا البيت خنصره ثم مر فيها الشاب الى ان اتى على آخرها ثم انشد قصيدة اخرى فقلنا له ايها الشاب لمن هذا الشعر فقال لمن انشدكموه قلنا له ناشدناك الله من تكون فضحك وقال انا ابو تمام الطائي فرفعنا مجلسه حينئذ وعظمناه تعظيما كبيرا واشتد اعجابنا به لدماثة اخلاقه وفصاحة منطقه وجودة شعره ثم انني ما عرفت عقد خنصر ابي الشيص هل كان اعجابا به مما سمع في البيت من البديع المرقص او اخذا عليه في اسكان الياء في قوله حتى ظننت قوافيه اعني من لفظة قوافيه وهي ضرورة

ومعصم يكاد يجرى رقة * وانما يعصمه سواره

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى شمس الدين محمد بن المحدث لوالده عز الدين بن عبد الرزاق

قالت وقد صرت كطيف الخيال * كيف ترى فعل الدمى بالرجال
وسددت سهما الى مقتلى * تقول هل فيك لدفع النصال
رقيقة الجسم فلولا الذى * يمسكه من قسوة القلب زال

(المعنى) أمنى النفس وأعلاها رقة الآمال وانتظار بلوغها وادراكها فيتسع لها ما ضاق عليها من الدهر أو من العيش ثم قال ما أضيق الدهر لولا ان فسحة الامل توسعه وفى الآمال راحة للنفوس قال صلى الله عليه وسلم الامل رحمة لامتى ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا ومن هنا قال الحسن لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته خربت الدنيا وقال بن المعتز فيما أظن نعم الرفيق الأمل ان لم يبلغك فقد آنسك واستمتعت به والاصل فى هذا قول بن ميادة

أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظمإ بردا
منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وما أحسن قول القاضى الفاضل وقد وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلا منى وكل امرئ أمانيه تليق بما اليه قيل للامام أحمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لبعض الوراقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا أريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لى خالقى تمن * قلت له سائلا بصدق
أريد فى صبح كل يوم * فتوح خير بأنى برزق
كف حشيش ورطل لحم * ومن خبز ونيك علق

وقال آخر

لو قيل ما تتمنى قلت فى عجل * أخا صدوقا أنيسا غير خوان
اذا فعلت جميلا ظل يشكرنى * وان أسأت تلقانى بغفران

وقيل لبعض العشاق ما تتمنى فقال اعين الرقبا والسنة الوشاة وأكباد الحساد واخذ هذا بعضهم ونظمه فقال

قال لى عودى غداة اتونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلت مقلى فيه لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
واضيفت اليه كبد حسود * فقمت فوقها عيون رقيب

وقال آخر

عندى لكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
أشوى قلوب الحاسدين بها وأسـ * ـنة الوشاة وأعين الرقباء

وقيل لبعض الاعراب ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازجة الحبيب وغيبة الرقيب وقال

جائزة عند الشعراء ثم ترقت حال ابى تمام وتمول بالمال الجزيل حتى عاد الى بلده فضرب خياما واظهر نعمة واثاثا فخرجت امرأة من بعض احياء العرب ومعها اختها يستقيان فتأملته زمانا ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل قالت لا والله قالت بلى والله أنا أعرفه قالت ومن هو قالت انه والله أقسم جاسم فلما سمع ما قالت النسوة رحل من وقته وساعته وعاد الى الموصل فما زال بها الى أن مات رحمة الله تعالى عليه * وحكى البحترى قال دخلت على سعيد بن اسلم الطائى فانشدته قصيدتى فى مدحه التى أولها أفاق صب من هوى فأفاقا والى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل على ذلك الشخص وقال أما تستحى ان تنتحل شعرى وتنشده بحضورى ثم مر فى القصيدة فانشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت الى وقال يا ابن أخى قد كان فى الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل انه أبو تمام الطائى فلما بعدت لحقنى الحاجب وأمرنى بالعود واذا أبو تمام

الاصمعي سئل امرؤ القيس ما أطيب لذات الدنيا فقال بيضاء عجوبه بالشحم مكروبه بالمسك مشبوبه وسئل الاعشى عن ذلك فقال صهباء صافيه تمزجها باقيه من صوب غاديه وسئل طرفة عن ذلك فقال مركب وملى وثوب بهى ومطعم شهى قال العكوك فحدثت أبا دلف بذلك فقال

أطيب الطيبات قتل الاعادى * واختيالى على متون الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب * وحبيب يأتى بلا ميعاد

وحدثت بذلك حميد الطوسى فقال

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

وحدثت بذلك الزبير بن عبد الله فقال ما أدرى ما أقول ولكنى أقول هكذا

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

اه قلت أخبرنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالديار المصرية سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال قرأت على أستاذنا العلامة أبى جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الحافظ المؤرخ حفظا عن ظهر قلب الاشعار الستة ومنها ديوان طرفة ابن العبد فمن ذلك قوله فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى الابيات الاربعة قال الشيخ أثير الدين قوله وجدك أى وسعدك والعواد الزائرون فى المرض والعاذلات اللائمات والشربة هنا الخمر وكميت فيها حمرة وبياض وتعل تمزج وتزبد تصير عليها رغوة وكرى عطفى والمضاف المستغيث ومحنبا فرسا قويا والسيد الذئب والغضا شجر والمتورد الذى صار لونه أحمر من دم الفرائس والدجن الغيم الذى فيه المطر والبهكنة الجارية الناعمة والمعمد الذى له العمد وأخبرنى أيضا من لفظه قال أنشدنا شيخنا الشيخ الناقل النسابة حافظ المشرق والمغرب شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطى يوم الاربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وثمانين بالقاهرة بقراءتى عليه قال أنشدنا الشيخ الامام العالم الصاحب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبى الحديد المعتزلى ببغداد ومولده بالمدائن يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة لنفسه

لولا ثلاث لم أخف صرعتى * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل فى * كل مكان باذلا جهدى
وان أناجى الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وان آتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لا فتاة ولا * خمر ولا ذى مية نهد

وأخبرنى من لفظه أيضا قال وجدت فى كتاب طرف الخالسه وملح المؤانسه تأليف الكاتب الرئيس أبى عمرو عثمان بن أبى بكر بن يحيى المرابط وقد رأيته بغرناطة مما أنشده

يفصلك فاستدنانى وقال
يا سيدى الشعر لك وانما
هذه عادتى فى حفظ القصيدة
من مرة واحدة ولقد نعيت
الى نفسى فانه ما نبغ من
قبيلة مجيد أو شريف الا مات
من كان قبله مثله أو ما سمعت
قول الشاعر
اذا مقدم منا ذر احدنابه
تخرمطمنا ناب آخر مقده
فقلت بل يجعلنى الله فداك
ثم لزمته وكان محسنا الى الى
ان مات وحكى أبو حيان قال
كان لابى تمام صديق يسكر
من قدحين فكتب اليه
يستدعيه الى الشرب ان
رأيت ان تنام عندنا الليلة
فافعل * ومن محاسن شعره
قوله
الى قطب الدنيا الذى لو بفضله
مدحت بنى الدنيا كفتهم
فضائله
تعود بسط الكف حتى لو انه
ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله
وقوله ايضا
ومرحب بالزائرين وبشره
يغنيك عن أهل لديه ومرحب
يعطى عطاء المنعم المتفضل
الندى
عفوا ويعتذر اعتذار المذنب
وقوله ايضا
قوم اذا اوعدوا اووا عدوا
غمروا
صدقا ذوائب ما قالوا بما فعلوا

للامام المحدث ضياء الدين أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي الظاهري وقد أخبرني عن ابن صابر الاستاذ أبو جعفر بن الزبير

لولا ثلاث هن من والله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل التوبة والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهل ود أسأل الله أن * يمتع بالبقا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت انى اتى * بل لم أكن اللذ بالحيا

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه

* أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت اني لا أعد من الاحيا
فمنهن رجائي ان أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا ويحمد لي سعيا
ومنهن صون النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي للحديث اذا الورى * تواسنة المختار واتبعوا الرأيا
أتترك نصا للرسول وتقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقلت أنا في هذه المادة على وزن أبيات ابن الحديد ورويه

لولا ثلاث هن أقصى المنى * لم أهب الموت الذي يردي
تكميل ذاتي بالعلوم التي * تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في رد الحقوق التي * لصاحب نلت به قصدي
وان أرى الاعداء في صرعة * لقيتها من جمعهم وحدي
فبعدها اليوم الذي حم لي * عندي استوى في القرب والبعد

وقد تمنى الناس كثيرا ولا مثل تمني كثير عزة في قوله

وددت وحق الله انك بكرة * وأني هجان مصعب ثم نهرب
كلانا به عرفن يرتاد نقلة * على حسنها جرباء تعدي وأجرب
فتكون لذي مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فمنا تنفلت نرمي ونضرب

روي أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها استنشدته الابيات فلما أنشدها قالت له ويحك لقد أردت الشقاء بي أما وجدت امنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزاري حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت لراعتني وقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال آخر

تمنيت من حبي بثينة اننا * وثدنا جميعا ثم تحيى ولا أحيا
فترجع دنياها عليها وانني * بساعة ضميها رضيت من الدنيا

يستعذبون منايا هم كأنهم
لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله ايضا

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري نحب الركاب بفنائها
محيي القريض الى مميت المال

وقوله ايضا

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله ايضا

ليس الحجاب بمقص منك لي املا
ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله ايضا

توفيت الآمال بعد محمد
واصبح في شغل عن السفر السفر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة
غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
كأن بني نبهان عند وفاته
نجوم سماء خر من بينها البدر
لئن ابعد الدهر المخؤون بفقده
لمهدى به من يحب له الدهر

وقوله ايضا

اذا فقد المفقود من آل مالك
تقطع قلبي رحمة للكارم

وقلت أنا

هل يكتسي المحبوب قبحا زائدا * بدلا من الحسن الذي غطاه
وأراه بالعين الذي أبصرته * كي لا أرى غيري قتيل هواه

وقال أبو عثمان سعيد بن حميد

لامت قبلك بل أحيا وأنت معا * ولا أعيش الى يوم تموتينا
لكن نعيش كما نهوى ونأمله * ويرغم الله فينا أنف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن موتتنا * وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصني بانة ذبلا * من بعد ما نضرا واستحسنا حينا
في مثل طرفة عين لا أذوق شجا * من الممات ولا أيضا تذوقينا
ثم السلام علينا في مضاجعنا * حتى نقوم الى ميزان منشينا
فان تنل عفوه فالخلد يجمعنا * ان شاء أو في لظى ان شاء يلقينا
اذا التظت بردتها بيننا قبل * وبردريق على اللوعات يشفينا
حتى يقول جميع الخالدين بها * ياليت أنا معا كنا محبينا

والاصل في هذا قول بعضهم

وليت سلمى في المعاد ضجيعتي * هنا أو هنا في جنة أو جهنم

وأبان العباس بن الاحنف عن غلطة لم تعهد منه في عشقه حيث قال

ألا ليتنا نعمى اذا حيل بيننا * وتنسأ لنا أبصارنا حين نلتقي
أضن على الدنيا بطرفي وطرفها * فهل بعد هذا من فعال لمشفق

ولم يرح مع محبوبه رأسا برأس حتى يدعي ان هذا غاية ما يكون من الاشفاق ومن البر ما يكون عقوقا وأما الدعاء على المحبوب فهو كثير ومن أحسن ما في هذا الباب قول بعضهم

ياذا الذي كل يوم * يزيد عقلي خبالا
ولهفتي فيه حتى * أعاد رشدي ضلالا
أدعو عليك وقلبي * يقول يارب لا لا

وقول الآخر من موشحه

شكوت ما لي اليه * فلم يرق لذلي
فقلت لامت حتى * أراك في العشق مثلي
وقلت في السر منه * يارب لا تستجب لي

وهو مأخوذ من قول الآخر

أيها المعرض صفحا * عن خطابي وجوابي
لا أزال الله عمري * أو يريني بك مابي
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبي ان يرى قل * بك في مثل عذابي

وقول الآخر

ولما بدا لي أنه غير زائري * وان هواه ليس عني بمنجلي

الم تر بالايام كيف فجعننا
به ثم قد شارکننا في المآتم
رواكد تقصى الكف من متناول
وفيها علال ترتقي بالسلالم
بني مالك قد نبهت خامل الثرى
قبور لكم مستشرفات المعالم

وقوله ايضا

ورأت شحوبا رابها في جسمه
ماذا يريبك من جواد مضمر
عفت به الايام حتى انها
لتكاد تفجؤه بمالم يقدر

واكثر شعر ابي تمام مختار وهو في الشهرة كابي الطيب فيكفي من شعره هذا القدر وما أذكر في هذا الشرح من بعض هذه التراجم التي هي من باب لزوم مالا يلزم الا لما يتضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه وأما القصيدة التي منها البيت المذكور أبو تمام بسببه فهي هذه

خذي عبرات بينك عن سماعي
وصوني ما أزلت من القناع
أآلفة الجبيب كما افتراق
أجد فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا
لموقوف على شرح الوداع
ترجيح ان رأت جسمي ضئيلا
كأن المجد يدرك بالصراع
فتى النكبات ان يأوى اذا ما
أطفن به الى خلق وساع
أبن مع السباع الماء حتى
لحاذته السباع من السباع

تمنيت أن يهوى ويخفى اعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

وقال ديك الجن

كيف الدعاء على من جار أو ظلما * ومالكى ظالم فى كل ما حكما
لا آخذ الله من أهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما

قلت ما أحقه بقولهم صار فرعون من ذكر اليس هو الذى قتل جاريته وغلامه اللذين كان يهواهما وأحرق جديهما وأخذ رمادهما وخلطه بدمهما وصنع منه بربتين للخمر فكان يضعهما فى مجلس شرابه يمينا وشمالا فاذا اشتاق اليهما قبل كل واحدة منهما قبلة وأنشد أبياته فى الجارية ومنها

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها

ثم يقبل الاخرى وينشد أبياته فى الغلام ومنها

فقتلته وبه على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والحسن يسفح دمعتى فى نحره

وقال ابو الفضل احمد بن الخازن

يا ظالمى ان للظلم مقلة * ليس تغفى
جلتى ثقل حبه * اليك يشكوه ضعفى
رفقا فديتك رفقا * فبعض ذلك يكفى
واحذر اذا الليل أرخى * ذيوله رفع كفى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم ما بى * وأنت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش * تقيك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدالى

وقال أيضا

فهم غالط منى فهما * جاءنى يسأل عما علما
مقسم ما بلغته علتى * كاذب والله فيما زعما
كيف لم يبلغه عنى سقمى * وهو المهدى الى السقما
رزق المظلوم منا رجة * ثم لا أدعو على من ظلما

ولم أدر من السابق الى هذا المعنى أهو أم الذى قال

حجبى عليك اذا خلوت كثيرة * فاذا حضرت فانى مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

وقال ابن منقذ

يا ظالما يعرض عنى اذا * دعوت غضبانا على ظالم
أظنه أنت والا فسلم * تخشى دعائى دون ذا العالم

فلب الحزم ان حاولت يوما
بأن تستطيع غير المستطاع
قال المرزوقى فى شرح هذا
البيت يقول ان أردت أن
تقدم على ما لا يقدر عليه
فأجب حزمك وعزمك
واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك
يؤديك الى النجح وهذا على
رأى من روى فلب الحزم
من التلبية ونسب بعضهم
هذا البيت الى المحال فقال
الحزم فى ترك طلاب ما لا يطاق
فكيف يعزم على ادراكه
حتى يجيبه بالتلبية وقال
المرزوقى وهذا من قائله بعيد
اذ معنى البيت أجب الحزم
وعليك به فيما تطلب من
المهمات فان الحزم يعين
على كل شئ حتى على ما لا يتأتى
ولا يتسهل وهذا كما يقال كل
ما لا يقدر عليه خلق فاستعن
فيه بكذا وكذا يريد انه
مبارك السعى ويراد بذلك
المبالغة فى تأتيه وقال آخر
أراد أن حاولت يوما لا يدخل
تحت قدرتك فأجب الحزم
فانه يدعوك الى ترك طلبه
وروى أيضا قلبت الحزم
ومن القصيدة أيضا فى المدح
أطال يدى على الايام حتى
وقيت صروفها صاعا بصاع
جعلت الجود لا لاء المساعى
وهل شمس تكون بلا شعاع
ورأيك مثل رأى السيف صحت
مشورة حده عند المصاع

يارب لاتسمع دعائى وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال ابن سناء الملك

أسر لطول أسرى فى يديه * فتغضب اذ أسر لطول أسرى
سالت الله أن يبلى بعشق * فأصبح عاشقا لكن لهجرى

وما أحسن دعاء نور الدين على بن سعيد المغربى

كم جفانى فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذا هل
لاشفى الله طرفه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

وأنشدنى المولى القاضى شهاب الدين أحمد بن غانم لنفسه

والله ما أدعو على هاجرى * الا بأن يعنى بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قدتم فى حقى

وما أحلى قول القائل

قلت لمحبوبى وقد مر بى * محبو به كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه * من طرفك الوسنان بالنار

ومن الدعاء الحسن قول بعضهم

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للأكؤس
واذا قضيت لنا بعجمة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

وقول ابن أبى الحديد

لاعانقتك من البرية كلها * الا يدا لمينى وبند قباك
كلا ولا رشفت رضابك بعدما * قد ذقته شفة سوى المسواك

ونقلت من خط شمس الدين محمد بن التلمسانى

أعز الله انصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثلت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قدبه هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين

وقال أيضا

أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
وأسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولازالت عمار الانس فيها * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

(رجع) وقد أخذ العماد الكاتب قول الطغرائى فقال

وما هذه الايام الا صحائف * نؤرخ فيها منحى ونعتق
ولم أر شيأ مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر دواد

ولو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك من كرم الطباع

(والمراد بقول أبى الطيب
ذكر الانام لنا فكأن قصيدة
كنت البديع الفرد من
أبياتها)

هذا البيت لابى الطيب
المتنبى وقد تقدم ذكره وانما
أذكره هنا لمحاسن القصيدة
التى منها هذا البيت وهى
قصيدة يمدح بها محمد بن
أحمد بن عمران التى يقول فى
أولها شرب محاسنه حرمت
ذواتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها
ثبت الجنان كأننى لم آتها
ومقانب غادرتها بمقانب
أقوات وحش كن من أقواتها

يعنى كم جيش لفقته بجيش
حتى اقتتلوا وصاروا قوتا
للوحش بعدما كان الوحش
قوتا لهم فى الصيد وفى هذا
المعنى خلل لان الوحش الذى
يقتات القتلى لاتقتاته
الفرسان فى الصيد

أقبلتها غرر الجياد كأنما
أيدى بنى عمران فى جبهاتها

يعنى وجهت الخيل قبل
وجوه هذه المقانب وهى
غرف كان بياض أيدى بنى
عمران الممدوحين فى جبهاتها
وان كان أراد ببياض أيديهم
اللون فليس فيه كبير معنى
وان كان أراد بالايدى النعم
فهو مدح وان كان من باب

تشبيه العرض بالجوهر العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها كان ينبغي أن يقول والراكب جدودهم أماتها وانما حملته الضرورة على وجه ضعيف في قولهم أكاوني البراغيث قال الواحدي والذي ذكره الناس في معنى هذا البيت أن هذه الخيل تعرفهم ويعرفونها لانها من نتائجهم تناسلت عندهم فجدود الممدوحين كانت تركب أمهات هذه الخيل وسياق الابيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين وهو قوله أقبلتها غرر الجياد واذا كان كذلك لم يستقم المعنى الا أن يدعي مدع انه قاتل على خيل الممدوحين وانهم يعطون الخيل للشعراء والذي يزيل الاشكال ان يقال الجياد اسم جنس ففي قوله غرر الجياد أراد خيل نفسه وفيما بعده أراد خيل الممدوحين والجياد يعم الخيلين جميعا ثم قال فكأنها انتجت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها ان الكرام بالا كرام منهم مثل القلوب بالاسويدا واتها بجماله حفظ العنان بانمل ما يحفظها الاشياء من عاداتها لو مر يركض في سطور وكتابة أحصى بخافر سهره ميماتها

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحي من زمن
وانما طرف آمالي به مرح * يجري بوعد الاماني مطلق الرسن

وقال ابن خفاجة الاندلسي

وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا أنس لا أن أضاحك ساعة * ثغور الاماني في وجوه المطالب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب * لاعتنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

فبت أراعي النجم حتى كأنما * بناصيتي حبل الى النجم موثق
وما طال ليلي غير أني بوعدها * أعلل نفسي بالاماني فتعلق

قلت الاول مأخوذ من قول أبي الطيب

بعيدة ما بين الجفون كأنما * عقدتم أعالي كل جفن بحاجب

وعكس ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال

فلا تجعلني كالذين رأيتهم * ومن يجعل الاقدام فوق الذوائب
اذا أبصروني نكسوا فكأنما * شوارب بهم معقودة بالحواجب

وقال الآخر في المعنى

في المنى راحة وان علتنا * من هواها ببعض ما لا يكون

وقال أبو طالب المأموني

لي في ضمير الدهر سر كامن * لابد أن تسلله الاقدار

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت اني وما أراك أراك
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني فيك باشراق ذا وبهجة ذاكا

ومن هنا أخذ الوليد بن زيدون قوله

أما مني قلبي فانت جميعه * ياليتني أصبحت بعض منا كا
يدني مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فاكا

والحاجري أخذ من هنا قوله أيضا

يمثلك الشوق الشديد لناظري * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وما أحسن قول شهاب الدين أحمد بن الخيمي

لولا الرجا بمعاد اللقاء وفي * قضيت قبل انقضاء يوم النوى أسفا
فما لقيت سلوا بعد بعدهم * لولا مداواة قلبي بالمنى تلفا

وقال رزين من شعراء الذخيرة

لا سرحن لواحظي * في ذلك الروض النضير
ولا كانك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال آخر

عليني بموعد * واطلى ماحييت به
ودعيني أفوز منك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظى فينتبه

وما أحلى قول علم الدين ايدمر المحيوى

كم لديناهما ينا * قد حوت محكم العمل
فارغات من الدنا * غير ملآنى من الأمل

أخذ المعنى من الأول وعكسه وهو

وأن رجاه كامنا فى نواله * لكالمال فى الاكياس تحت الخواتم

وقال أبو اسحق الغزى

ذرانى وأوهام المطامع فالغنى * تقوم نساياها مقام نقودها
ولو حصل الانجاز لم يبق مطمع * وجود اشتعال النار داعى خمودها

وقال صاحب كتاب الجليس والأنيس كتب رجل الى الحسن بن وهب يستمنحه وكان مضيقا عليه فكتب اليه الحسن

الجود طبعى ولكن ليس لى مال * فكيف يصنع من بالفرض يحتال
وشهوتى فى العطايا وانبساط يدى * وليس ما اشتهى يأتى به الحال
فهاك خطى فذرنى ليس لى نشب * وحيث يمكن احسان فافضال

ومن الناس من يروى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب البيت الاول من هذه الابيات وبعده

فهاك خطى الى أيام ميسرتى * يشهد على قلى فى الغيب آمال

وما علم هؤلاء المكارم على هذه الصورة الا سعيد بن العاص فانه كان اذا سأله سائل ولم يكن له مال حاضر ولا عنده ما يعطيه قال اكتب على سجلا الى أيام ميسرتى وقال مؤيد الدين الطغرائى

فصبرا معين الملك ان عن حادث * فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسن من صنع ربك انني * ضمين بان الله سوف يديل
ألم تران الليل بعد ظلامه * علينا الاسفار الصباح دليل
وان الهلال النضو يقمر بعدما * بداوهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن الروح يقلع كلما * يمر به نفح الصبا فيميل
ولا تحسبن السيف يقصف كلما * تعاوده بعد المضاء فلول
فقد يعطف الدهر الأبى عنانه * فيثنى عليل أو يميل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما * تساقط ريش واستطار نسيل
ويستانف الغصن السليب نضارة * فيورق مالم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللحظ من بعد الذهاب قفول

وكتب أبو اسحق الصابى الى الشريف الرضى

أباحسن لى فى الرجال فراسة * تعودت منها أن تقول فتصدقا

يعنى أنه لفروسيته وحسن تصرفه فى الخيل فى الكر والفر لو ركض بفرسه فى طرس مكتوب وأراد أن يحصى بحوافر مهره الممات لفعل وخص الممات لأنها أشبه بالحوافر وأدق من العينات التى هى أيضا تشبه الحوافر وأكثر وجودا فى الحروف وخص المهر لانه أشغب من غيره

لا خلق أسمج منك الا عارف
يك راء نفسك لم يقل لك هاتها
راء مقلوب رأى ومثله ناء ونأى
اعيا زوالك عن محل نلته
لا تخرج الاقمار عن هالاتها
ذكر الانام لنا فكان قصيدة
كنت البديع الفرد من أبياتها

(فكدمت فى غير مكدم واشمعنت ذا ورم ونفخت فى غير ضرم)

(الكدم) العض (والمكدوم) موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيأ لا يتمكن منه وفى بعض النسخ كرمت بالراء وهو خطأ (والورم) الانتفاخ يقال ورم يرم (والسمن) ضد الهزال مأخوذ من قول المتنبى

اعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكذلك قوله نفخت فى غير

وقد خبرتني عنك انك ماجد * ستترقى من العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه * وقلت أطال الله للسيد البقا
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها * الى أن أرى اظهارها الى مطلقا
فان مت أوان عشت فاذكر بشارتي * وأوجب بها حقا عليك محققا
وكن لي في الاولاد والأهل حافظا * اذا ما اطمأن الجنب في موضع اللقا

فأجابه الشريف بأبيات أولها

سننت لهذا الريح عضبا مذلقا * وأجريت في ذا الهند واني رونقا
لئن برقت مني مخايل عارض * لعينك يقضي أن يجود ويغدقا
فليس بساق قبل ربعك ربعا * وليس براق قبل جوّك مرتقى
فان راشني دهري اكن لك بازيا * يسرك محصورا ويرضيك مطلقا
أشاطرك العز الذي استفيده * بصفقة راض ان غنيت وأملقا
فتذهب بالشطر الذي كله غنى * وأذهب بالشطر الذي كله شقا
وتأخذ منه ما أنام وما حلا * وآخذ منه ما أمر وأرقا
فان تسلف التجميل قبل أوانه * أعضك به وجها من الود مونقا
وان تعطني الاعظام قولا فانني * سأعطيك فعلا منه أذكى وأعبقا
لعل الليالي أن يبلغن مغيبة * ويقصر عن بابا من الحظ مغلقا
نظار ولا تستبط عزمي فان ترى * عسلوقا اذا ما لم تجد متعلقا

قلت واستمر الود بينهما وهما طرفا نقيض أبو اسحق صابئ يعبد الكواكب والرضي شريف نقيب الاشراف وكانت هذه الوظيفة ببغداد اذ ذاك تناهز رتبة الخلافة الا أن أبا اسحق كاتب الانشاء عند الخليفة عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ولما توفي الصابئي رثاه الشريف الرضي بتلك القصيدة الدالية المليحة التي أولها

أرأيت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادي

واعتبه الناس على رثائه فقال انما رثيت فضله وله فيه غير هذه القصيدة ويقال انه لما رأى قبره ترحل له وأخذ بن شمس الخلافة قول الصابئي وأضمرت منه لفظة لم أبح بها البيت فقال في الصاحب صفي الدين بن شكر رحمهما الله تعالى

مدحتك ألسنة الانام مخافة * وتقارضوا لك بالثناء الاحسن
أترى الزمان مؤخرا في مدتي * حتى أعيش الى انطلاق الالسن

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعري ما العذر لولا قضاء الله في رزقه وفي حرماني
ولقد كدت أن أهيم بحمل الهم لولا تعللي بالأماني

وقال أيضا

حسب الفتى حسن الأماني انه * لا يعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمي

لي حبيب لو قيل لي ما تمني * ما تعديته ولو بالمنون

ضرم هو مأخوذ من قول عمرو بن معدي كرب حيث قال

ولو نار نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد

وسيأتي ذكر عمرو فيما بعد والمعنى ان هذه المرأة احتالت ولم تتم على شيء من حيلها

(ولم تجد لريح مهزا ولا لشفرة محزا)

(الهز) التحريك الشديد كأنه قال لم تجد لريح كلامها يعني المرأة المرسلة ما يهز ويستمال وكذلك لشفرة احتيالها ما يحز وما يقطع

(بل رضيت من الغنيمة بالاياب)

هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه في مطلبه وهو من بيت لامرئ القيس ابن حجر بن الحرث من بني آكل المرار وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب ابني وائل وكان أبوه حجر ملكا من ملوك العرب بتهامة والحيرة قوله أتاوة على بني أسد وغطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر أنفة منه ثم قتل ونهض امرؤ القيس يطلب ثاره في خبر طويل وقال ضيعني صغيرا وحملني عناءه كبيرا ثم قتل جماعة من بني أسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر فاستنجده

أشتهى أن أحل فى كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال آخر

أعلل بالمنى قلبى لعلى * أفرج بالأمانى الهم عنى
وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وهذا الشاعر اسرحشوا فى كلامه حتى جاء الآخر فحله وترجم وصرح بالمراد وما تكتم حيث قال

اذا ما عن ذكرك فى ضميرى * وقابلنى محياك الجميل
أصبر لفرط أشواقى ابورا * لعلمى أن نيلك مستحيل

وهذا يشبه ما أنشدنيه لنفسه اجازة المولى صفى الدين الحلى ومن خطه نقلت

اذا صد الحبيب بغير ذنب * وقاطعنى وأعرض عن وصالى
أمله وانكح عند صلحى * بابر الفكر فى ثقب الخيال (ى)

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف الصوفى وقدمات للشيخ شمس الدين الدهان مملوك كان يحبه

ان مات يا دهان مملوكك الذى * بلغت به فى الفسق ما كنت ترتجى
فشله بالاصباغ شكلا وقامة * وخصرا وردفا ثم عاينه واصلح

ومن أبيات منحولة لأبى نواس

ما زلت أدخله فيه وأخرجه * منه وأدخله فيه وأخرجه
وما تذكرت ذاك النيك من شبق * الا وامسكت ايرى ثم أصلحه

ومن ترقب الآمال ولمع وانتظر وعد الامانى فخبج ومال به ميزان الدهر فرجح وملك البلاد وفتح وأسقى الأرواح بأشطان الرماح ومنح أبو مسلم الخراسانى يقال انه قتل ستمائة الف نفس وأبو عبد الله الشيعى القائم بدعوة الفاطميين وابن تومرت يقال انه رأى فى حائط مسجد فى بلاد الصعيد سب الصحابة رضى الله عنهم وهو مكتوب فقال ما هذه بلاد اسلام ونظم فى الوقت فقال

ذرنى وأشياء فى نفسى مخبأة * لا أبدين لها درعا وجلبابا
والله لو طفرت نفسى بغيتها * ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبى
حتى أطهر هذا الدين من دنس * وأوجب الحق للسادات أيجابا
وأملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت * جورا وأفتح للخيرات أبوابا

وان كانت الامانى حمدت فقد ذمت وكرهت قال على بن أبى طالب رضى الله عنه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال له أنت رجل تكثر الامانى ويقال ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا وأشترى به كذا ثم أبيعه فأكسب فيه كذا فيكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج فأتزوجها فتلد لى ابنا وأدخل اليها يوما فتقتاصنى فاضربها برجلى هكذا وتدرجله فكسر البستوقة فقرع الحجاج الباب ففتحه وضربه خمسين سوطا وقال له أليس لو ضربت ابنتى هكذا لفعجتنى فيها وقد سد ابن المعتز باب المنى وأغلقه وأعدم المحاويج بهجته ورونقه وقطع

ومات مسموما فى طريقه فى قصة معروفة وسمى الملك الضليل لانه أضل ملك أبيه وذا القروح لان قيصر أرسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات فأما شعره فهو الذى لا ينازع فى تقديمه وهو امام المتقدمين حقيقة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

سما لك شوقى بعد ما كان أقصرا
وحلت سليمى بطن قو فعرعرا
أشيم مصاب الحزن أين مصابه
ولا شئ يشفى منك يا ابنة عفزرا
من القاصرات الطرف لو دب محول
من الذر فوق الاتب منها لاثرا

يعنى لو دب الصغير من الذر على ثوبها لاثر فى جسدها ولم يرد بالمحول ما بلغ الحول وانما أراد ما هو لصغره بمنزلة الحولى فى الابل

فدعها وسل الهم عنك بجسرة
ذمول اذا صام النهار وهجرا
كأن الحصى من خلفها
وأمامها
اذا نجلته رجلها حذف
أعسرا

خص الاعسر لاختلاف رميانه

نفس الضعيف عن لذتها وان كانت بحبال الشمس معلقة حيث قال

لاتأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الامثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال

ولاتكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

وقال آخر

من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الالف

وقال محمد بن شرف القيروانى

غلف تمنى والبيوت أمانيا * وجميع أعمار اللئام أمانى

وقال آخر

الايانفس ان ترضى بقوت * فانت عزيزة أبدا غنيه

دعى عنك المطامع والامانى * فكم أمنية جلبت منيه

وقال أبو الحسين الجزار

أنا فى راحة من الآمال * أين من همتى بلوغ المعالى

لى عجز أراح قلبى من الهم * ومن طول فكرتى فى المحال

ما لباس الحرير مما أرجيه * فيرجى ولا ركوب البغال

راحة الحر فى التخلف عن كل * محل أضحى بعيد المنال

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى ومن خطه نقلت

صرفت الناس عن بالى * فقبل ودادهم بالى

وجهل الله معتصمى * به علقت آمالى

ومن يسأل الورى طرا * فانى ذلك السالى

فسلا وجهى لذى جاه * ولا ميلى لذى مال

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر ما نلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر

ولى من تمنى النفس دنيا عريضة * ومنتصح يغدو على فيطرق

فقدت المنى لانحن نلهو عن المنى * لتجربة منا ولاهى تصدق

وقلت أنا

ألا فاطرح عنك المنى ولاتبت * بكاساته نشوان غير مفيق

وان كان مما لاغنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقلت أيضا

كم أمل لما اقتضاه الفتى * أزرى وماشد له أزرا

ماحملت نفس جنين المنى * فى الحال الاوضعت قدرا

*(لم ارض العيش والايام مقبلة * فكيف أرضى وقد ولت على عجل)*

(اللغة) تقدم الكلام على الرضى فى قوله رضى الذليل وكذلك العيش والايام جمع

على لاحب لايهتدى بمناره
اذا سافه العود النباطى جرجرا

يصف قفرا لا أعلام فيه وقوله لايهتدى بمناره يعنى ليس فيه منار يهتدى به لان فيه منارا الا انه لايهدى والعود الجمل البالغ تمام سنه وسافه اذا شمه وجرجر اذا حن وعادة الابل أن تشم الارض التى لاتعرفها فتحن لعلمها بعد المسافة ومنها قوله

ألا رب يوم صالح قد شهدته * يتادف ذات القل من فوق طرطرا

ولا مثل يوم فى قدار ان ظلته * كانى وأصحابى على قرن اعفر

اختلف المفسرون فى هذا البيت فقال بعضهم وصف اليوم بالشدة ونفسه بالقلق والاضطراب فيه حتى كأنه وأصحابه من عدم الاستقرار مقيمون على قرن ظبى وقال بعضهم بل وصف أماكن كان فيها مسرورا منعما لانه قال قبل البيت ألا رب يوم صالح والمعنى انه كان على مكان مشرف عال فشبهه لارتفاعه بقرن الظبى وانما خص قرن الظبى لانه أعلى ما فى جسده وقصيدته اللامية التى أولها

الا عم صباحا أيها الطلل البالى

وأما القصيدة التى منها

يوم أصله ايوام فادغم مقبلة الاقبال ضد الادبار واقبل عليه بوجهه اذا التفت اليه وصرف نحوه بصره ولت أدبرت على عجل على سرعة قال تعالى أعجلتم أمر ربكم أى سبقتم وأما قوله تعالى خلق الانسان من عجل فقيل العجل الطين قال أبو عبيدة وهو بلغة حمير وأنشد

والنخل ينبت بين الماء والعجل وقال الاخفش من تعجيل ذى الامر وهو كقوله كمن وعن الحسن من ضعف وقيل على القلب معناه خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار وقيل خلق الانسان عجولا وهو الصحيح لانه يدل على المبالغة كما يقال للذى هو حاد نار تشتعل والعرب تقول ماهو الا اقبال وادبار وماهو الا أكل ونوم للذى يكثر اقباله وادباره وأكله ونومه ويؤيد هذا القول قوله تعالى وكان الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل أى من شأنه العجلة كقوله تعالى خلقكم من ضعف وذكرت هنا قول شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه من أبيات

ان تدعنى خاليا من لوعتى فلقد * أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

(الاعراب لم) حرف يجزم الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على ذلك (ارتض) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء وابقاء ما يدل عليها وهو كسرة الضاد فان قلت لاى شئ حذفوا حرف العلة مع الجازم قلت لانه لو ترك لاشتبه المرفوع بالمجزوم فى مثل قولك هو يعطى فلما حذف حرف العلة ظهر الفرق فان قلت فما الفائدة فى هذا الفرق قلت لانه يحتاج الى ذلك فى مثل جواب الشرط اذا قلت زرنى أعطك الدراهم أو زرنى أعطيك فالاول يعلم انه جزاء والثانى يعلم أنه استئناف فقد أفاد حذف حرف العلة الفرق بين الجزاء والاستئناف وفاعل ارتض ضمير مستتر فيه تقديره انا العيش منصوب على انه مفعول به لارتض (والايام) الواو واو الابتداء والايام مرفوع على الابتداء (مقبلة) مرفوع على انه خبر والجملة من المبتدا والخبر فى محل نصب على الحال كأنه قال لم أرتض العيش فى حالة اقبال الايام (فكيف) الفاء للتعقيب وكيف اسم مبنى على الفتح والدليل على انه اسم أنه يدخله حرف الجر قالوا على كيف تبيع الاحرين وانما بنى لانه شابه الحرف شبها معنويا لان معناه الاستفهام وأصل الاستفهام الهمزة وهى حرف وانما وضعت العرب هذه الاسماء مثل كيف وأين ومتى طلبا للاستغناء بكل منها عن تكرار الهمزة فانك لو أخذت تستفهم عن حال زيد بالهمزة لزمك أن تكررها وتقول أزيد ضعيف أزيد ناقه أزيد أرمد أزيد معاف أزيد كذا أزيد كذا والمخاطب يقول لك لا لا فلما رأوا هذا الامر يشق عليهم وضعوا كيف لهذا المعنى فان قلت كيف زيد لزم المخاطب أن يأتى بالجواب قولا واحدا فيقول طيب أو سقيم فلهذا بنيت هذه الاسماء التى تضمنت معنى الاستفهام وانما بنى كيف وأين على الفتح طلبا للخفة (أرضى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الالف فى آخره لانه معتل بالالف وانما كتب بالياء لانه من رضيت والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا والمفعول محذوف تقديره فكيف أرضاه والضمير يعود على العيش والمفعول كثيرا ما يحذف لانه فضلة ولانه معلوم من سياق الكلام (وقد) الواو للحال وقد تقدم الكلام عليها وقد للتحقيق وتقدم الكلام عليها أيضا (ولت) فعل ماض

نصف البيت المذكور من أجله فانه يقول فيها هذه الابيات

فبعض اللوم عاذلتى فانى
سيكفينى التجارب وانتسابى
الى عرق الثرى وشجت عروقى
وهذا الموت يسلبنى شبابى

يعنى أن مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسموت كما مات آباؤه واجداده الى آدم ثم قال

اراناموضعين بختم غيب
ونسخرنا لاطعام وباشراب
أبعد الحرث الملك ابن عمرو
وبعد الخير حجر ذى القباب
وبعد ملوك كندة قد تولوا
باكرم شيمة وأقل عاب
أرجى من طوال الدهر لينا
ولم يغفل عن الصم الصلاب
ألم أنض المطى بكل خرق
أمق الغول لماع السراب
وقد طوفت فى الافاق حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب
فارجعها فقد تعبت وكلت
لفرط الاين تركع للضراب
وأعلم أننى عما قليل
سانشب فى شباظفر وناب

(وتمنيت الرجوع بخفى حنين) اختلف فى حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بنى أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال يا أبا عمرو

ودخلته التاء علامة لتأنيث الفاعل لانه ضمير يعود على الايام (على عجل) يحتمل أن تكون على بمعنى في ولكنها للاستعلاء معنى وعجل مجرور بها والجار والمجرور في موضع نصب على الحال تقديره ولت الايام مستعجلة والجملة من قوله وقد الى آخر البيت في موضع النصب على الحال تقديره فكيف أرضى العيش والحالة هذه (المعنى) ما رضيت بالعيش في صباي اذ كانت الايام مقبلة فكيف أرضى بالعيش وقد كبرت والايام قد ولت عني والامر كذلك لان العيش في زمن الشبيبة أيامه في اقبال فهو غض نضر يانع فينان برده قشيب وغصنه رطيب ووصله حبيب وسهمه مصيب وله في كل لذة قسم وفي كل نعيم نصيب وما أحسن قول المعري

وقد نهضت عن كل بمشيه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

والعيش في زمن الشيخوخة أيامه في ادبار وتوال وزوال فهو جاف ذاوذابل مصوح هشيم ثوبه خلق ووجوه غسق وأمنه فرق ويومه حرق ونومه أرق وغصنه عار من النضارة التي تكون قبل سقوط الزهر والثمر والورق ولله در منصور النمري اذ يقول

ما كنت أوفي شبابي كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وبيت الطغرائي مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

وما ازدهيت وأثواب الصبا جدد * فكيف أزهى بثوب من ضنى خلق

ومن قوله ايضا من رسالة له يخاطب الدنيا أسأتي غانيه فكيف بك عجوزا فانيه * أي ما انتفعت بك وأنا شاب فكيف أنتفع وأنا هرم والدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها وهو حقيقة انها من أول وجود هذا النوع الانساني الى أيام ابراهيم الخليل صلوات الله عليه تقريبا تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى أوان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تسمى مكتهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا والمعنى الثاني وهو مجازا نهابالنسبة الى أول كل ملة تسمى شابة والى آخرها تسمى عجوزا بل بالنسبة الى أول كل دولة وآخرها بل بالنسبة الى كل شخص وعلى هذا يحتمل قول المعري في مخاطبة الدنيا والا فالمعري لم يعمر من أول وجود الدنيا وهي شابة الى أن رآها وهي عجوز حتى يقول لها أسأت الي وأنت شابة فكيف تحسنين الي وأنت عجوز فانية وانما استعمل هذا المعنى مجازا وما أحسن قول أبي الطيب

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

اراد أن يقول فساءنا ولكن الوزن ضايقه فترك ذلك اتكالا على فهم المعنى من سياق اللفظ وترتيب المعنى وقد ضمنت هذا البيت في معنى نظمته وذلك أننا كابدنا مشقة في ليلة سرنا فيها الى الاهرام من أمر التعدية صحبة المنصور السلطاني فقلت

أقول اذ نالنا في برمصر عنا * لما أتينا الى الاهرام في الظلم

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

وقال أبو تمام

نظرت في السير اللاتي مضت فاذا * وجدتها أكلت با كورة الامم

وقال أبو العلاء المعري

أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لاوثياب هاشم ما أعرف فيك شمائله فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة وقال قوم كان حنين السكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخفين ولم يشتر منه شيأ فغاظه ذلك فخرج وعلق أحد الخفين على شجرة في طريقه وتقدم قليلا وطرح الآخر وكمن لجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبه هذا الخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ثم تقدم قليلا فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من المكمن وأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابي الى حيه يخفي حنين وقيل كان حنين يهود يا تخص بامرأة مسلمة حارفة مص فصرعها فتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب ليس على هذا صالحناهم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا فلما نصب على خشبته أتت امرأته وعليه خفان فقالت الان تموت فاصنع بالخفين فأخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفي حنين لاني قلت * لقد هان من بالت عليه الثعالب)

هذا نصف بيت لرجل

تمتع أبكار الزمان بأسره * وجئنا بوهن بعدما خرف الدهر
فليت الفتى كالبدر يجدد عمره * يعود هلالا كلما فنى الشهر

وقال أيضا

كأنما الخير ماء كان وارده * أهل العصور وما أبقوا سوى الكدر

وقال ابن شماخ

صفا للأولى قبلي أتوا در دهرهم * ولم يصف لي مذ جئت بعدهم عبر
فجاؤا الى الدنيا وعصرهم ضحى * وجئت وعصري من تأخره عصر

وقال ابن قاسم الحدث

لقي الناس قبلنا غرة الدهر * ولم نلق منه الا الذنابى

وفي معنى قول الطغرائي قال ابن قلاقس

ما كنت أطمع في زمان أول * فيروقني هذا الزمان الآخر

وقال ابن الساعاتي

لم يبق في هذه الدنيا لنا أرب * فقل سلام عليها غير محتشم
فليت ان زماننا فات دام لنا * وليت ان زماننا دام لم يدم

وقال المعري

واذا البحر غاض عني ولم أر * وفلا ري في ادخار الثماد

وقال آخر

اذا المرء أعيته السيادة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال التهامي

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * وأعجزه الفخار فلا اعتذار
اذا ما أول الخطى أخطا * فما يرجى لآخره انتصار

ومما أحلى قول القائل

واذا الفتى من دهره كملت له * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
طلعت عليه الخزيات وقلن قد * أرضيتنا فكذاك كن لا تبرح
واذا رأى ابليس صحة ورته بدت * حمى وقال فديت من لم يفلح

وقال التهامي

ذريني أهب للجديد مخ شبيبتي * فان لم أبادرها استبد بها العمر

وقال ابن الخياط

والعجز أن أترك الاوطار مقبلة * حتى اذا أدبرت حاولتها طلبا

وعلى ذكر الشباب والمشيب فقد قيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم فقال ذهب مني الاطيبان الاكل والنكاح وبقي الارطبان السعال والضراط وقال المفضل حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور النمري فانشده

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتني بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع

من العرب يسمى غاوى بن ظالم السلمي وكان سبب قوله انه كان لبني سليم صنم يعبدونه في الجاهلية وكان غاوى سادنه فبينما هو ذات يوم جالس اذ أقبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله وبال على الصنم فقال يا بني سليم والله ما يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع ثم أنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذهان من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم وفر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوى بن ظالم فقال بل أنت راشد ابن عبد ربه وروى في هذا البيت الثعلبان بكسر النون على التثنية وروى أيضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد وضرب به المثل فيمن يدعى العز ويراد به الذل

(وانشدت
على انها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب)

هذا البيت لابي تمام المقدم ذكره في أبيات يرثي بها غالب بن الشعري وهي هذه هو الدهر لا يسوى وهن المصائب

ما كنت أوفى شبابى كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

قال فتحرك الرشيد وقال أحسنت والله لا يتهنأ أحد بعيش حتى يخطر فى رداء الشباب وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله أنشدنى لنفسه الاديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن التلعفرى فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة

ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت منى اللمة السوداء
لا تعجلن فوالذى جعل الدجى * من ليل طرفى البهيم ضياء
لو أنها يوم المعاد صحيفتى * ماسر قلبى كونها بيضاء

فقلت له قد أغرت على بيت نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقى حتى انك أخذت معظم لفظه وجميع معناه فى الوزن والروى وهو قوله

لو أن لحيتى من شيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

اه وكتب الى المولى بهاء الدين أبو بكر بن غانم من طرابلس وأنا بدمشق بعد ما انقطعت عنه مكاتبتى

سبحان من غير أخلاق من * أحسن فى حسن الوفا مذهبا
كان خليلا فغدا بعدنا * لما انقضى ما بيننا طقصبا

وكان طقصب هذا صبيا حسن الوجه يحبه ويألفه وله عم يدعى خليلا ينغص الاوقات بحضوره ويقاسى منه شدة فذكرهما يعرض بهما وكتب هذين البيتين فى ذيل ثلاثة اوصال ورق ولم يكتب غيرهما وختم ذلك بعنوان وجهزه الى فكتبت اليه الجواب عن ذلك

ياباعث العتب الى عبده * وما كفاه العتب اذ ندبا
ومذكرى عيش الصبا بعده * ثوب سرور بالبها مذهبا
مرفلم يحل لنا بعده * عيش ولم نلق الهوى طيبا
ماكل ذى ود خليل ولا * كل ملح فى الورى طقصبا

وينهى ورود المثال الكريم فقبل منه اليد البيضاء بل الدية الوطفاء وتلقى منه طرة صبح ليس للدجى عليها أذيال وغرة نجم ما كدر صفاها خيبة الامآل فلو كان كل وارد مثله لفضل المشيب على الشباب ونزع المتصابى عن التستر بالخضاب ورفض السواد ولو كان خالا على الوجنه وعد المسك اذا ذر على الكافور هجنه وأين سواد الدجى اذا سجى من بياض النهار اذا انهار وأين وجنات الكواعب النقية من الاصباغ المسودة بدخان العذار وأين نور الحق من ظلمة الباطل وأين العقد الذى كله درر من العقد الذى فيه السبج فواصل فيالله من وارد تنزه عن وطء الاقدام المسوده وعلا قدره عن السطور التى لا تزال وجوهها بالمداد مربده حتى جاء يتلألأ بياضا ويتقد وأتى يتهادى فى النور الذى تعتقد فيه المجوس ما تعتقد ولكن توهم المملوك ان صحف الود أمست مثله عفاء وظن بابيات العهود السالفة ان تكون لهذه المراسلة أمست من رقوم الود اخلاء

لو انها يوم المعاد صحيفتى * ماسر قلبى كونها بيضاء

فلقد سودت حال المملوك ببياضها وعدم من عدم الفوائد البهائية ما كان يغازله من صحائح الجفون مراضها وما أحق تلك الاوصال الوافدة بالافادة الجائدة بزيارتها التى خلت من الجود

وأكثر آمال الرجال كواذب
فيا غالبا لا غالبا بالرزية
بل الموت لا شك الذى هو غالب

وقلت أخى قالوا أخ ذو قرابة
فقلت لهم ان الشكول أقارب

عجبت لصبرى بعده وهو ميت
وكنت امرأ أبكى دما وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

(ونخرت وبسرت وعبست وكفرت)

(النخير) صوت من الانف أكثر ما يكون عند الغضب ويسمى خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخرا وفى المثل ما فى الدار نخير ومنه نخرت الشجرة اى بليت فهب صوت الريح (والبسر) الاستعجال بالشئ قبل أوانه ويقال للحبين قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفى قوله تعالى عبس وبسر أى أظهر العبوس قبل أوانه (والتعبيس) قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس (والكفر) فى اللغة ستر الشئ ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل فى جاحد النعمة لستره اياها ولما كان يقتضى جحود النعمة صار يستعمل فى الجحود مطلقا

بالسلام وان لم يخل رونقها من الاجاده أن ينشدها المملوك قول البحترى أبى عباده

أخجلتنى بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالوصل حتى انتى * متخوف أن لا يكون لقاء

وبقى زياد وهذا القدر كاف

*(غالى بنفسى عرفانى بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل)*

(اللغة) غلا السعر غلاء اذا زاد عن قيمته المعهودة وغالى فاعل من المغالاة أى طلبت الغلاء فى قيمتها النفس تقدم الكلام عليها فى قوله أعال النفس العرفان المعرفة وقولهم ما أعرف لاحد يصرعنى أى ما اعترف القيمة العوض وقيمة كل شئ ما يقابله من العوض الصون تقدم الكلام عليه فى اول القصيدة الرخيص ضد الغالى وقد رخص السعر وأرخصه الله فهو رخيص وارتخصت الشئ اشتريته رخيصا وارتخصه أى عده رخيصا القدر مبلغ الشئ مبتذل أى ممتهن والبذلة والمبذلة ما يمتهن من الثياب والتبذل ترك التصاون (الاعراب غالى) فاعل من المغالاة فهو فعل ماض والمفاعلة لا تكون الا بين اثنين كقاتل وضارب وخاصم ولكن قد تقع هذه الصيغة لغير تكافؤ كقوله تعالى يخادعون الله والخادعة منوعة فى جانب الله تعالى فعسى فى جانب الخلق لاغير ويؤيد هذا من قرأ يخدعون الله بغير ألف وهو حمزة والكسائى وقيل فى القراءة الاولى ان ثم محذوفا تقديره يخادعون نبى الله فحذف المضاف وأبقى المضاف اليه مقامه وليس هذا بشئ لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يخادعون الناس (بنفسى) الباء للتعدية وهى متعلقة بغالى ونفسى مجرور بالباء والياء فى موضع جر بالاضافة لانها ضمير المتكلم وفتحها وسكونها لغتان فصيحتان قيل لابى عمرو بن العلاء لاى شئ قرأت وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد بسكون الياء وقرأت ومالى لا أعبد الذى فطرنى فاخترت تحريك الياء هنا وما ثم ضرورة الى تحريكها فقال لان السكون ضرب من الوقف فلو سكنت الياء هنا كنت كالذى ابتدأ وقال لا أعبد الذى فطرنى فاخترت حركة الياء هربا من ضرب من الوقف وهنالك لا ضرورة تؤدى الى فساد المعنى فاخترت التسكين لانه أخف وهذا من أبى عمرو رحمه الله تعالى من دقة النظر فى المعانى اللطيفة وحكى صاحب الاغانى قال صلى الدلال يوما خلف الامام بمكة فقرأ الامام ومالى لا أعبد الذى فطرنى فقال الدلال ما أدرى والله فضحك الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالى صلاته دعاه وقال ويلك الا تدع المجون والسفه فقال له كنت عندى على انك تعبد الله عز وجل فلما سمعتك تستفهم ظننت انك قد شككت فى ربك فثبتك فقال له أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى اذهب لعنك الله (رجع عرفانى) فاعل غالى ولم يظهر الرفع لانه مضاف الى ياء المتكلم والياء فى موضع جر بالاضافة (بقيمتها) الباء عدت عرفانى الى القيمة لانه مصدر وقيمة مجرور بالباء والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى النفس ومفعول غالى أو فاعله الآخر محذوف وهو أبلغ من اثباته لانه لو ذكره لوقف ذهن السامع عنده مع الغاية التى ذكرها فلما حذفه تلعبت به الظنون ورمت به فى كل واد فتارة تقول غالى الدهر وتارة تقول الناس وتارة تقول المفاخر له وتارة تقول المجادل وغير ذلك (فصنتها) الفاء للتعقيب وصنت فعل ماض وفاعل وهو التاء المضمومة والضمير فيما بعد ذلك يعود على النفس وهو فى موضع نصب على انه مفعول به

فيقال الكافر لمن يجحد الوحدانية وما أشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل ما يذم عليه فيسمى كفرا وقد يعبر أيضا بالكفر عن التبرئ من الشئ كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى فى قول ابن زيدون انى غضبت الى أن فعلت ما فعلت وانى تبرأت منك

(وأبدأت وأعدت وأبرقت وأرعدت)

يعنى كررت ما يسيئك ذكره وأصل البرق لمعان السحاب والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال أرعد فلان وأبرق اذا هدد وكان الاصمعى ينكر قولهم فى ضرب المثل يعنى أبرق وارعد قال مهلهل

أبرقوا ساعة الهياج وأرعد * نا كما ترعد الفحول الفحولا

(وهممت ولم أفعل وكدت وليتنى)

يعنى هممت بقتل هذه المرأة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا تقديره لكان هذا

(عن رخيص القدر) عن حرف جر وهي للمجاوزة ورخيص مجرور بها والقدر مجرور بالاضافة اليه (مبتذل) مجرور على أنه صفة لرخيص فان قلت رخيص مضاف فهو معرفة ومبتذل نكرة فكيف يجوز وصف المعرفة بالنكرة قلت هذه الاضافة لفظية وهي في نية الانفصال كأنه قال رخيص قدره والاضافة اللفظية لا تخصص بل تترك المضاف على تنكيره وانما دخلت الاضافة طلبا للخفة في التركيب والحلاوة في الكلام (المعنى) ان عرفاني بنفسي يغالي الزمان أو الورى بقيمتها فهو يروم العوض عنها وما يجد لها كفؤا في القيمة من الناس فلهذا أصونها ولا أبذلها لرخيص القدر مبتذل ومن كانت نفسه مهذبة بالمعارف مكملة بالفضائل متسمة بالاخلاق الحميدة متصفة بالسجايا الكريمة والطباع الخيرية تحقيق على أن لا يكون لها قيمة وما سواها فهو مهين مبتذل يقصر عن كفاية أقل جزء منها ويصغر عن أحقر شيء يتعلق بها ولعمري ان النفوس الخيرة الفاضلة الشريفة الابية الكاملة لو كانت تشترى بعوض ويكون في مقابلتها نقد لانت على ما في ايدي الناس من الجواهر والفضة والذهب ولكنها فيض من هو دائم الوجود ولا ينقص الانفاق ما في خزائن ملكه لانه رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده اما ابو الطيب فانه قال

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

ليت الملوك على الاقدار معطية * فلم يكن لدني عندها طمع

وقال أيضا

اذا لم تكن نفس النسيب كأصله * فماذا الذي يغني كرام المناصب

وما قربت أشباه قوم أباعد * ولا بعدت أشباه قوم أقارب

وقال أيضا

من خص بالذم الفراق فانني * من لا يرى في الدهر شيأ يحمد

وقال ابن صردر

اذا صافحتني أكف اللئام * لطمت بهن خدود الرجا

وقال ابن سناء الملك من أبيات

توقد عزم بترك الماجرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا

وفسرط احتقار للانام لانني * أرى كل عار من حلى سوددي سدى

وأطمأن ابدي لي الماء منة * ولو كان لي نهر الجرة موردا

وقال القاضي الفاضل

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهري

وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خر في الشط في لجية البحر

وقال القاضي مذهب الدين بن الزبير من أبيات

اني لاعتق العفاف لدى الدجى * واهب وهنا عن كريم المضجع

واذا يد الى المحرم رشحته * واذا يقال لي الحقالم أسمع

ولوانه ناجى ضميري في الكرى * طيف الخيال بريبة لم أهجع

وقال الشريف ابو الحسن علي العقيلي

القرآن وهو كثير في كلام العرب وقد استعملوه حتى في الحروف وقالوا درس المنايلهجون به بمعنى المنازل وقالوا ورق الحمايعني الحمام وهذا لفظ شعر لضابئ بن الحرث بن ارطاة البرجمي كان رجلا بذيا كثير الشرور وكان صاحب صيد أو طأ دابته صبيا فقتله فرفع الى عثمان رضي الله تعالى عنه أيام خلافته فاعتذر بضعف بصره فحبسه ثم خلص وكان قد استعار كلبا للصيد من بني نهشل فلم يرده فطلبوه منه وألحوا عليه فقال يهجوهم ويتهمهم بالكلب

وأمكم لا تتركوها وكلبكم
فان عقوق الامهات كبير

اذا اكتنفت من آخر الليل شخصه
يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فقال
ويلك ما سمعت أحدا يرمي امرأة بكلب غيرك والله اني أراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزل الله فيك قرآنا ثم حبسه وعرض يوما أهل السجن فوجده قد أعد حديدة ليقتل بها عثمان فاخذت منه وضرب وترك مهملا في السجن فقال

لا يعطفن بعدي امرؤ ضيم حقه
فرارا يقيه الموت والموت نائله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني

صنت نفسي عما يليق بمثلي * وتحصنت بالجفاء الشديد
ما يساوي قضاء حق الموالي * ما نقاسي من سوء خلق العبيد

وما احسن ما كتب ابو الحسين الجزار على باب فخر الدين بن الشيخ

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمولي
وصرت اليك اروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول

وقال الضياء موسى الكاتب الناصري وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول على بعض الرؤسا

يا من سما في المكرمات * وفاق ارباب الممالك
اعجب لامر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

ومن ضرب المثل بكبره وتيهه عمارة بن حمزة فيقال أتيه من عمارة دخل يوما على المنصور فقعد في مجلسه وقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعة فقال المنصور قم يا عمارة مع خصمك فقال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس شرفني به امير المؤمنين وحكي عن ابي ثوابة انه دعا يوما اكارا وكلمه ولما فرغ دعا بماء وتمضمض استقذارا لمخاطبته وكان بعض القضاة لا يصلي الجمعة ويقول لا أرى مخالطة هؤلاء العوام وحكي عن الشافعي انه قال لو أن العوام لي غنمان ما ارتضيت بهم وخطب عبد الملك بن مروان الى عقيل ابن علقمة ابنته على احد بنيه فقال اما ان كنت فاعلا فخذني هجناك وحدث الجاحظ قال أتيت الربيع الغنوي فقلت له أيسرك أن تكون ابنة يزيد بن المهلب تحتك قال لا والله قلت ولك الف دينار قال لا والله قلت ولك ألف الف دينار قال لا والله قلت ولك ألف الف دينار وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قلت ولك الجنة قال على أن لا تلدمني وقال ان بعض الاعراب لقيه الامير قتيبة بن مسلم الباهلي فقال له يا اخا العرب أيسرك أن يكون لك ألف دينار وأنت من باهلة قال لا والله قال ألف الف دينار قال لا والله قال وأنت أمير خراسان قال لا والله قال وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قال ولك الجنة قال بشرط أن لا يعلم احد انني من باهلة وقال الاصمعي رأيت رجلا يختال في أزير في يوم قر فقلت له ممن أنت قال انا ابن الوحيد أمشي الخيزلى ويدفئني حسي وكان جذيمة بن الابرش لا ينادم أحدا تعاظما ويقول انما ينادمني الفرقدان ولهذا قال الشاعر * وكنا كندماني جذيمة حقبة *
سمي ذا الفرقدين وليس كما يقولون ان المراد بهما مالك وعقيل لانه كان يجوز عليهما التفرق
وحكى صاحب الاغاني في أخبار العرجي عن الاصمعي قال مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا وهو يغني

اضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أما سداد الكنيف فانت مالي به واما الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم اقبل علي وأنشد

وأكرم نفسي انني ان أهنتها * وجدك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له والله ما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأي شيء أكرمتها قال بلى والله ان من

تركت على عثمان تبكي حلائله
وقائلة لا يبعد الله ضاربا
اذا القرن لم يوجد له من يقارله
ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير على ضلع من أضلاعه فكسرها فقتله الحجاج بالكوفة
(ولولا ان للعوارض ذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذال الدمستق)
يعني لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت المتنبي في المعنى وذلك أن ملك الروم أرسل جيشا الى بلاد سيف الدولة وقدم عليه بطريقا يقال له الدمستق وقيل الدمستق لقب عندهم لكل مقدم على جيش فهزمه سيف الدولة وخرج موليا وعاد الى ملك الروم مهزوما مرعوبا ثم ان ملك الروم ارسل رسلا وكتابا الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق فيقول

وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه في قذال الدمستق

وهذه قصيدة تطوى على أبيات حسنة ويتعلق بها خبر ظريف قيل دخل المتنبي الرقا الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يا مولانا كم

الهوان لشراء ما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة الملك والى أمثالك فانصرفت عنه أخزى الناس وذكرت بالكنيف هنا حديث ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر لما اجتازت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وهو جالس على باب داره وأمامه بركة تتولد من مراحيض واقذار وحوله جماعة من أصحابه فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فلم يحر جوابا والبيت لابي نواس وهذه ولادة كان الوزير أبو عامر من جملة من يهواها و يكلف بعشرتها وكانت كثيرة العبث به وهي ذات أدب ولطف ونادرة وعشرة وبذل حجاب لمن يتعشقها تجالس الاكابر وتحاضر الشعراء على ما هي فيه من الجمال البارع وكان ابن زيدون قد شغفه حبها وله فيها القصائد الطنانة وفي الوزير ابن عبدوس هذا أنشأ ابن زيدون الرسالة التي جعلها على لسان ولادة اليه لما بلغه أنه يهواها وأولها أما بعد أيها المصاب بعقله الموروط بجهله أتى فيها بكل مثل وكل غريبة وكتبت ولادة يوما لابن زيدون وهي غضبى عليه تعرض بغلام له اسمه علي كان يدعي أنه معه على حالة هذين البيتين

ان ابن زيدون على فضله * يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته * كأنما جئت لاحصي علي

وهذا التعريض يشبه تعريض عنان بأبي نواس في قولها

عجبا من حلقي * يدعي أصل اللواط
والذي يحضر يدري * من يلي وجه البساط

وحكي أن بعضهم دخل بأمرد الى بيته وكان بينهما ما كان فلما خرج الامرد ادعى انه هو الفاعل فقيل له في ذلك فقال فسدت الامانات وحرم اللواط الا أن يكون بشاهدي عدل وقال بعض الشعراء

ان المذهب في اللوا * ط فليس بعد له شريك
واذا خلا بغلامه * فالله يدري من ينيك

وقال آخر

مر علي بغلة فأعظمه الناس وقالوا فتى وأي فتى
فقلت من ذا فقيل لي رجل * يلوط لكن يبوس ملتقما

(وعادة الفضل أن يزهى بجوهره * وليس يعمل الا في يدي بطل)

(اللغة العادة) معروفة والجمع عادو عادات تقول منه عاده وأعاده وتعوده أي صار له عادة والعادة اليوم في عرف الكتاب والناس اذا قالوا ألف درهم عادة أو مائة فانها تكون ناقصة عن التسمية كل مائة تنقص درهمين فالالف تنقص عشرين وتكون تسعمائة وثمانين قال النصير الحامي للسراج الوراق قد امتدحت الصاحب بهاء الدين بقصيدة وهي الليلة تقرأ بين يديه واشتهي منك أن تزهره لها فلما انشدت بين يدي الصاحب بهاء الدين قال السراج بعد الفراغ منها

شاقني للنصير شعر بديع * ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

فامر الصاحب للنصير بشيء وللسراج بمائتي درهم وقال تكون صنجة فقبل الارض وقال

تفضل علينا هذا الكندي يعني المتنبي ولو أمرتني ان أنظم على وزن أي قصيدة شئت من قصائده لنظمت ما هو أجود منها فقال سيف الدولة انظم على وزن قصيدته التي أولها

بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي

فخرج السري من عنده على ذلك وفكر في القصيدة فلم يجدها من طنانات المتنبي فعلم ان سيف الدولة أراد أمر الله بتخصيصه هذه القصيدة في الاقتراح فنظر في أبياتها فاذا هو يقول فيها مادحا لسيف الدولة ومفتخرا بنفسه

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق
أراه غباري ثم قال له الحق

فعلم أن سيف الدولة أراده بهذا المعنى فكف عن النظم وفي هذه القصيدة يقول المتنبي وما كنت ممن يدخل العشق قلبه

ولكن من يبصر جفونك يعشق

سقى الله أيام الصبا ما يسرها
ويفعل فعل البابلي المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعا به
تخرقت والملبوس لم يتخرق

هذا المعنى جيد ولكن استعمال التخريق للاجساد بشع ومن جملة هذه القصيدة ايضا

نودعهم والبين فينا كأنه
فنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

يامولانا الصاحب أشتهي أن تكون عادة فاعجبه ذلك وقال تكون له أبدا عادة اذا مدحنا بشئ من الشعر وقول السراج الوراق يشبه قول ابن قلاقس

أنا ان نظمت الشعر فيه ساحر * حقا ولكن في سواه ساخر
فاذا وصفت علاه قال لي الورى * لله ممدوح ذكرت وشاعر

ولكن قول السراج فيه رونق التورية وقال السراج الوراق وقد عزاه الصاحب بهاء الدين في زوجته وجهز له دراهم صنجة

أتتني صنجة وأتت معاده * على عاداتها والخير عاده
وأنستني مصيبة من تولت * فلا ولت عن المولى السعادة

(رجع) النصل السيف يزهى زهى الرجل أي تكبر فهو مزهو وقد نطقت العرب بأحرف لا يتكلم بها الا على سبيل المفعول وان كانت بمعنى الفاعل وذلك كقولهم زهى الرجل وعنى بالامر ونتجت الشاة ودهش الرجل وسقط في يده فاذا أمرت قلت انزه عاينا يا رجل ولا يتعجب من هذه الافعال والزهو المنظر الحسن بجوهره الجوهر معروف وأما جوهر السيف فهو ما يرى فيه من الطرق المختلفة وهو وشيه الذي يشبه بديباج الثمل وسيأتي الكلام عليه يعمل أراديه هنا يفري ويقطع البطل الشجاع والمرأة بطلة وقد بطل الرجل بالضم يبطل بطولة وبطالة أي صار شجاعا وجمعه أبطال (الاعراب وعادة) الواو واو الابتداء عادة مرفوع على أنه مبتدأ (النصل) مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (أن يزهى) أن حرف ينصب الفعل المضارع وتكون زائدة ومفسرة ومصدرية فالزائدة هي التي دخولها في الكلام وخروجها سواء كما في قوله تعالى فلما أن جاء البشير وقد ادعى ابن الاثير في المثل السائر أن أن اذا دخلت في الكلام دل على ان الكلام لم يكن على الفور ودل على أنه ثم تراخ ومهلة وذكر الآية الكريمة وقال اذا نظر في قصة يوسف مع اخوته منذ ألقوه في الجب والى ان جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم تراخ وابطاء بعيد ولم يكن ثم أمد بعيد لما جيء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت الآية تكون فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا توجد عند النحاة لانها ليست من شأنهم قلت هذا من جناية اعجاب المرء بعقله الا تراه كيف تصور الخطأ صوابا ثم أخذ يتجح بانه ظفر بما لم يكن عند النحاة ولو انه نظر الى هذه الفاء عقيب ماذا وردت هل هي عقيب قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب والآيات المتعلقة بواقعة القائه في الجب أو وردت عقيب قوله تعالى اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا لعلم ابن الاثير انه لا تراخي بين هذين البعدين ولا مدة مديدة لان المدة انما كانت بقدر المسافة التي توجه فيها البشير من مصر الى أن وصل الى أرض كنعان وهي مقام يعقوب عليه السلام وقدر مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوما وما حولها ولهذا قال النحاة انها هنا زائدة ولا بن الاثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها في كتاب نصرة الثائر على المثل السائر والمفسرة هي الداخلة على الجملة المبينة لحكاية ما قبلها من لفظ دال على معنى القول بغير حروفه كالتي في قوله تعالى فأوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا أي أوحينا اليه

هو ادلا ملاك الجيوش كأنها
تخير أرواح الكماة وتنتقي
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجاني
ويرجعها حمرا كان صحيحها
يبكي دما من رحمة المتدفق

فلا تبلغاه ما أقول فانه
شجاع متى يذكر له الحرب يشتق

قوله فلا تبلغاه هذه من السماجات المعدودة لانه ينشده القصيدة هو سماعا عفا الله تعالى عنه

كسائله من يسأل الغيث قطرة
وعاذله من قال للفلك أرفق

لقد جدت حتى جدت في كل ملة
وحتى أتاك الحمد في كل منطق

رأى ملك الروم ارتياحك للندى
فقام مقام المجتدي المتملق

وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه في قذال المدمق

وما كذا الحساد شيأ قصدته
ولكنه من يزحم البحر يغرق

*(والنعل حاضرة ان عادت العقرب * والعقوبة ممكنة ان أصر المذنب)*

السجعة الاولى حل بيت للفضل اللهبي من جملة أبيات وهو مثل يهدد به من عوقب وهذا الفضل هو ابن العباس بن عتبة بن أبي لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وكان طويلا آدم اللون حكي ان الفرزدق مر به يوما وهو

هذا القول والمصدرية هي التي مع الفعل في تأويل المصدر كما في هذا البيت تقديره وعادة النصل زهو وجوهره وتنقسم أن الى مخففة من ان وناصبة للمضارع فان كان العامل فيها من أفعال العلم وجب ان تكون مخففة وتعين في المضارع بعدها الرفع الا ان يكون العلم في معنى غيره ولذلك أجاز سيبويه ما علمت الا ان تقوم بالنصب قال لانه كلام خرج مخرج الاشارة فجرى مجرى قولك أشير عليك أن تفعل وان كان العامل في أن من غير أفعال العلم والظن وجب ان تكون غير المخففة وتعين في المضارع بعدها النصب كقولك أريد ان تقوم وان كان العامل فيها من أفعال الظن جاز فيها الامران وصح في المضارع بعدها الرفع والنصب الا ان النصب هو الاكثر ولذلك اتفقوا عليه في قوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا واختلفوا في قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة فقرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة برفع تكون وقرأ الباقون بنصبه ومن العرب من يجيز اهمال غير المخففة حملا على ما المصدرية فرفع المضارع بعدها كقول الشاعر

أن تقرآن على أسماء ويحكما * مني السلام وأن لا تشعرا أحدا

فان الاولى والثانية مصدريتان غير مخففتين وقد أعمل احداهما وأهمل الاخرى ومن اهمالها قراءة بعضهم لمن اراد ان يتم الرضاعة وقول الشاعر

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني * أخاف اذا ما مت لا أذوقها

(رجع يزهى) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما يكتب بالياء لان أصله زهيت والفعل وأن هنا في تأويل المصدر والجملة في موضع رفع على انها خبر المبتدا الذي تقدم وهو (عادة بجوهره) الباء للصاحبة وهي التي عدت يزهى الى جوهر وجوهر مجرور بالباء والهاء في موضع جر بالاضافة وهي تعود على النصل (وليس) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وليس من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهي مختصة بمنع تقدم خبرها عليها خلافا لسيبويه ولابي علي وابن برهان فانهم قالوا يجوز بدليل تقدم معمول خبرها عليها في قوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم واسمها ضمير مستتر فيها تقديره هو عائد على النصل (يعمل) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير يعود الى النصل وجملة الفعل المضارع في موضع نصب خبر ليس تقديره وليس النصل عاملا (الا) حرف استثناء (في يدي) في حرف جر ومعناه الظرفية ويدي مجرور بفي وعلامة جره الياء لانه مثنى والمثنى له اعراب يخصه فيعرب بالالف في حالة الرفع وفتح ما قبل الالف وبالياء في حالتي النصب والجر وفتح ما قبلها والنون مكسورة في الاحوال الثلاثة وقد تفتح النون في لغة كما قال الشاعر

على أحوذيين استقلت عشية * فما هي الا لمحة وتغيب

وانما أعرب المثنى بالحروف لان التثنية فرع عن الافراد فأخذ الاصل الاصل والفرع الفرع وقدم في ذكر اعراب جمع المذكر السالم التعليل في كون اعراب المثنى بالالف والياء والنون من يدين حذفت للاضافة لان الحروف في المثنى وجمع المذكر السالم عوض عن الحركات في اعراب المفرد والنون عوض عن التنوين فلهذا تسقط في حال الاضافة كما يسقط التنوين

ينشد مفتخرا

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة من بين العرب
من ياجلني ياجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

يعني بالخضرة آدم الاسود والعرب تفتخر بأنها سمر وسود وقيل عني بالاخضر البحر وانه في نفسه وكرمه كالبحر وعني بالمساجلة المفاخرة وأصل المساجلة أن يملأ الشخصان بدلوين من بئر فأيهما ملأ أكثر كان الغالب واستعمل في المفاخرة وأصل المساجلة كما ذكر فلما سمع الفرزدق قوله تشعر وقال أنا أساجلك فقال

برسول الله وابن عمه

و بعباس بن عبد المطلب فرجع الفرزدق وقال ما يساجلك الا من عض بظر أمه * وحكى أبو عبيدة أن عمر بن أبي ربيعة قال بينما أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهبي فوافقني وأنا أنشد

وأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

فقال يا أخا بني مخزوم ان بلدة تجمع بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر

وقد فرق النحاة بين التثنية والمثنى فقالوا التثنية ضم واحد الى مثله بشرط اتفاق اللفظين والمعنيين أو المعنى الموجب للتثنية فعلى هذا تبين لمن الحريري في قوله

جادا لعين حين أعمى هواه * عينه فاثنى بلا عينين

لان المعنيين في العين ما اتفقا في الذات ولذلك جوزوا القمرين تثنية الشمس والقمر لانهما وان اختلفا في اللفظ فقد اتفقا في الذات لانهما كوكبان وكذلك العمرين تثنية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لانهما اتفقا من وجوه كثيرة في الذات اذ كل منهما انسان وصحابي وخليفة فان قلت لاي شئ قالوا القمران ولم يقولوا الشمسان ولاي شئ قالوا العمران ولم يثنوا ابا بكر قلت لان التذكير يغلب على التأنيث والشمس مؤنثة والقمر مذكر قال أبو الطيب

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ولان العمرين أخف على اللسان واعذب في السمع من الابي بكرين لانه مركب وعمر مفرد ولان أبا بكر كنية وعمر علم واذا تقرر هذا فقد غلط جماعة من الشعراء ولاسيما المتأخرون في تثنية ما لم يتفقا في المثنى الموجب للتثنية كقول الحريري المقدم وقد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك المثنى ما دل على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه اه قلت فاذا قلت الزيدان فقد دل على اثنين بزيادة في آخره وهي الالف والنون ويصلح ان يجرد من هذه الزيادة فيعود زيدا وعلى ان أحدهما عطف على مثله لان الاصل فيه زيد وزيد بدليل ان الشاعر لما اضطره الوزن فك التثنية فقال

كان بين فكها والفك * فارة مسك ذبحت في شك

وفائدة هذا الحد أن تعلم ان العرب الحقت بباب المثنى أشياء ليست بمثنيات حقيقة كما فعلوا بباب جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم وهي كلا وكلتا بشرط الاضافة الى مضمر تقول جاءني كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فلو اضيفتا الى مظهر لم يكن اعرابهما اعراب المثنى فتقول جاءني كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين وكذلك اثنان واثنتان فان هذه الالفاظ اعربت اعراب المثنى وليست من بابه على الحقيقة لان حد المثنى لا يتناولها اذ ليس كل منهما في آخره زيادة صالحة لتجريد ولا عطف أحدهما على مثله لانه لا مفرد لكلا ولا كلتا ولا اثنين ولا اثنتين فاعرف ذلك وذكرت هنا قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال الحريري وغيره أخبر عن التي بالمفرد فوحد ثم قال كلتاهما فثنى وما معنى كلتاهما حلب العصير ولم يذكر الا خمرة واحدة وأخبر عن كلتاهما بارخاهما والصحيح الاخبار عنهما بمفرد لانهم لحنوا من قال كلا الرجلين قاما وكانت المرأتين حضرتا على اللغة الفصيحة ويدل على ذلك قوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها وأيضا فالرواية صحت في المفصل انه بكسر الميم وفتح الصاد وانما قال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد وأجاب الحريري بان قال أما قوله ان التي ناولتني فرددتها قتلت فانه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه انه فطن لما فعله ثم انه دعا عليه بقوله قتلت وقوله ارخاهما للمفصل يعني به اللسان وسمي مفصلا لانه يفصل بين الحق والباطل وقال أبو بكر محمد بن القاسم

لهشام وان أشعر من هذا البيت قول الآخر

انما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب
وأقبل علي وقال يا أخا بني مخزوم ان أشعر من صاحبك الذي يقول هذين البيتين هاشم بحر اذا سما وطما
أحمد حر الحريق واصطلما
فاعلم وخبرا ما قال أصدقه
بأن من رام هاشما هشما
فاسودت الدنيا في عيني ولم أحر جوابا وقد أطال أبو عبيدة الحكاية الى أن ظهر عليها الوليد * ومن جيد شعر الفضل بن العباس قوله

يا مي ان تفقدي قوما وزينتهم
وتخلسيهم فان الدهر خلاس
عمرو وعبد مناف والذي عهدت
بطاح مكة أبي الضيم عباس
ليث هزبر مدل عند خيسته
بالرقتين له أجرو اعراس

يستشهد النحاة بقوله أجر على جمع جرو والاصل أجرو فحذفت الواو لوقوعها طرفا مضموما ما قبلها

وحكى عنه الجاحظ حكاية ظريفة قال شرب ليلة مع يعض ولد جعفر على سطح فلما سكر الجعفري رمى بنفسه الى أسفل وقال أنا ابن الطيار في الجنة فتكسر وتهشم فتشبث الفضل بالحائط

الانبارى اجتمع قوم على شراب فغناهم المغنى البيتين المتقدمين فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة القاضى عبيد الله ابن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال ان التى فوجد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بنى شقرة وعبيد الله يصلى فلما أتم صلاته شرحوا له القصة وسألوه الجواب عن ذلك فقال لهم ان التى عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انتهى وقال النقيب الشجرى هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء أحدها أنه قال كلتاهما حلب العصير وكلتا موضوعة لمؤنثين والماء مذكر والتذكير أبدا يغلب على التأنيث كتغليب القمر على الشمس قال الفرزدق لما قراها والنجوم الطوالع وليس للماء اسم آخر مؤنث فيقال يحمل على المعنى كما قالوا أتته كتابى فاحتقرها لان الكتاب فى معنى الصحيفة وكما قال الشاعر

قامت تبكيه على قبره * من لى من بعدك ياعامر
تركتنى فى الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وكان الوجه أن يقول ذات غربة وانما ذكر لان المرأة انسان والثانى أنه قال أرخاهما للفصل وأفعل هذا موضوع للمشتركين فى معنى واحد وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف كقولك زيد أفضل الرجلين فزيد والرجل المضاف اليه مشتركان فى الفضل الا أن الفضل لزيد يزيد على الرجل والماء لا يشارك الخمر فى ارخاء المفصل والثالث ان الخمر عصير العنب وقوله حلب العصير يمنع من هذا لانه اذا كان العصير الخمر والحلب هو الخمر فقد أضيفت الخمر الى نفسها والشئ لا يضاف الى نفسه والصواب انه أراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة اه

وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النجو * م وبعده علم البيان
فاذا احتساها الشارب * ن واوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمير * وبعده عقد اللسان

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أيها الساقى بجفن * وبجام خسروانى
لا تلمنى ان تجلجلت ولم تفهم بيانى
سحر عينيك وسكرى * أحكما عقد لسانى

(المعنى) ان السيف عادته أن يكون زهوه بجوهره ولكن ما المراد منه الا القطع والمضاء فى الضربة ولا يكون ذلك منه الا اذا كان فى يدى بطل يضرب به ويصيب الكلى والمفاصل يعنى انى فى ذاتى كالسيف الجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ولكن لا نفع لها لانها كامنة فلو باشرت أمرا وتوليت ولاية ظهرت محاسنى فى الخارج وبرز فى الظاهر نفع ما عندى وهذا تشبيه حسن وتمثيل جيد ومن كلام البديع الهمذانى من رسالة وقد حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة على أن سيوف الحق أربعة

وسائرها

وقال أنا ابن المقصوص فى النار * وأما البيت الذى ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان أمطل الناس فعامله الفضل وكان أشد الناس تقاضيا فلما حل المال قعد الفضل على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته فى المماطل فلما أعياه ذلك قال يهجوه

قد تجرت عقرب فى سوقنا
لا مرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو كيده فى استه
فغير مخشى ولا ضائره

ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون ان أصر المذنب الاصرار العقد فى الذنب وأصله من صر الشئ

(وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ماؤها حبيبها حسن فيها من تود) يعنى هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما وصفتك به من الفضائل أليس منظرك كما نرى من القبح والسماجة كما سيأتى ذكره وفى هذا اللفظ حل ثلاثة أبيات للثلاثة من الشعراء ولكل منهما أخبار واشعار تشتمل على مجالس * فالاول قول الهاشمى

وسائرها للناس سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين وسيف علي رضي الله عنه في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين قلت وقولهم سيف الله هو خالد بن الوليد رضي الله عنه سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره في الاسلام وشجاعته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر اليه والى عكرمة بن أبي جهل قرأ يخرج الحي من الميت لانهما كانا من خيار المسلمين وأبواهما اعدى عدو لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما اتهم خالد ابن الوليد بقتل مالك بن نويرة على اسلامه دعاه أبو بكر رضي الله عنه فقال له أقتلت مالكا لتنزو على حليلته وذلك لكونه تزوج امرأته بعده فقال له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني بسيف الله فقال اللهم بلى فقال أيقتل سيف الله المسلم فقال لا وصرفه الى حيث جاء وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مما نظمه في أولاد ممدوحه وقد رأى له ولدا يسمى خالدا وهو

أولاد مولانا بهم * تزهى المحافل والمشاهد
مثل السيوف مهابة * لكن سيف الله خالد

وقولهم سيف الفرزدق يضربون به المثل للسيف الكليل في يد الجبان وأصله ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس الى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غدا سيأمرك بضرب عنق أسير من الروم وقد علمت انك وان كنت تصف السيوف فتحسن انك لم تعاصر بها وهذا سيفي يكفيك منه ضربة واحدة وأتاه بسيف كهام فقال له الفرزدق ومن أنت قال من أخوالك بني ضبة فاخذ السيف ووثق به فلما كان من الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجيء بالاسرى فأمر سليمان واحدا منهم هائل المنظر أن يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده أن يطلقه ثم قال للفرزدق قم فاضرب عنقه فسل ذلك السيف فضربه فلم يؤثر فيه السيف شيأ وكلح الرومي في وجهه فارتاع الفرزدق وضحك سليمان والقوم فقال جرير

بسيف أبي دعوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقال مجذب غير صارم

فاجابه الفرزدق

ولا تقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومي جاءت لكم * أبا ككليب أو أخا مثل دارم

وقال أيضا

فان يك سيف خان أو قد رأيتني * لمقدار يوم حتفه غير شاهد
كسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك السيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

ولما صار سيف عمرو بن معدي كرب الذي يسمى الصمصامة الى موسى الهادي دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة فقال قولوا في هذا السيف فبدر ابن يامين البصري فقال أبياتا منها

ما يبالي من انتضاه لضرب * أشمال سطت به أم يمين

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان من فتيان بني هاشم وأجوادهم وفصحائهم على انه كان يتهم بالزندقة في دينه لصحبة قوم عرفوا بذلك وأشهرهم رجل يقال له البقلي وانما سمي بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة واشتهر ذكره في آخر أيام بني أمية حكى المدائني ان عبد الله بن معاوية قدم زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستضعفا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن شيث بن ربعي فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقيل انما خرج في أيام يزيد بن الوليد ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انما دعا الى نفسه ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه ما لم يجتمع عليه جميع أهل المصر وقالوا له ما بقي فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحي الشرق ففعل

يستطير الابصار كالقبس المشتعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا * ري فى صفحتيه ماء معين

فقال موسى أصاب ما فى نفسى واستخفه الطرب فامر له بالسيف والمكتل فلما خرج قال للشعراء انما حرمتم من أجلى فدفع اليهم البدرة وأخذ السيف فاشترى منه بمال عظيم وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معدى كرب ان يريه سيفه المشهور فاحضره عمرو له فانتضاه عمر رضى الله عنه وضرب به فما أحالك أو حالك بغير ألف فطرحه من يده وقال ما هذا بشئ فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أنت طلبت منى السيف ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به فعاتبه وقيل انه ضربه وقرأت على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى مغازى تاريخه الكبير تاريخ الاسلام قال الاصمعى حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الزناد قال ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره فقده الى القربوس فقيل ما أجود سيفك فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف وذكر المؤرخون ان عليا رضى الله عنه قتل من الخوارج يوم النهروان الفى نفس وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثنى ويخرج ويقول لا تلومونى ولوموا هذا وبقومه بعد ذلك وقال بعض شعراء الاندلس

فعاقر سيفك حتى انثنى * وعربد محلك حتى انكسر
وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

ومن ضربات على المشهورة ضربته رضى الله عنه مرحبا فانه ضربه على البيضة ضربة فقدها وقده نصفين وما أحلى قول أبى الحسين الجزار يمدح على بن سيف الدين قليج

أقول لفقرى مرحبا التيقنى * بأن عليا بالمكارم قائله

وضربته عمرو بن عبدود العامرى وكان جبارا عنيدا غليظا عتلا من الرجال فقطع فخذه من أصلها ونزل عمرو فاخذ فخذ نفسه فضرب بها عليا فتوارى عنها فوقعت فى قوائم بعير فكسرتها وقال شرف الدين بن العارض

ذو الفقار اللحظ منها أبدا * والحشا منى عمرو وحيى

وذكر أسعد بن مماتى فى كتاب روائع الوقائع قال حدثنى بعض البغداديين انه كان ببغداد سياف يقال له أبو بكر السجان فامر بقتل قوم من القطاع فربط أربعة ظهرا لواحد الى آخرهم ضرب بسيفه الرقاب الاربع فقطعها ويقال أكذب بيت قالته العرب قول الشاعر

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى

وقول الطغرائى يشبه قول بن خفاجة

وما السيف لولا الحرب الا حديدة * وما الرمح الا خوطة تتأود

وقوله ايضا

والحر مفتقر الى عز الغنى * فقر الحسام الى يمين الفارس

وقوله ايضا

فما احتمى جانب لم يحمه ملك * ولا مضى صارم لم يمضه بطل

وقال أبو الطيب

ذلك وجمع جموعا من النواحى فخرج فغلب على مياه البصرة والكوفة وهمدان والرى وقم وأصفهان وأقام بأصفهان وكان الذى أخذله البيعة محارب بن موسى التركى فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون عليه فاخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما أحببتم وكرهتم وكتب الى الامصار يدعو الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرهما وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى ابن على ووجوه قريش من أمية وغيرهم فمن أراد عملا ولاه ومن أراد صلة وصله وأحسن اليه وكان سمح الكف كريم الاخلاق حكى ابن هرم قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على بعض ببابه فرآنى بعض خدمه فعرفنى أن عامتهم غرماء له أرباب ديون فقلت هذا شر لى ثم دخلت عليه فقلت لم أعلم والله بهذه الغرماء فقال لا عليك أنشدنى فاستحييت فلى الا أن أنشده فأنشدته أبياتا حسنة منها

ترى الخير يجرى فى أسرة وجهه
كما لا ئت فى السيف بهجة رونق

فتى يملأ الافعال رأيا وحكمة * وباردة أحيانا يرضى ويغضب
اذا ضربت فى الحرب بالسيف كفه * تبينت ان السيف بالكف يضرب

وأخذه بن سناء الملك غصبا وجرد عليه فى الاغارة عضبا فقال

فلا تحسبوا بالكف جرد نصله * ولكنه قد جرد الكف بالنصل

وقد جرت عادة الشعراء بان يشبهوا جوهر السيف بمدب النمل قال امرؤ القيس

متوسدا عضبا مضاربه * فى متنه كدبة النمل

وقال البحترى

وكأنما سود الغمال وجمرها * دبت بايد فى قراه وارجل

وقال أبو العلاء المعرى فى السيف

سليل النار دق ورق حتى * كأن اباه أورثه السلالا
محلى البرد تحسبه تردى * نجوم الليل وانتعل الهلالا
مقيم النصل فى طرفى نقيض * يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء * وتبصر فيه للنار اشتعالا
اذا بصر الاسير وقد نضاه * بأعلى الجوّ ظن عليه آلا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت غمالا

وقال ايضا

وكل أبيض هندى يشطب * مثل التكسر فى جار يحدر
تغايرت فيه أرواح تموت به * من الضراغم والفرسان والجزر
روض المنايا على ان الدماء به * وان تخالف ألوانا من الزهر
ما كنت أحسب جفنا قبل مسكنه * فى الجفن يطوى على نار ولا سهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

وقد ضمنت آخر القطعة الاولى من شعر المعرى فى وصف عذار أشقر وآخر القطعة الثانية ايضا فى وصف العذار وأوردتهما من جملة ما أوردته لى من النظم فى التضمين عند قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت وقال كشاجم

كأن نملا دارجا * صعد فيه وهبط
ماض ترى فى متنه * ماء بنار مختلط
يقذان أعمله * طولا وان عارض قط

يقال القذ هو القطع طولا والقط هو القطع عرضا وقال الوزير أبو محمد بن عبد الغفور

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا * مماثلة الارواح فى صورة الذر

وهو مأخوذ من قول المعرى فيما تقدم وأخذه الآخر فقال واجاد

جداول ماء ما تسوغ لوارد * ترى النمل غرقى فيه غير الاكارع

وقال الطغرائى من أبيات

وابيض طاغى الحدير عدمتنه * مخافة عزم منك أمضى من النصل
عليم بأسرار المنون كأنما * على مضربيه أنزلت سورة القتل

فامر لى بما كان عنده من المال لبعض الغرماء والله لا يملك غيره ثم لم يزل عبد الله مقيما بنواحى فارس التى غلب عليها حتى ولى مروان ابن محمد الجعدى فوجه اليه عامر بن ضباعة فى جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب عبد الله أصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها وطمع فى نصرته فاخذه أبو مسلم فحبسه عنده وجعل عليه عينا فرفع عنه انه يقول ليس فى الارض أحق منكم يا أهل خراسان فى طاعتكم لهذا الرجل قبل أن تراجعوه فى شئ وتسألوه عنه والله ما رضيت الملائكة بهذا عن الله عز وجل حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء حتى قال تعالى انى أعلم ما لا تعلمون فشدد عليه أبو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالته التى يقول فيها الى أبى مسلم من الاسير فى يديه بغير خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ومولى صنائع وان الودائع مرعية والصنائع عارية

تفيض نفوس الصيد دون غراره * وتطفح عن متنيه في مدرج النمل

وقال البحتري

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

ومن هنا استمد ابن هانئ وما استبد فقال

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وابن سناء الملك أيضا من هنا أخذ واقتطعه وفلذه فقال

ظباه كمثل البقل لونا وانها * لترعى العدا رعي الظباء من البقل

وقال ابن خفاجة

ومرقرق الافرند يمضي في العدا * أبدا فيفتك ما يشاء وينسك

وكأنه والماء يجري فوقه * جذلان يبكي للسرور ويضحك

وقال أيضا

وأبيض عضب حالف النصر صاحبا * فكاد ولم يستل يمضي فيفتك

يبشره بالنصر ارهاف نصله * فيهتز في كف الكمي ويضحك

وما أحسن قول القائل

تدب المنايا الحمر في جنباته * على جامد في الكف في العين ذائب

وقال مهيار على طريق اللغز

وابن سررت به اذ قيل لي ذكر * فصنته ويصان الدر في الصدف

أخشى الرياح عليه ان تهب فما * تراه في غير حجري أو على كتفي

أغار عجبا عليه ان أقبله * يوما وتقبيله أدنى الى شرفي

يتيه من فوق كرسي وهبت له * من اللجين بعذقام كالالف

وانشدني من لفظه لنفسه المولى الحكيم شهاب الدين أحمد بن يوسف الصفدي بالقاهرة المحروسة سنة سبع وعشرين وسبعمائة ما يكتب على سيف

أنا أبيض كم جئت يوما أسودا * فاعدته بالنصر يوما أبيضا

ذكرا اذا ما استل يوم كريهة * جعل الذكور من الاعادي حيضا

اخيال ما بين المنايا والمنى * وأجول في وسط القضايا والقضا

(ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل)

(اللغة) أوثر أثرت فلانا على نفسي اخترته ورجل أثر على فعل بضم العين اذا كان يختار على أصحابه أفعالا ويستأثر بها من الاخلاق الحسنة وغيرها قيل ان شيخ الشيوخ صدر الدين قدم من بغداد رسولا الى السلطان صلاح الدين فحضر يوما عنده فلما قام قدم صلاح الدين مداسه فاراد الشيخ لبسها فقال القاضي الفاضل هذه النعل تشرفت وما بقيت تصلح الا للرؤساء فقال الشيخ صدر الدين باسم الله أنا فقير ومذهبي الايثار فلم يحر القاضي الفاضل جوابا وحكي ان أبا نواس كان في يوم شديد البرد وعليه فروة فخر به بعض السؤال فطلب منه ما يلبسه فقال ما أملك غير هذه الفروة فقال السائل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو نواس هذه الآية أنزلها الله تعالى في الحجاز في شهر تموز فيما يوكل ولم ينزلها في شهر كانون في الرهي

فاطلب الخلاص والا فاذكر القصاص فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت وفقك الله لما يحبك والهمك شكر ما خولك فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس في أيدينا فلو خرج ومالك أمرنا لاهلكنا ثم أمضى تدبيره في قتله فدس اليه سما فمات ووجه برأسه الى ابن مياده فحمله الى مروان ومن شعره ويتعلق به حكاية حكاها ابراهيم الموصلي قال بينما أنا عند الرشيد وعنده ابن جامع وعمرو الغزال وغيرنا من الندماء والمغنين اذ قال صاحب الستارة لابن جامع تغن من شعر عبد الله بن معاوية ولم يكن ابن جامع يغني في شيء من شعره ولا يعرفه وكنت قد تقدمت فيه فارتج على ابن جامع فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت لعبد الله

يا يمم يحمل وما أن يرى
له من سبيل الى حمله
كأن لم يكن عاشق قبله
وقد عشق الناس من قبله

فمنهم من الحب أودى به
ومنهم من أشفى على قتله

فاذا بدر رفعت الستارة ونظر الي وقال أحسنت والله أعده فأعدته فغناه فراش بيدرة فوضعها تحت فخذي ثم قال

فيما يلبس وسأل بعض السؤال من آخر فقال يفتح الله فالج في السؤال ولم يحصل منه شيء فقال أين الذين يؤثرون على أنفسهم فقال ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس الحافا (رجع) يمتد مددت الشيء فامتد أي اتصل والمادة لغة الزيادة متصلة ومد الله في عمره ومده في غيه أي أمهله وطول له زمني الزمان والزمن اسم لقليل الوقت وكثيره ويجمع على أزمنة وأزمان وأزمن وأزمن دولة الدولة في الحرب أن تدال احدى الفئتين على الاخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة والجمع الدول والدولة بالضم في المال يقال صار المال دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولات ودول الاوغاد جمع وغد وهو الدنئ الذي يخدم بطعام بطنه والسفل جمع سفلة والسفلة سقاط الناس ولا تقل هو سفلة لانه جمع (الاعراب ما) حرف نفي وقد تقدم الكلام عليها (كنت) كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهي فعل وهو مذهب الاكثرين وقال بعضهم بل هي حرف لانها لا مصدر لها ولو كانت فعلا لدلت على المصدر ولما احتيج ان يعقد لها باب يخصها وليس ذلك بشيء قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في كان وأخواتها لم يختلف أحد في فعلية شيء منها الا ليس فان أبا علي ذكر في المسائل الحلبيات ان ليس حرف وطول في الاستدلال على ذلك وكذلك استدل أيضا على حرفيتها في أول الايضاح الشعري له وكذلك نقل عن ابن السراج أنه قال بفعلية ليس تقليدا وفي كلام سيبويه اشارة الى حرفيتها محتملة للتاويل وهو قوله في باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام هذا بعض كلام الشيخ بهاء الدين وهي ناقصة اذا استوفت اسمها وخبرها كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وتامة اذا استوفت مرفوعها واستغنت به كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة وهي بمعنى وجد وزائدة في مثل قول الشاعر

سراة بني أبي بكر تسامى * على كان المطهمة الجياد

وقول الآخر

فكيف اذا مررت بدار قوم * وجيران لنا كانوا كرام

قلت قد مثل بهذا البيت جماعة من أهل العربية شاهدا على زيادتها وهو مشكل لانهم لم يقولوا بزيادتها وزيادة اسمها فانها هنا مع اسمها أما في البيت الاول فسلم انها زائدة لانها لم يحجبها اسمها وأما في البيت الذي أوردوه فيحتمل ان تكون على بابها مع التقديم والتاخير والتقدير وجيران كرام كانوا لنا وهذا متجه ولم أر أحدا ذكره وتكون بمعنى صار كقول الشاعر

بتيهاء قفر والمطي كأنها * قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

وقد تحتمل ضمير الشأن والقصة فتكون الجملة خبرها كقول الشاعر

اذا مت كان الناس نصفان شامت * وآخر مثن بالذي كنت أصنع

أي كان الشأن أو الحديث أو القصة الناس نصفان وهذا البيت أخذ معناه مالك بن طوق فقال في الابيات التي أنشدها الرشيد لما كان بين يديه في نطع الدم على ما ذكره المسعودي في شرح المقامات أو تميم بن جميل في واقعته مع المعتصم على ما ذكره ابن عبد ربه في العقد والواقعة مشهورة وهو

وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

وقد ضمنته أنا فقلت أبياتا أرثي بها نفسي وهي

اجعلها لك ثم انقضى المجلس فلما كان المجلس الثاني قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغن من شعر ابن جعفر يعني عبد الله بن معاوية فوقع في مثل الذي وقع فيه بالامس فغنيت من شعر عبد الله

سلا ربة الخدر ما شأنها * ومن أي ما شأننا يعجب
فلست بأول من فاته * على أربه بعض ما يطلب
وأصبح صدع الذي بيننا * كصدع الزجاجة لا يشعب

فاومى صاحب الستارة ان أمسك وأشار بيده الى انه يبكي فامسكت ثم قال تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحقد فقال لو كان في ابن جعفر خير لطار مع أبيه ولم يقبل على قول الشعر فسمعنا صحك الرشيد ثم أرسل الى بدرة والى ابن جامع مثلها * واما الشعر الذي ذكر بسببه فانه كان صديقا للحسين ابن عبد الله ابن العباس ثم وقع بينهما أمر فتهاجرا فقال عبد الله

ان حسينا كان شيأ ملفقا * فمعضه التكشيف حتى بدا لنا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة * فان عرضت أيقنت ان لا أخا ليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأما البيت الثاني فهو قول المجنون

كأنى بهذا الجسم أصبح عاطلا * وشمل قواه بالممات مشتت
وقد عافه من كان يهوى لقاءه * وأنكره من طالما كان يثبت
وغاية من يأوى لمصرعه فتى * يفكر فيما قد عراه ويهت
وان عطفته رحمة فى انصرافه * غدا نحوه من حسرة يتلفت
وان كان يبكيه خليل وده * ويفجأه الرزء الجليل ويبغت
فاذا الذى يجدى على ساكن الثرى * اذا كان يبدى الحزن أو يتثبت
قضى ومضى هيهات لو ينفع البكا * كأن لم يكن من قد غدا وهو ميت
وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر ذلان يسر ويشمت

(رجع) ومن أمثلة كان التامة التى بمعنى وجد وحدث قول الشاعر

اذا كان الشتاء فادفئونى * فان الشيخ يهرمه الشتاء

وما أحلى قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يا ربيع العفاة لا تقاضنا * لك ولكن أقول جاء الشتاء
وأنا الشيخ والربيع الفزارى * قد عنانى وفى الكريم ذكاء

مسئلة قوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال ابن الانبارى فى اسرار العربية كان هنا تامة وصبيا منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون كان ناقصة لانه لا اختصاص لعيسى عليه السلام فى ذلك لان كلا كان فى المهد صبيا ولا عجب فى تكليم من كان فيما مضى فى حال الصبا اه وقال أبو البقاء فى اعرابه كان زائدة أى من هو فى المهد صبيا حال من الضمير فى الجار والمجرور والضمير المنفصل المقدر كان متصلا بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلى هذا لا يحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هى كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل بمعنى صار وقيل تامة اه قلت تقدير كان فى الآية الكريمة تامة بمعنى وجد أو حدث بعيد لان عيسى عليه السلام لم يخلق ابتداء فى المهد وتقدير ها زائدة أجود (رجع) كنت كان واسمها وهو تاء المتكلم فالضمير فى موضع رفع على انه اسم كان (أوثر) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وهو فى موضع نصب على انه خبر كان تقديره ما كنت موثرا (أن يمتد) ان حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام عليه ويمتد فعل مضارع منصوب بأن وان هنا مصدرية فهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر وتقديره ما كنت أوثر امتداد زمانى (بى) الباء هنا للتعدية والياء مجرورة بالباء وهو متعلق بيمتد (زمنى) فاعل يمتد وعلامة رفعه ضمة مقدرة على النون وانما لم تظهر الضمة لاضافته الى ياء المتكلم وعلى كل حال فان زمنى فاعل ان قلت ان أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر أو تركت الفعل على ظاهره فان المصدر يضاف الى الفاعل وتقديره ما كنت أوثر امتداد زمنى (حتى) تقدم الكلام على حتى فى قوله طال اغترابى البيت وهى هنا لانتهاء الغاية ومعنى الكلام الى أن (أرى) فعل مضارع منصوب باضمار أن ولم يظهر النصب لانه معتل الطرف بالالف فالنصب بفتحة مقدرة على الالف وانما كتب بالياء لانك تقول رأيت (دولة الاوغاد) دولة منصوب على أنه مفعول به والاوغاد مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (والسفل) مجرور بالعطف على الاوغاد

اها بك اجلالا وما بك قدرة
على ولكن ملء عين حبيبها

وهو قيس بن الملوح بن مزاحم من بنى عامر بن صعصعة شاعر غزل سكن البادية عمره وتوفى فى آخر دولة بنى أمية وهو المعروف بمجنون ليلى ويقال انه لم يكن مجنونا وانما الرواة وضعت ذلك عليه وحكى ابن داب قال قلت لرجل من بنى عامر أترون من شعر المجنون شيأ فقال أو فرغنا من العقلاء حتى نروى للمجانين انهم لكثير فقلت انما أعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذى قاله العشق فقال هيهات بنو عامر أغلظ اكبادا من ذلك انما يكون هذا فى اليمانية الضعاف حلومها الثقيلة رؤسها فأما نزار فلا وقال الاصمعى الصحيح ان الاشعار والوجد لقيس ولكنه لم يكن مجنونا انما كانت فيه لوثة احدثها العشق وكان قد عشق جارية من قومه تسمى ليلى بنت سعد وعلق كل منهما بصاحبه وهما حينئذ صبيان يرعيان مواشى اهليهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا وحجبت عنه وفى ذلك يقول

تعشقت ليلى وهى ذات ذؤابة
ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

(المعنى) ما كنت أظن الزمان يمتد بى فى عمرى حتى تنقضى دولة الكرام وأرى فيما بعد دولة الاوغاد والسفل وهو يشبه قول أبى الطيب

ما كنت أحسبنى أبقى الى زمن * يسيء بى فيه كلب وهو محمود

وهذا قاله أبو الطيب فى بعض أهاجى كافور الاخشيدى وقد أجازه قبل قدومه عليه ويقال انه فى أول الامر أمر له بمنية ابن خصيب اقطاعا فلم يرض ذلك وما كان يقصد الا الولايات على الاعمال والامرة ونظم فيه هذه القصيدة وهى من أخبث أهاجيه فيه فمنها

من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد

ومنها قوله

وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

ومن غرر مدائحه فيه قوله بعد وصف الخيل

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وماقيا

وما مدح أسود بالغ من هذا ولا أحسن وعلى ذكر كافور أنشدنى من لفظه لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى من قصيدة يصف فى آخرها

فاستحل بكر قصيد لاصداق لها * سوى القبول ودر غير مكفور

على أبى الطيب الكوفى مفخرها * اذ لم أضع مسكها فى مثل كافور

وهذا فى غاية الحسن ونقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر من نسخة جواب أجاب به تجربة للخاطر عن السلطان صلاح الدين يوسف لما ورد عليه الكتاب الصادر من الامام الناصر يتضمن الانكار عليه فى فصول متعددة فقال وترى من هم القائلون أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه أمثل الماضين اليه أم الاولاء مثل لهم فمن جاء أخيرا وقد علم كل منهم ما عاملوا به الخلافة تضييقا وتقديرا وكونهم عوضوا عن الالوف برسم النفقات من فضة قدروها تقديرا ولا خفاء بنا قضة أحمد بن طولون لما كان بمصر أميرا والاخشيدية حين طافت على الدولة تسلطا بكأس كان مزاجها كافورا اه وأنشدنى من من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة فى خادم اسمه كافور

يا الأمى فى خادم لى سيد * قسما لقد زدت الملون فورا

ولقد أدرت على المسامع شربة * فى الحب كان مزاجها كافورا

(رجع) ومما يدخل فى بيت الطغرائى أقول أبى اسحق ابراهيم الغزى

لئن حلينا صروف الدهر أشطرها * فكلنا بصروف الدهر جهال

فلا تغرنك الدنيا بمن رفعت * فلا حقيقة فيما يرفع الآل

الحمد لله أفضينا الى دول * تعلو وليس لنا فيهن آمالى

وقال آخر

قد دفعنا الى زمان لئيم * لم ننل منه غير غل الصدور

ويلنا من الورى بالناس * تركتهم اعجازهم فى الصدور

ومثل هذا قول الآخر

صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا
الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

حكى ابن عمارة المرى قال حضرت الى أرض بنى عامر لالقى المجنون فدللت على مجلسه فلقيت اباه شيخا كبيرا وحوله اخوة المجنون فسالته فقال انه كان والله عندى أبر من هؤلاء جميعا وانه عشق امرأة من قومه ما كان يطمع مثلها فى مثله فلما فشا امرهما كره ابوها ان يزوجها اياها بعد ما ظهر من امرهما فزوجها من غيره وأول ما ظهر من حبه لها انه طرقنا أضياف ذات ليلة ولم يكن عندنا أدم فبعثته الى ابى ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما شأنك فقال طرقنا أضياف ولا أدم لنا فارسلنى أبى اليك فقال يا ليلى اخرجى ذلك النحى فاملئى له اناءه من السمن فاخرجته ومعه قعب فجعلت تصب السمن فى الاناء وهما يتحدثان فألهاهما الحديث وهى تصب السمن وقد امتلأ العقب وقد سال واستنقعت أرجلهما من السمن ولا يشعران به فرآهما أبوها على تلك الحال فأمره بالانصراف وحجبها عنه فلما زوجها زاد هيامه وكانا فى بعض الاوقات يتحدثان فقطن بهما زوجها

قال الانام وقد رأو * مع الحداثة قد تصدر
من ذا المجاوز قدره * قلت المقدم بالمؤخر

ومن هذه المادة قول الآخر

ما ركب المهرة مسروجة * لولا ركوب المهر عريانا

وكان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير قد عزل من الوزارة ثم أعيد اليها بسبب مصاهرته لنظام الملك الوزير حين زوجه نظام الملك ابنته فقال الشريف بن المهارية في ذلك

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تكبر واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حراصرت مولانا الوزير به

وقد صنف بعض المتأخرين مجلدا سماه الأنس في ذكر من راس بالكس ورجع وقال شريف ابن المهارية أيضا

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما في البرية كلها انسان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنت * فالرأي أن يتبيدق الفرزان

وقال محمد بن شرف القيرواني

قالوا تصاهلت الجميـ * ـر فقلت من عدم السوابق
خلت الدسوت من الرخا * خ ففرزنت فيها البيادق

وقال آخر

تبا لدهر قد أتى بعجاب * ومحا فنون العلم والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

وقالوا آخر

قالوا فلان قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب ليـ * ـس يدور الا بالبقر

وقال آخر

لو ان أشياخنا كانت لهم همم * تبغي رياستنا لم تر أس البقر
لكنهم وقضا الله محتمل * ليسوا من الناس الا انهم بشر

وقال آخر

هون عليك فقد مضى من يعقل * والبس من الاخلاق ما هو أفضل
فلقلما تأتي اليـ * ـك مسرة * الا تتابع بعدها ما يثكل
واذا خبرت الناس لم تلق امرأ * ذا حالة ترضيك لا تتحول
لكنهم نكبت بهم أهواؤهم * كل يعيب ولا يرى ما يفعل
فاستر ضعيف قوى آرائه * ومجاهر يرمى ولا يتأمل
ومقلد متعقل متأدب * فاذا اختبرت فباقل وهو أعقل

وقال بن الساعاتي

والخل من ناش في المخطوب بضبعه * يك ومن سدر تقه خلالك
ما أنزل العليـ * ـة الكرام وما * أكثر يا دهر بيننا سفلك

وما

فقد له وجن جنونه وهام مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد المياه ولا يجده من يطلبه الا قليلا فعجبت من أمره ويئست من لقائه وانصرفت * وحكى بعض بني عامر قال مررت بالمجنون وهو على تل رمل قد خط باصابعه خطوطا فدنوت منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضا عنه فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط باصابعه فقلت احسن والله القائل

واني لمن دمع عيني بالبكا * لحذار الذي قد كان او هو كائن

فلما سمعني بكى حتى ابتل الرمل الذي بين يديه ثم قال انا والله اشعر منك حيث أقول وادنيتني حتى اذا ما ملكتني * يقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث لا لي حيلة * وخلقت ما خلفت بين الجوانح

ثم سكت له ظباء فقام يعدو معها وعدت اطلبها اياما الى ان وجدته في واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فاتيت اهله فاعلمتهم فاحتملوه ودفنوه ولم يبق فتاة من بناة الحي من بني جعدة وبني الحريش الا خرجت حاسرة ولم ير باكيا احد مثل

وما أحلى قول شرف الدين المنادى

ولا خير فى عيش الفتى بين معشر * تعالوا على اخوانهم فتساقلوا

ومن هذه المادة ما نقلته من خط السراج الوراق له

ظننت بكم خيرا ولم أر ياءه * ووجه رجائى فيكم قد تصفرا
ومالكم ذنب ولكن لغالط * تفرس خيرا فيكم فتحمرا
وأنتم سمعتم ولم تعجلوا * فلم نرمنا أدميا ولا يرى

ونقلت منه له أيضا

اذا لم ترتفع عن سفل قوم * علوا وعلت مراتبهم علينا
صبرنا والزمان يرى علينا * تعاظمهم فينزلهم الينا

ونقلت منه له أيضا

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غداشاكيا من لحن أيامه خفضا
ومستفل يدعى رئيس القومه * كذاك الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر له

وكم قيل قوم فى المجالس خوطبوا * وذاك دواجهالهم فى التنافس
فقلت لهم ماذاك بدع * وانه لعند الدوايدعى الخرا بالخالس

قلت كذا نقلته من خطه ولو قال ليدعى الخرا عند الدوا بالخالس لكان أتم معنى واحسن

ونقلت منه له يعرض بذكر الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاوون

كنا وكانوا ان اتت سفرة * وسلفونا جملة سامحوا
واليوم صاروا يستعيدونها * فقلت مر السلف الصالح

وأنشدنى لمن لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان فيما أظن قال أنشدنى ناصر الدين حسن بن النقيب اجازة لنفسه

ايسلم قلدوه أمر الرعايا * وهو من حلية الوزارة عطل
فهو بالبوق فى الوزارة طبل * وهو فى الدست حين يجلس سئال

ولابن النقيب ايضا

اذا صر صر البازى فلا ديك صارخ * ولا فاخت فى أيكة يترنم
وما الموت الا طيب طعمه اذا * تدايك فروج وزب حصرم

وقال ابن سناء الملك

الموت اولى بالفتى * من عيشة فى الذل غبرا
واذا تملكت اللئا * م فان موت الحر احرى

ومن مادة قول محيى الدين بن عبد الظاهر المتقدم قول الآخر

مرض الزمان وقد تمسك طبعه * من شر قولنج به يتغمس
حقنته آراء الملوك فجاءه * اهل المناصب كل شخص مجلس

(تقدمتنى اناس كان شوطهم * وراء خطوى لو امشى على مهل)

(اللغة) تقدمتنى صارت امامى اناس هو الاصل فى الناس فخفف ولم يجعلوا الالف واللام

ذلك اليوم * ومن محاسن ماروى من شعره

أبى القلب الا حبها عامرية
لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها
وينبت من أطرافها الورق الخضر

(وقوله)

فوالله ما أدرى علام صرمتنى
ولا اى امرى فيك بالليل اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه
أم أشرب ريقا منكم ليس يشرب
ولو تلتقى اصداؤنا بعد موتنا
ومن فوق رمسينا صفيح منصب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة
لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(وقوله)

أقول لاصحابى هى الشمس ضوءها
قريب ولكن فى تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبلينى
ولا مثل جدى فى الشقاء لكم جد
وما فى الا العظم والجلد عاريا
ولا عظم لى ان دام هذا ولا جلد

(وقوله)

فيه عوضا عن الهمزة المحذوفة لانه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه فى قول الشاعر

ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا

وقد يكون الناس من الانس ومن الجن واختلفوا فى اشتقاقه فقيل مأخوذ من ناس ينوس اذا تحرك وسمى الحسن بن هانئ ابا نواس لانه كانت له ذؤابتان تنوسان فى احد القولين قلت وهذا باطل لانه يصدق الانسان بهذا على الملك والانسان والشيطان بل على الحيوان والفلك لان الجميع متحرك وقيل بل من الانس وهو السكون والالف وقيل من النسيان قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى وقال ابو تمام الطائى

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسى

وقال ابو الفتح البستى

يا اكثر الناس احسانا الى الناس * واكرم الناس اعضاء عن الناسى

نسيت وعدك والنسيان مغتفر * فاغفر فأول ناس أول الناس

وقال بن سناء الملك من مرثية

فان سلوتك ناسيا لا عامدا * فالذنب للنسيان لا السلوان

وعوائد النسيان فينا خلة * موروثة من ذلك الانسان

ونقلت من خط علاء الدين على بن مظفر الكندى الوداعى ما صورته وحدثنى بعض المشايخ عن الشيخ يوسف الفقاعى انه كان يقول مسكين الانسان ماذكره الله تعالى فى القرآن الا فى مكان ذم أو شر مثل قوله قتل الانسان ما أكفره وكان الانسان عجولا ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فأعجبنى هذا المعنى فنظمته بقولى

يا أيها الانسان لا * تفخر بغير تقى وعلم

وانظر فأكثر ما أتى * فى القرآن باسمك عند ذم

(رجع) شوطهم الشوط الطاق وطاف بالبيت سبعة أشواط من الحجر الى الحجر شوط واحد وراءه بمعنى خلف وقد يكون بمعنى أمام قال الله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى أمامهم وقال تعالى وانى خفت الموالى من ورائى أى من بين يدى وقال الشاعر

ذاك خليلى وذو يعاتبنى * يرمى ورائى بامسهم وأمسلمه

ويمكن التأويل فى ذلك كله ويرد الى الاصل خطوى الخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوات بضم الطاء وفتحها وسكونها وجمع الكثرة خطا والخطوة بالفتح المرة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطاء مثل ركوة وركاء مهل المهل بالتحريك التؤدة والتأنى (الاعراب تقدمتنى) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهى فى موضع نصب (أناس) مرفوع على انه فاعل تقدم الكلام عليها (شوطهم) مرفوع على انه اسم كان والهاء والميم فى موضع جر بالاضافة (وراء) ظرف والعامل فيه النصب خبر كان المحذوف تقديره كان شوطهم مستقرا وراء (خطوى) مخفوض بالظرف والياء فى موضع جر بالاضافة (لو) تقدم الكلام عليها (أمشى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضم فيه مقدر على الياء لانه معتل الطرف بالياء (على مهل) على حرف جر ومعناه الاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال تقديره أمشى متمهلا

وموضع

أردد عنك النفس والنفس صبة
بذكراك والمشى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظنة
وأكرمكم أن يستريب مريب
ولو أن مافى بالحشا فلق الحصا
وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انى أستغفر الله كلما
ذكرتك لم تكتب على ذنوب

(وقوله)

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا
سوى أن يقولوا انى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق
كان على أنيابها الخمر شجها
بماء سحاب آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا
كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واما الابيات التى ذكر من أجلها فهى قوله عفا الله تعالى عنه وسامحه

دعا المحرمون الله يستغفرونه
بمكة يوما أن تمحى ذنوبها
وناديت يارباه أول سؤلتى
لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعص ليلى فى حياتى لم يتب
الى الله عبد توبة لا أتوبها
أهابك اجلالا ومابك قدرة
على ولكن مل ء عين حبيبها

وموضع كان وما دخلت عليه الرفع على انه صفة لاناس تقديره أناس كائن شوطهم وبعضهم رواه وراء خطوى اذا مشى على مهل وفى هذه الرواية فائدة ليست فى الاولى لان اذ ظرف لما مضى من الزمان وهذا يدل على انه كان قد تقدم له رفعة وعلو وأولئك كانوا متأخرين عنه وعلى الرواية الاولى يفهم من لو الشرطية فيكون معناه لو حصل لى مشى على مهل فى الرفعة لكان شوطهم وراء خطوى والاولى اشعر فى حق الطغرائى (المعنى) صار أمامى وعلانى وتقدمنى قوم كان جريهم خلف خطوى اذا مشيت متمهلا وهذا مبالغة فى سوء الحال واخفاء الزمان عليه بان تعوقه الايام والليالى عن السعى حتى يتقدمه الذين كانت نهايات أشواطهم اذا بلغوها وراء خطوه المتمهل نعم

ان المقادير اذا ما مضت * ألحقت العاجز بالحازم

ولكن من رمى بهذا السهم الصائب من المصائب وعنى من الزمن الخائن بهذه النوائب حقيق بان يتظلم ويتشكى ويتألم ويتكلف لأن يقول له حيث لم يتكلم

اذا لم يكن للفضل ثم مزية * على النقص فالويل الطويل من الغبن

وقوله كان شوطهم وراء خطوى البيت يشبه قول هشام الرقاشى

تقدمتنى اناس ما يكون لهم * فى الحق أن يلجوا الابواب من دونى

وقول موسى بن الطائف من قصيدة

يا مبصرا عميت نواظر فهمه * عن كنه عرضى فى البديع وطولى
لو كنت تعقل ما جهلت مقاومى * من ضاق فرسخه بخطوة ميل

الفرسخ ثلاثة أميال والميل ألف باع والباع أربعة أذرع والذراع أربعة وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات بوضع بطن هذه لظهر هذه والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل والبريد أربعة فراسخ وقال تجير الدين محمد بن تميم

يا قوم قد بلغ قول الخنا * منى الى الحب بلا علم
من خنجرى أطول من سيفه * ورمحه أقصر من سهمى

والطغرائى زاد على هشام الرقاشى بمبالغتين وهما ان شوط أولئك وراء خطوه وان خطوه كان مع ذلك متمهلا وعلى موسى بن الطائف بمبالغة واحدة وهى المهل والدعوى فى المبالغة منحصرة فى ثلاثة أقسام الغلو والتبليغ والاغراق ودليل الحصر أن الدعوى اما أن تكون ممكنة أولا فان لم تكن ممكنة كانت غلوا وان كانت ممكنة فاما أن يصح وقوع ذلك عادة أولا فان صح كان تبليغا وان لم يصح كان اغراقا فالغلو كقول مهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وما أظرف قول القائل

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أنى * أراه كثير ارخاء الستور
وأكثر ما يغنيه فتاه * حسين حين يخلو بالسرور
فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

ويقال انه كان بين حجر وموضع الوقعة عشرة أيام ولهذا قيل فيه انه أكذب بيت قالته العرب ومن هذا الباب أبيات أبى الطيب

وما هجرتك النفس يا ليل انها
قليل ولكن قل منك نصيبها

وأما البيت الثالث فهو قول ابن أبى ربيعة

فقضاء حكن وقد قلن لها
حسن فى كل عين من تود

وهو عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى القرشى ويكنى أبا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره فى الغزل ولا يمتدح أحدا ولذلك قال له سليمان ابن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انما أمدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها الا فى الشعر حتى كان ابن أبى ربيعة فأقرت لها فى الشعر أيضا ولم تنازعها شيأ * ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقال اى حق رفع وأى باطل وضع يعنون كثرة معاشرته للنساء وتغزله بهن وفات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انه قتل أربعين ونسك أربعين ودخل عليه أخوه عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر احسبك تجزع لما تظنه بى والله ما أعلم أنى ارتكبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الا من ذلك وحكى الجرمى أن عمر بن أبى ربيعة كان مشتهرا بحب

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه * الابيات وهو كثير فى كلامه والتبليغ كقول امرئ القيس

عدا بى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

لان هذا ممكن فى حق الفرس أن يدرك الثور والنعجة ولم يعرق كى لا يحتاج الى أن يغسل وما أظرف قول شرف الدين بن عنين

ولما رأينا المغربى بخدمة * الحميد مثل الراهب المتبتل
سألناه هل فى ظله لك مربع * وهل عندهم دارس من معول
فقال أنا المسدى اليه تفضلى * وكم من يد لى عنده وتطول
أسد اذا استدبرته منه فرجة * بعرد قيد الأوابد هيكل
واشقى غليلا منه عرشفاؤه * بضاف فويق الارض ليس باعزل
ولكننى ان رمت اتيان عرسه * تمتعت من لهو بها غير معجل
وكم ليلة قد بت جذلان بينه * وبين هضيم الكشح ريا المخلخل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
عدا بى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

والاغراق كقول امرئ القيس أيضا

تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فان هذا غير ممكن عادة من أن يكون انسان باذرعات ويشاهد نار يثرب وقد بالغ الناس فى ضرب المثل بزرقاء اليمامة فقالوا انها كانت تنظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وحكاياتها مشهورة والنفوس تنفر من تصديق هذه الدعوى فى حقها فكيف تقبل دعوى من رأى من بلاد حوران بالشام نار يثرب فى الحجاز وبينهما على القليل مسيرة شهر وحكى الامام فخر الدين الرازى فى أول السر المكتوم أنه قال قال ثابت بن قرة ذكر بعض الحكماء كملا يقوى البصر الى حيث يرى ما بعد عنه كأنه بين يديه وقال فعله بعض أهل بابل فحكى انه رأى جميع الكواكب السيارة والثابتة فى مواضعها وكان ينفذ نور بصره فى الاجسام الكثيفة فكان يرى ما وراءها فامتحنته أنا وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتا وكتبنا كتابا فكان يقرأه علينا ويعرفنا أول سطر من الكتاب وآخره كأنه معنا وكنا نأخذ القرطاس ونكتب وبيننا وبينه جدار وثيق فأخذ هو قرطاسا ونسخ ما كنا نكتبه كأنه ينظر فيما نكتب وسأله قسطا بن لوقا عن أخ له ببعلبك فنظر ثم أخبر انه عليل وأنه ولد له مولود وطالعه ثلاثة أجزاء من الثور ففحصنا عنه فكان كما قال اه والله أعلم وقيل ان الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى حضر ذات يوم عند القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب فجرى ذكر زرقاء اليمامة فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من أمرها فقال الشيخ موفق الدين ان كانت الزرقاء ترى الشئ من مسيرة ثلاثة أيام فانا أرى الشئ من مسيرة شهرين قال فتعجب الكل وما أمكنهم يقولون للشيخ شيأ فقال له القاضى كيف هذا يا موفق الدين قال لانى أرى الهلال فقال له كنت تقول من مسيرة كذا وكذا سنة فقال لو قلت كذلك لعرف الحاضرون غرضى فقصدت الابهام عليهم قلت لو قال الشيخ موفق الدين لانى أنظر الشئ من مسيرة شهرين وأكثر لكان أحسن ابهاما ويقال ان هذه الزرقاء نظرت الى حمام يطير فى

الثريا بنت عبد الله بن امية الاصغر وكانت حرية بذلك جمالا وتماما وكانت تضيف بالطائف وكان عمر يغدو كل غداة من مكة يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قبلهم فلقى يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم فقال ما استطرقنا خبرا الا انى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش اسمها نجم فى السماء فذهب عنى اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبيل ذلك انها علية فوجه فرسه الى نحو الطائف يركضه مل فروجه ويسلك طريقا فى كل أوهى وأخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتتشوق فوجدها سليمة ومعها أختها فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لاخبر ما عندك فلذلك يقول قصيدته

يشكى الكميت الجرى اذ أجهدته

ويبين لو يستطيع أن يتكلما وحكى انها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى ذكرته فصادفت أخاها الحرث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول

الجوّ فقالت

ياليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه ليه
الى قطاة أهلنا * اذن لنا قطاميه

وذكر أبو حاتم أنها قالت

ليت الحمام ليه * ونصفه قديه
الى حمامتيه * تم الحمام ميه

فالحمام اذا ستة وستون ونصفه ثلاثة وثلاثون فالجملة تسعة وتسعون يضاف الى هذه الجملة حمامتها فتكمل المائة ويقال انها وقعت فى شبكة صياد فعرف عددها وأرى من المستحيل أن يتفق هذا الاحد مع التساهل فى تجويز الرؤية وسرعتها على أن احصاء هذا العدد والحمام فى طيرانه كيف يتهيأ وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل وبعضه يستعلى وأغرب من هذا ما قاله النابغة فى قصيدته وهو

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد
يحففه بانيق وبتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت * ستا وستين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

يريد بجانبى النيق حافتى الجبل واذا كان الحمام بين جبلين ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضا مترا كما فيكون أبعد لاحصاء عدده بخلاف ما اذا كان منبسطا فى الجو وذكرت هنا ما يمتحن به الاذهان فى الحساب قالوا صفان من الحمام قال الاعلى للاسفل كم عددكم فقالوا اذا طلع منا اليكم واحد كنتم مثلينا واذا نزل منكم الينا واحد تساوينا فكم عدد كل صف فالجواب الصف الاعلى سبعة والصف الاسفل خمسة مسئلة أخرى مسلمون ونصارى ويهود عدتهم عشرون دخلوا حماما وزنوا عشرين درهما المسلم وزن نصفا والنصرانى درهما والیهودى ثلاثة كم كان عدد كل واحد منهم الجواب المسلمون أربعة عشر والنصارى خمسة واليهود واحد مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الاخر ثلاثة أرغفة فقعدا يأكلان فمر بهما آخر فأكل معهما وأكل كل منهم من الخبز على التساوى فلما فرغوا دفع اليهم ثمانية دراهم كيف يقسم ذلك بينهم الذى يبدو الى بادئ الرأى ان صاحب الخمسة له خمسة وصاحب الثلاثة له ثلاثة وليس كذلك والجواب ان صاحب الخمسة يستحق سبعة وصاحب الثلاثة يستحق واحدا والعلة فى ذلك ان كلا منهم أكل رغيفين وثلثى رغيف يخص كل ثلث درهم مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مشتركان فى ثمانية أرطال زيتا أراد اقتسمته بينهما ولم يكن معهما الا وعاء يسع خمسة ووعاء يسع ثلاثة فكيف الحيلة فى قسمته الجواب أن يفرغ فى وعاء الثلاثة ملئه ثم يقلب ذلك فى وعاء الخمسة ويملأ وعاء الثلاثة مرة ثانية ويفرغ منه فى وعاء الخمسة تكملة وسعه وهو رطلان ويبقى فى وعاء الثلاثة رطل واحد فيفرغ ما فى وعاء الخمسة فى وعاء الاصل ويقلب الرطل الذى بقى فى وعاء الخمسة ثم يملأ وعاء الثلاثة مرة ثالثة من الاصل ويضاف للرطل الذى فى وعاء الخمسة فيجتمع فيه أربعة أرطال مسئلة اجر بركة تمتلئ من نهرين

أعزبى فلست بالفاسق
أخزاك الله فلما علمت بالقضية انصرفت ورجع عمر فأخبره الحرث فاغتم لما فاته وقال له اما والله لاعملن النار ابدا وقد القت نفسها عليك فقال الحرث عليك وعليها العنة الله * وقال عمر ما اخجلنى الا ليلى بنت عمرو لقيتها وهى تسير على بغلة لها وكنت اشبب بها فقلت لها جعلت فداك قفى واسمعى بعض ما قلت فيك فقالت او فعلت فقلت نعم فوقفت فأنشدتها

الا يا ليل ان شفاء نفسى
نوالك لو علمت فنوليناً
وقد زف الرحيل وحان منا
فراقك فانظرى ما تأمرينا
فقالت آمرك بتقوى الله وايثار طاعته وترك ما انت عليه ثم انصرفت * وحكى انه كان يوما يساير عروة بن الزبير فقال عمر واين زين المواكب يعنى محمد بن عروة وكان يسمى بذلك لجماله فقال عروة هو امامك فركض يطلبه فقال له عروة يا ابا الخطاب اولسنا اكفاء لحاد ثلك وهو انسك فقال بلى ولكنى مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ثم انشد يقول انى امرؤ مغرم بالحسن أتبعه
لاحظ لى فيه الا لذة النظر
ثم مضى حتى لحقه وجعل

عروة يفضل منه * وروى
انه شبب بزينب بنت موسى
الجمحي وكان ابن ابي عتيق
ذكرها له فاطنب في وصفها
فصنع فيها قصيدته التي
يقول فيها
ياخليلي من ملام دعاني
والملام اغراء بالاطعان
وبلغ ذلك ابن ابي عتيق
فلامه في ذكرها فقال
لاتلمني عتيق حسبي الذي بي
ان عندي عتيق ماقد كفاني
لاتلمني فأنت زينتها الى
فبدره ابن ابي عتيق
فقال
انت مثل الشيطان للانسان
فقال عمر هكذا والله قلته
فقال ابن ابي عتيق اما علمت
ان شيطانك ربما الهى فيجد
عندي من عصيانه كما يجد
عندك من طاعته * ومثل
هذا ماحكي انه انشد عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما
قصيدته الدالية فلما قال
تشط غدا دار جيراننا فبدره
ابن عباس فقال وللدار بعد
غد ابعد قال هكذا والله قلت
فقال ابن عباس انه لا يكون
الا هكذا * وروى ان عبد
الملك بن مروان جمع بينه وبين
جميل وكثير عزة وقال لينشد
كل واحد منكم بيتا في الغزل
فأيكم كان اغزل فله هذه
الناقة وما عليها وكان قد
احضر ناقة موقورة دراهم

يومين ومن نهر في ثلاثة أيام ومن نهر في أربعة أيام فجمعت الانهار الثلاثة دفعة واحدة في كم تمثل الجواب في اثني عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانك تأخذ مخرج النصف والثلث والربع وهو اثنا عشر وتقسمه على مجموع الاجزاء وهي ثلاثة عشر جزأ الخارج اثنا عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانه ينصب اليها من النهر الاعظم ستة أجزاء من ثلاثة عشر ومن الاوسط أربعة اجزاء ومن الاصغر ثلاثة اجزاء وذلك مجموعها (رجع) وقول الطغرائي داخل في الغلو باعتبار وفي الاعراق باعتبار حكى صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال دخل أشعب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق فقيل له ماتريد قال استفتي في مسئلة فبينما هو كذلك اذ مر برجل من ولد الزبير وهو مستند الى سارية وبين يديه رجل علوي فخرج أشعب بعد وقال له الذي سأله عن طوافه وجدت من أفتاك في مسئلتك قال لا ولكن علمت ماهو خير لي قال وماذاك قال وجدت المدينة كما قال الحرث بن خالد

قد بدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

ورأيت رجلا من آل الزبير جالسا في الصدر ورجلا من ولد علي رضي الله عنه جالسا بين يديه فكفاني هذا عجبا فانصرفت به وحكى صاحب زهر الآداب وغيره ان مزيد المدني دخل على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير عمه وهو رجل من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وآخر من ولد عمر رضي الله عنه جالسان بين يديه على الارض فلما رأى المولى مزيدا اتجهمه وقال يامزيد ما أكثر سؤالك أجئت تسألني شيأ قال لا ولكن أردت ان اسألك عن معنى قول الحرث بن خالد

انى ومانحروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العقل

قد بدلت البيت فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذي قال فقال اعزب في غير حفظ الله وضحك جميع أهل المجلس وما أحسن ماقال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة ويصف خيمة ضربت له

ولو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

وقد ضمنت هذا البيت فقلت فيمن أحب أسود والمحب حسن الوجه

أيا من تكلف حب العبيد * وذلك في العقل لا يجمل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

ومما يخرط في سلك قول الطغرائي ماقاله الارجاني

ومن العجائب ان لي * صبرا على هذي العجائب
ومن النوائب انني * في مثل هذا الشغل نائب

وقال التهامي

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
زمن كأم الكلب ترأم جروها * وتصد عن شبل الهزبر الضاري

وهذا المعنى الذي تخيله التهامي معنى حسن ولكنه لم تساعده الالفاظ عليه فجاء ناقصا لانه يريد أن الزمن يشتمل على الكلاب ويصد عن الاسود وهذا مليح ولكن مايفهم من البيت هكذا لمن تأمله لان الكلبة اذا أرضعت جروها واعرضت عن شبل الاسد لايستغرب منها هذا

الفعل وكان ينبغي ان يزيده بيانا بان يقول الزمان كلب فلا غرو اذا حنا على أولاد الكلاب وقساعلى الاشبال وقال أيضا

يخفى الزمان فضائلي فكأنني * وكانها في قلبه اضمار
لم اخف الا لعلو واغما * تخطى السها العلوه الابصار

وهو ماخوذ من قول أبي العلاء المعري

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذئب للطرف لا للنجم في الصغر

وقال الغزي

اني لاهضم نفسي بعد معرفتي * ان الجمانة لا تصفو مع الزبد
وربما عفت حمل السيف معتصما * بحمله لاشتراك الناس في العدد

وقال ايضا

غيري له الجد والايام تقسم بي * وهي الجديرة بالصغري من القسم
اظنها اقسمت باسمي لتخفضني * ولم يكن غير فضلي احرف القسم

وقال ايضا

قالوا نزلت فقلت الدهر اقسم بي * لا وجه للرفع في الجر ور بالقسم

وقال ابن نباتة السعدي

أبى الله ان أهوى من الناس واحدا * وكلهم عندي اقل من القل
أبيت اعزي النفس باليأس منهم * ولو شئت كانت في خدودهم نعلي

والابيات التي طمت وعمت هي قول المعري

ولما رايت الجهل في الناس فاشيا * تجاهلت حتى قيل اني جاهل
فوا عجبا كم يدعي الفضل جاهل * ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل
اذا وصف الطائي بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة * ويا نفس جدي ان دهرك هازل

وما أحسن ما انشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يضمن اعجاز هذه الابيات

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول
وفضلت الجوزاء على البدر وجهه * وقال السها يا شمس لونك حائل
واعيا فصيح اللفظ نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل
ولما مشى فوق البسيطة زانها * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
واعرض مني حين لا لي ناصر * وهل ناصر في الحب والظبي خاذل
فيا موت زر ان الحياة كريهة * ويا نفس جدي ان دهرك هازل

وقوله واعيا فصيح اللفظ البيت سبقه الى هذا المعنى شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

فابتدر جميل في الاول وقال

ولو ان راقي الموت يرقى جنازتي
بمنطقها في الناطقين حبيت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة
جعل الالهة خدودهن نعالها

وقال عمر بن ابي ربيعة

فليت الثريا في المنام ضجيعتي
لدى الجنة الخضراء اوفي جهنم

فقال عبد الملك خذها يا صاحب جهنم * ومن محاسن شعر عمر قوله في قصيدته الرائية

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع
ولا الحبل موصول ولا انت مقصر

اشارت بعيدا راها وقالت لقربها
اهذا المغيري الذي كان يذكر

لئن كان اياه لقد حال بعدنا
عن العهد والانسان قد يتغير

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشي فيخصر

اخا سفر جواب ارض تقاذفت
به فلوات فهو اشعث اغبر

وليلة ذي دوران جشمني الكرا
وقد يجشم الهول المحب المغرر

وبت رقيبا للنراق على شفا
ولي مجلس لولا اللبانة اوعر

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت
مصابيح شت للعشاء ونور

*(هذا جزاء امرئ اقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل)*

(اللغة) الجزاء تقول جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى ويقال جازيته فجزيته أى غلبته مثل باكيته وبكيته اى كنت ابكى منه وهو أحد الاقوال فى قول الشاعر

الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

اى تبكى عليك نجوم الليل والقمر فتبكيهم ومعناه على كل حال مشكل لان الشمس اذا كانت طالعة غير كاسفة فكيف تكون باكية فكان ينبغى انها غربت و كسفت وبكت هذا الذى يليق بالرثاء والتأبين وقال اهل العلم بالادب فيه اقوال منها ان فيه تقديما وتاخيرا وان نجوم الليل والقمر منصوبان بكاسفة لا بقوله تبكى وتقديره ليست بكاسفة نجوم الليل ولا القمر تبكى عليك واذا كانت غير كاسفة لغيرها من الكواكب كانت غير مضيئة فهى سوداء مظلمة والزمان كله ليل وهذا فى غاية ما يكون من المبالغات فى المراثى وهذا أجود ما قيل فيه وأظن هذا البيت مما رثى به عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب وقيله فيما أظن

جاءت أمر اعظيما فاضطلعت به * وقمت فينا بامر الله يا عمرا

ونصب عمر مشكل لانه علم مفرد فكان ينبغى أن يبنى على الضم وما أحسن قول السراج الوراق فى شخص يسمى بالعلم

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى

وكتب الى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ملغزا فى المأذنة فقال

يا أماما له ضياء ذكاء * يتلاشى له ضياء ذكاء

ما مسمى بالرفع يعرب والنصب وان كان مستقر البناء

علم مفرد فان رفعوه * رفعوه قصد الاجل النداء

انثوه ومنه قد عرف التذ * كير فانظر تناقض الاشياء

وهو ظرف فاين من فيه ظرف * ليجلى عن هذه العمياء

وكنت قد وقفت على لغز أنشأه المولى الفاضل شرف الدين حسين بن ريان فى المأذنة وهو نثر أتى فيه باشياء مليحة وكلفت الجواب عنه فاجبت عن ذلك ومن جملة الجواب

شهادته مارعها غير كافر * ويقضى بها من كان بالحق قاضيا

يقول معانى الطب يا عجبا له * يصح وقد ضمت حشاه المراقيا

وهذا اللغز والجواب أثبتهما فى الجزء الرابع عشر من التذكرة التى جمعتها (رجع) الى اعراب قوله يا عمر اقالوا فيه وجوه منها أنه أراد يا عمر بن الخطاب والمنادى المضاف يكون منصوبا ثم قطع الاضافة لانتهاء الوزن ومنها أنه أراد يا عمر اه على الندبة وحذف الهاء كما فى قوله تعالى يا أسفا على يوسف وقيل غير ذلك (رجع) امرئ تقدم الكلام عليه فى قوله حب السلام البيت أقرانه القران جمع قرين وهو المصاحب من قبله قبل نقيض بعد فتمنى تمنيت تفعلت من المنية فسحة تقدم الكلام عليها فى قوله أعال النفس الاجل مدة الشئ وغاية العمر وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال حكماء الاسلام ان للانسان أجلين اختراميا وهو الذى يحصل بالاسباب الخارجية كالغرق والحريق ولسع الحشرات والتردى من الاماكن العالية والقتل وما أشبه ذلك وطبيعيا وهو الذى يحصل بفناء الرطوبة

وعدم

ونفضت عنى النوم اقبلت مشبه الـ

حباب وركنى خيفة القوم ازور

فخيبت اذ فاجأتها فتولت

وكادت بهجور التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتنى

وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

اريتك ان هنا عليك الم تخف

رقيبا وحولى من عدوك حضر

فلما تقضى الليل الا اقله

وكادت توالى نجمه تتغور

اشارت لاختيها اعينا على فتى

اتى زائرا والامر للامر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا

اقلى عليك اللوم فالخطب ايسر

يقوم فيمشى دوننا متنكرا

فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجنى دون من كنت اتقى

ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

هنيئا لبعل العامرية نشرها الـ

ـلاذ يذور بها الذى اتذكر

اطلت لى ذكر هذه القصيدة لما رايت فيها من اللفظ المطبوع والانسجام الذى لا يتهيأ لغيره من الشعراء ومن محاسن شعره قوله

وعدم الحمار الغريزي وذلك غاية الهرم ونهايته مائة وعشرون سنة لان التجربة دلت على ان غاية سن النمو ثلاثون سنة وغاية سن الوقوف عشر فهذه أربعون ويجب ان يكون غاية سن النقصان ضعف الاربعين المتقدمة وذلك ثمانون سنة وانما صار زمان الفساد ضعف زمان النمو اما من السبب المادي لان في زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على البدن فتتعلل بالقوة واما من السبب الفاعلي لان الطبيعة تتأدى الى الافضل وتتحامى عن الانقص وتمسكوا في القول بالاجلين بهذه الآية الكريمة والآية الاخرى تكذبهم وهي قوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر واما الآية المتقدمة فقال المفسرون فيها أقوال منها ان الاجل الاول آجال الماضين والاجل الثاني آجال الباقين لان الاول علمت والثواني لم تعلم ومنها أن الاجل الاول الموت والثاني أجل القيامة والبعث والنشور ومنها أن الاجل الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت والثاني هو النوم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ومنها ان الاجل الاول هو ما انقضى من عمر كل واحد والثاني مقدار ما بقي من عمره وانما قال تعالى في الاجل الثاني أنه مسمى عنده لانه اما يوم القيامة واما ما بقي من عمر الباقين وكل ذلك غيب لا يعلمه الا الله تعالى وقوله تعالى عنده هذا كما تقول عندي في هذه المسئلة كذا وكذا يعني اعتقادي وقولي والذي أراه او قضى به أن ذلك مذكور في اللوح المحفوظ فان قيل النكرة لا يجوز الابتداء بها خصوصا اذا كان الخبر ظرفا فانه يجب تقديمه فالجواب أنها لما تخصصت بالصفة المعروفة ساغ الابتداء بها كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ونقلت من خط السراج الوراق له

أراني بطيئا اذا ما كتبت * وقد خلقت طينتي من عجل
كأني خالفت نص الكتاب * فعندي لكل كتاب أجل

(الاعراب هذا) اسم أشارة في موضع رفع بالابتداء والاشارة الى الحالة التي ذكرها في الابيات المتقدمة من تقدم من دونه عليه ومن فقره وضره وغربته وانفراده (جزاء) مرفوع على انه خبر المبتدا (امرئ) مجرور بالاضافة (أقرانه) مرفوع على الابتداء والهاء في موضع جر بالاضافة (درجوا) فعل ماض والواو ضمير الفاعلين يعود على الاقران وموضعه الرفع (من قبله) من حرف جر وهي ظرفية أو زائدة وقيل ظرف زمان ومتى قطع عن الاضافة بني على الضم لوقوعه موقع الغايات كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد واذا أضيف تمكن من الاسمية فيعرب والهاء في موضع جر بالاضافة وهو عائد الى امرئ (فتمنى) الفاء للتعقيب تمنى فعل ماض وكتب بالياء لانه من تمنيت وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى امرئ (فسحة) منصوب على انه مفعول به لتمنى (الاجل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة بمعنى اللام وقوله أقرانه درجوا الخ في موضع جر صفة لامرئ (المعنى) هذا الذي أنا فيه من الغربة والفقر والعطلة والانفراد وتقدم الاراذل على ولاية الاوغاد والسفل جزاء انسان درجت أقرانه واخوانه فتمنى الحياة بعدهم وبعض هذا ينظر الى قول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

قال صاحب الاغاني حدثني محمد بن جرير الطبري أنبانا أبو السائب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تنشد بيت لبيد ذهب الذين البيت فتقول

ألا الحق ان دار الرباب تباعدت * وانبت حبل الوصل قلبك طائر
أفق قد أفاق الواجدون وفارقوا * هووا واستمرت بالرجال المرائر
أمت حبها واجعل رجاءك وصالها * وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وهبها كشيء لم يكن أو كنازح * به الدار أو من غيبته المقابر

هذا البيت من أحسن ما ذكره أرباب البديع وفيه نوع من أنواع التقسيم وقوله أيضا

بينما يعتني أبصرتني * مثل قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

يقال انه رتب كلامه على قدر عقول هؤلاء فالكبرى تجاهلت عن معرفته والوسطى أظهرت معرفته والصغرى أظهرت معرفته ووصفه وقوله معارضا القصيدة جميل

جرى ناصح بالود بيني وبينها * فقربني يوم الخضاب الى قتلي
فلما توافقنا عرفت الذي بها * كما عرفت بي حذو النعل بالنعل
وسلمت فاستأنست خيفة أن يرى * عدوي مكاني أو يرى كاشح فعلي
فقالت وأرخت جانب الستر انما * هي فتحدث غير ذي رقبة أهلي

رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال عروة رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم فقال هشام رحم الله عروة فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال وكيع رحم الله هشاما فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو السائب رحم الله وكيعا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو جعفر رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ونحن نقول والله المستعان فالقصة أعظم من ان توصف بحال اه ولله در القائل

زماننا هذا خرا * وأهله كما ترى
ومشيهم جميعهم * الى ورا الى ورا

وقلت أنا زيادة عليه

الى ورا بحيث لم * تلق لخير خبرا

وحكى الاصمعي عن عيسى بن عمر قال وفد أبو الجهم بن حذيفة على معاوية فقال له معاوية والله ان لك لشرفا وحقا وقرابة يا أبا الجهم وانه لزمتنا مؤن عظيمة وهذه مائة ألف فخذها واعذر قال أبو الجهم فقبضتها على مضض وقلت في نفسي ما عسى ان أقول له وهو رجل ناء عن بلاد قومه وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الجفاة الاغفال فقبلتها على أنه قد قصر بي فلما توفي معاوية واستخلف يزيد سرت اليه وافدا وأقمت أياما فقال لي يا أبا الجهم اني بحقك وقرابتك وشرفك لعارف وان مع حقك لحقوقا ومؤنا ولا نستطيع دفعها وأنت أولى من عذر ابن أخيك وهذه خمسون الفا فاقبضها اليك واعذر فقلت في نفسي غلام حدث نشأ مع غير قومه وسكن غير بلده وهو مع هذا ابن كلية فأي خير يرجى منه ثم اني أخذتها منه على أنه قصر بي وانصرفت فلما استخلف عبد الله بن الزبير قلت في نفسي هذا بقية قريش البطاح فأتيته وافدا وأقمت عنده أياما ثم قال لي يا أبا الجهم مهما جهلت فلن أجهل شرفك وقرابتك وحقك غير أن على مؤنا وغرما وحالات وأمورا يطول شرحها ولكن مع ذلك فاني غير مخيب لسفرك هذه ألف درهم خذها واستعن بها على أمورك فقبضتها فرحا ثم مثلت بين يديه فقلت يا أمير المؤمنين مد الله لقريش في بقائك ودافع ولا امتحنها بفقدك فوالله لا زالت بخير ما بقيت لها فقال ابن الزبير جزاك الله عن الرحم خيرا فوالله ما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مائة ألف ولا قلته ليزيد وقد أعطاك خمسين ألف وقلته لنا وانما أعطيناك ألف درهم فقلت نعم يا أمير المؤمنين من أجل ذلك قلت لأني خفت ان أنت هلكت لا يلي أمر الناس الا الحناذير وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهندار العرب

كنا اذا جئنا الملـ * ـوك قبلكم أنصف في الترحيب بعد القيام
والآن صرنا حين نأتيكم * نقنع منكم بلطيف الكلام
لاغير الله بكم خشية * من أن يجي من لا يرد السلام

وقال المتوكل يوما لجلسائه اتعلمون أول ما عتب المسلمون على عثمان رضي الله عنه فقال أحدهم نعم يا أمير المؤمنين انه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضي الله عنه دون مقام أبي بكر رضي الله عنه بمرقاة فلما ولي عثمان رضي الله عنه صعد ذروة المنبر فأنكر المسلمون ذلك عليه

فقلت لها ما بي لهم من ترقب
ولكن سري ليس يحمله مثلي
يقال ان هذا البيت أحسن ما قيل في وصف الشعر وقوله أيضا

أيها الرائح المجد ابتكارا
قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليما
ففؤادي بالخيف أضحى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا
كل يوم من حجة واعتمارا

يروى أن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططا عظيما وان الله لارحمهم من أن يبلغه أمنيته وأما الشعر الذي ذكر من أجله فقوله في هند بنت الحرث بن عوف المرية

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد

ولقد قالت لاتراب لها

ذات يوم وتعرت تبترد
أكما يشتهي تبصرني
عمر كن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قان لها
حسن في كل عين من تود
حسدا جلنه من أجلها
وقديما كان في الناس الحسد

(وكانت انما حلتك بحلاك ووسمتك بسماك)

ولم تعرك شهادة ولا تكافت الزيادة)

وأرادوا أن ينزل دون مقام عمر بمرقاة فقال عبادة يا أمير المؤمنين ما أحد أعظم منة عليك من عثمان قال وكيف ذلك ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن مقام من تقدمه مرقاة كنت أنت تخطب علينا في بئر وقال يوسف بن يعقوب اشترى بعض التجار دارا في الانصار فبلغه كرهوه بحب مكسور وقالوا هذا حب سعيد بن جبير فاقرضناه عليه مائة درهم فرد الحب وأعطاهم الدراهم وانتقل فقالوا له لم انتقلت قال أخاف أن تباكروني بقصعة عبادة بن الصامت وحكي ان بعض الارقاء كان عند مالك يأكل الخاص ويطعمه الخشكار فانف الرقيق من ذلك فطلب البيع فباعه واشتراه من لا يأكل الخشكار ويطعمه النخالة فطلب البيع فباعه واشتراه من لا يأكل شيأ وحلق رأسه وكان في الليل يجلسه و يضع السراج على رأسه بدلا من المنارة فاقام عنده ولم يطلب البيع فقال له النخاس لاى شئ رضيت بهذه الحالة عند هذا المالك فقال أخاف ان يشتريني في هذه المرة من يضع الفتيلة في عيني عوضا من السراج ويقال ان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان جميلا وكان أمد الناس قامة وكان رأسه الى منكب أبيه علي وكان رأس علي الى منكب عبد الله بن عباس وكان رأس عبد الله الى منكب العباس وعلى ذكر الجرب في قول لبيد نقلت من خط السراج الوراق له

زعموا البيد اقال في عصر له * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وأراه اعدى خلفه من خلفه * جربا واعيا الداء كل مجرب
وتضاعف الجرب الذي عداوه لا * تنفك عن ماض ولا متعقب
وتفاقم الداء العضال فخلفنا * بلغ الجذام وعصرنا عصروني

ومن كلام القاضي الفاضل وأشكو بعد قلبي جسمي فقد ضعفت قوته وقوى ضعفه ونسجت عليه هموم ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الجرب الذي عادى بيني وبيني وانتقم بيدي من جسمي واستخدمها الحرث أرضه وان لم يكن لارضه عجاج فلي عجيج وان لم يكن لي بذر فلي من الحب ثمار وان لم يكن لي سنبلة فلي أثلة وان لم يكن لي في كل سنبلة مائة حبة آكلها فلي في كل أثلة مائة حبة تأكلني وقد كنت مسالما لاعضائي الاسنا أقرعها فلم يخل زمن من مندمائي أو أصبعا أعضها فما أكثر ما تأتي به الايام من غائظاتي والآن فقد زدت على الظالم الذي يعض على يديه فانا أقرع جميع أعضائي وكلها أنيات وأعض على جوارحي وكلها أنامل وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والجرب هم الاجسام والهم جرب القلوب والفكر للقلب حك والحك للجسم فكر وبالله ندفع ما لا تطيق يا واهب العمر خلصه من الكدر ويقال ان الذي يعدي ثلاث جيمات الجذام والجرب والجدري وثلاث سينات السعال والسل والسبل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان الشؤم في شئ رواه مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان يكن من الشؤم شئ حق ففي الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان كان الشؤم في شئ وفي حديث جابر ان كان الشؤم في شئ ففي الربع والخادم والفرس قال ابن الجوزي ولقائل أن يقول كيف يجمع بين هذا وبين قوله لا عدوى والجواب ان عائشة رضي الله عنها قد غلطت من روى هذا الحديث وقالت انما كان أهل الجاهلية يقولون ذلك وهذا رد منها لخبر رواته ثقاة والصحيح ان معناه ان خيف من شئ أو يكون شئ يخاف شره و يتشاءم به فهذه الاشياء لا على سبيل القطع التي يظنها

قوله (وكانت) عطف على وهبها (والحلى) الاوصاف التي يوصف بها الشخص كأنها مأخوذة من الحلى وهو الزينة (والسما) العلامة ومنه قوله تعالى من الملائكة مسومين (والشهادة) العلم بالشئ والاقرار به (بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك) هذا مثل يضرب في الصدق وأصله ان رجلا ساوم رجلا في بعير فقال ما سنه فاخبره بانه بكر فنفر عنه أي رأى سنه واحد الاسنان فقال صدقني سن بكر روى سن بكره بفتح النون على انه مفعول وسن بضمها على انه فاعل وكلاهما صحيح المعنى (ووضعت الحناء مواضع النقب بما نسبته اليك) (ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك) هذا مثل يضرب لمن يضع الامور في محلها وأصله ان الحائك وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتتبع النقب التي في جسد البعير وهي مبادي الجرب وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدريد قوله في الخنساء وهو دريد بن الصمة بن الحرث الجشمي من هوازن فارس معروف من فرسان الجاهلية وشعرائها مشهور بالرأي

والظفر وأمه ريحانة بنت معدى كرب أخت عمرو وقتل فى غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وكان قد أسن وعجز عن الحرب وانما حمل مع القوم لرأيه وتدبيره وهى الواقعة التى أشار فيها برأى ولم يسمع منه فقال يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع * وهزمت هوازن وقتل أكثرهم وقتله ربيعة بن رفيع السلمى فى خبر يطول وقال لما ضربته بسيفه وقع متكشفا فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل حكى الاصمعى أن أمه ريحانة قالت له بعد مقتل أخيه عبد الله بن الصمة يا بنى ان كنت عجزت عن ثار أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد فأرق لذلك وحلف لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثاره ثم وجد غرة من غطفان فغزاهم وقتل منهم قوما ثم أسر دواب بن اسماء وأتى به الى فناء أمه فقتله فاخذت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها الى أن انقطع منه شئ وهى لا تعلم من الفرح ثم قال فى ذلك

جزينا بنى عبس جزاء موفرا
بقتل عبد الله يوم الذنائب

الجاهلية من العدوى ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى ما روى عن عائشة رضى الله عنها قال هذا ساقط لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخبر عن الناس ما كانوا يعتقدونه وانما بعث ليعلم الناس ما يلزمهم ان يعلموه قال وفائدة هذا اللفظ حصر الشؤم فى الثلاثة المذكورة عادة لا خلقة قلت وقال بعض الافاضل انه لا تنافى بين قوله لا عدوى ولا طيرة وبين حديث ابن عمر فى الشؤم لان الراوى روى طرف الحديث لكونه لم يسمع أوله لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بال أقوام يقولون ان يكن من الشؤم الحديث لان الاعرابى لما سمعه عليه الصلاة والسلام يقول لا عدوى ولا طيرة قال فما بال ابلنا تكون كالظباء الغفر فاذا دخلها البعير الاجرب أعداها فقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن أعدى الاول وقولهم أشأم من طويس هو طويس المغنى ولد يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم وفطم يوم توفى أبو بكر رضى الله عنه وبلغ الحلم يوم قتل عمر رضى الله عنه وتزوج يوم قتل عثمان رضى الله عنه وجاءه ولد يوم قتل على رضى الله عنه ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

تطيرت الوزارة من قريب * بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبه كعب مشوم * ولا سيما على الملك السعيد

وما احلى قول النصير الحمامى فيما اظن

أقول للكاس اذ تبدى * بكف أحوى أغن أحور
خربت بيتى وبيت غيرى * وأصل ذا كعبك المدور

وقول شمس الدين محمد بن دانيال ملغزا فى السرموزة

وجارية هيفاء مشوقة القد * لها وجنة أبهى احمرارا من الورد
من العينيات التى حروفها * يفوق صقالا صفحة الصارم الهندى
وثيقة حبل الوصل منذ وطئتها * فلست أراه قط منتقض العهد
ولم أر زوجا فى سيرها كل ساعة * على الترب ألقيها معفرة الخد
ومن عجب انى اذا ما وطئتها * تئن أنينا دونه انة الوجد
مباركة عندى فلا برحت اذن * مدورة الكعبين شؤما على ضدى

وعلى ذكر شؤم الدار قال عبد الملك بن عمر الكوفى كنت عند عبد الملك ابن مروان بقصر الكوفة المعروف بدار الامارة حين جئ برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآنى قد ارتعت فقال مالك فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما بين يديه بهذا المكان ثم كنت فيه مع المختار أبى عبيد الله الثقفى فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار بين يديه ثم هذا رأس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم الطاق الذى كنا فيه وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله حكى لى أبو المجد قاضى السويداء قال كان بالشام شاعران ابن منير الطرابلسى وابن القيسرانى وكان ابن منير كثيرا ما يبكت ابن القيسرانى بأنه ما صحب أحدا الا نكب فاتفق ان أتابك عماد الدين زنكى صاحب الشام غناه مغن على قاعة جعبر وهو يحاصرها قول الشاعر

ويلى من المعرض الغضبان اذ نقل الـ ـواشى اليه حديثا كله زور
سلمت فأزور ينثنى قوس حاجبه * كأننى كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنها زنكى وقال لمن هما فقيل لابن منير وهو بحلب فكتب الى والى حلب يسيره اليه سريعا فاليلة وصل ابن منير الى حلب قتل اتابك زنكى ولما رجع ابن منير الى حلب قال له ابن القيسرانى هذه بكل ما كنت تبكتنى به اه ويقال ان قصيدة ابن زيدون التى منها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

ما حفظها أحد الا مات غريبا ويقال فى كتاب العقد لابن عبد ربه ما كمل فى بيت الا خوب ويقال فى البيت الاخضر الذى فى بلد فرعون وهى مصر القديمة بالبدرشين انه ما دخله أحد الا ودخل الحبس (رجع) الى ذكر الحرب قال ابن سناء الملك يصف حربا أصابه

لقد لقيت وصبا * وقد شقيت نصبا
من حرب صرت به * مبغضا محببا *
الماء منه قد جرى * والجمر قد تلهبا
والنار تذكى اذ أرى * بها عظامى حطبا
أنا على السلى وان * أبصرت منها رطبا
يقول من أبصرنى * ذا الافق قد تكوكبا
من الهوان عاد كفى * ملكا محببا
ألبس ثوبا ساذجا * ثم يعود مذهبا
أصبحت ذا القروح لا * شعر ولكن كربا
يا حربا ان لم أقل * من حربى يا حربا

وقال ابن سناء الملك أيضا

اللؤلؤ الرطب حبى * فى راحتى نفائس
فاؤلؤ الحب رطب * ولؤلؤ البحر يابس

وقال البدر يوسف بن اؤلؤ الذهبى

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بداحب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى بدر الدين حسن بن على الغزى فى المعنى

يا فم المحبوب سحا * ن الذى زادك زينا
قد تحليت بدر * فتحببت الينا

وأنشدنى أيضا من لفظه لنفسه

توهم اذ رأى حبا يحاكى * على شفتيه درا فى عقيق
فقلت له وحقك ليس هذا * سوى حبب على كاس الرحيق

وقال بهاء الدين بن الصولى فى الحرب

جرحى وجرحى أذابا * جسدى اذ جفانى الاحباب
تركانى كالماء والخمر لطفا * فلهذا لطفا على الحباب

قتلنا بعبد الله خير لداته
دواب بن أسماء بن زيد بن
قارب

قال الاصمعى كان عبد الملك ابن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه أرباب البديع الاطراد لتوالى الاسماء منظومة * وحكى أبو عبيدة قال هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ وحياه وقال هل تعرفنى يا دريد قال لا قال فلم هجوتنى قال ومن أنت ولم يكن رآه قال أنا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرأ كريما فاحببت أن أضع شعرى موضعه فقال له عبد الله لئن كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان أعملتها
مسومة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقى امرأ
جواد الرضا وحليم الغضب
سبرت الانام فما ان أرى
شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن شعر دريد يرثى أخاه تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا
فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلى مكانه
فما كان وقافا ولا طائشا من اليد

قلت تخيله الجدرى كالحباب تخيل حسن ولكن هذا المقام مقام تشك وما يليق به ان يقول صرت كالماء والخمر لطفا نعم يليق بالحبيب المحذور أن يوصف باللطافة ولكن قد أخذت أنا هذا المعنى فنظمته بالقاهرة أول دخولى اليها وقد حصل لى ولمن أحبه جرب فقلت

ولما صفونا وامتزجنا محبة * ملانا حباب الحب فى ساعة المزج
وما ضر من قد خاض بحر غرامه * وأصبح فى كفيه من لؤلؤ اللجج

ثم انى وقفت بعد ذلك على هذا المعنى الثانى لمجير الدين محمد بن تميم وهو

لا تنكرن جربا قد لاح فوق يدى * من الحبيب ومهما شئتم قولوا
ماذا على اذا ما غصت بحر هوى * خرجت منه وكفى ملؤها اللولو

وقال الباخرزى

لنا جرب بين البنان نحكه * رضينا به والكاشحون غضاب
وكنا معا كالماء والخمر رقة * علانا لطول الامتزاج حباب

وقال التهامى

جسمى نحيل بالحب والحب * ذا من ربيبى وذاك من ربى
نار ان نار بالطب ان ظهرت * تخفى ونار تخفى عن الطب
كأن كفى فى اشتباكهما * جيشان حفا بالطعن والضرب
وليس غير الاظفار بينهما * من أسمر ذابل ومن عضب

وقال ابن هندو

يهيج مسرتى جرب بكفى * اذا ما عد فى الكرب العظام
تجنبنى اللئام لذاك حتى * كفيت به مصافحة اللئام

وقال الواوا الدمشقى

علة خصت وعمت * فى حبيب ومحب
دب فى كفيه مامن * حبه دب بقلبى
فهو يشكو جرحب * واشتكاى جرحب

(رجع) الى معنى قول الطغرائى فى التأسف على الماضين وما أحسن قول البحترى يذكر المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان

مضى جعفر والفتح بين موسد * وبين قتيل بالدماء مضرج
أطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى

وكان البحترى حاضر الوقعة ليلة قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر وهو يشرب بالجعفرى ووزيره الفتح وجماعة من الندماء والمغنين وغيرهم وذلك ان المنتصر بن المتوكل قال لزراقة التركى الا تشيعنى ساعة أشكو اليك ما يمر بى قال بلى وجعل يطاوله فغلق بغا الشرابى الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه فأول من ضربه باغر التركى ضربة قطع منها حبل عاتقه وأكب الفتح وزيره وقال لا والله يا أمير المؤمنين لا عشت بعدك فقتلا جميعا وأما عبادة المخنث فلما رأى قتله الخليفة والوزير قال الا أنا يا أمير المؤمنين ان لى بعدك مجالس أحضرها وكانت أشربها وساعات لهو أقضيها فلم يلتفت اليه ونجا سالما وبويع لولده المنتصر فى تلك

الساعة

صبور على وقع النوائب حافظ
من اليوم أعقاب الاحاديث فى غد
أعاذلتى كل امرئ وابن أمه
متاع كزاد الراكب المتزود
(وقوله)
أيا فارفة من للخيل ان طردت
وأطرها الطعن فى وعب والجحاف
يا فارسا ما أبوا أوفى اذا اشتغلت
كلتا اليدين كرورا غير وقاف
قوله اشتغلت كلتا اليدين يعنى يمسك العنان بيد ويضرب بالاخرى ثم قال
عبر الفوارس معروف بشكته
كاف اذا لم يكن من كربة كاف
يعنى ان الفوارس ترى منه ما يبكى أعينهم ويستعبرها
وقوله فى يزيد بن المدان حين سأله ردمال جاره
أم تكمو تردوا مال جارى
وأسرى فى كبولهم الثقال
فانتم أهل عائدة وفضل
وأيدى مواهبكم طوال
منى ما تمنعوا شيأ فليست
حبائل أخذه غير السؤال
وقوله ايضا
أبى القتل الا آل صخة انهم
أبو غيره والقدر يجرى الى القدر

الساعة ونقل الرواة ان بغا الصغير لما عزم على قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر دعا ياغر التركي بعد ما ملأ عينيه بالصلاة وقال له أنت تعلم تقديمي لك ومكانتك عندي واريد أن أسر اليك شيأ قال قل ما شئت قال ان ابني قد فسد علي وصح عندي انه يريد سفك دمي وأريد اذا دخل علي غدا وأنت حاضر اذا وضعت قلنسوتي عن رأسي الى الارض أن تقتله قال نعم فلما دخل من الغد عليه لم ينزع القلنسوة فظن باغر أنه نسي فغمزه بحاجبه فلم ير العلامة وانصرف ابنه فقال بغا يا باغر اني فكرت في انه حدث وولد واريد ان أستصلحه ثم أمسك عنه مديده وقال له ان أخي فسد علي وهم على أن يقتلني وينفرد بمكاني وأحب أن تبادر غدا اذا دخل علي وتقتله وجعل له علامة فلما دخل عليه لم ير العلامة ووقف حتى خرج أخوه فقال له يا باغر هو أخي وعسى ان استصلحه وههنا أمر هو أكبر وأعظم من هذا كله فقال له باغر وما هو قال المنتصر قد صح عندي أنه عزم على الايقاع بي واريد قتله فكيف ترى نفسك ففكر ساعة ونكس رأسه طويلا ثم قال هذا لا يجئ منه شئ قال ولم قال تقتل الابن والاب باق اذن لا يستوي لكم شئ ويقتلكم كلكم أبوه قال فما الرأي قال نبدأ بالاب ويكون الصبي أيسر قال أو تفعل هذا ويحك قال نعم وأدخل أنا الى قتله وأنت خافني فان لم أقتله والا اقتلني أنت وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا الصغير انه قاتله فتمكن له التدبير على المتوكل وحدث البحتري الشاعر قال كنا عند المتوكل مع الندماء فتذاكروا أمر السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عندي رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير فأمر المتوكل بالكتاب الى عامل البصرة يطلبه فاتفق أن اشتري بعشرة آلاف درهم فسر المتوكل بوجوده وانتضى فاستحسنه وقال للفتح اطلب لي غدا من تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسي كل يوم وما كنت جالسا قال فلم يستتم المتوكل الكلام حتى دخل باغر التركي المذكور فدعا به المتوكل ودفع اليه والسيف وأمره بما أراد وأمر أن يزد في مرتبه قال البحتري فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا أخرج من غمده منذ الوقت الذي دفعه اليه المتوكل الا في الليلة التي ضربه فيها باغر بذلك السيف وحكي ان سيفوبه قال وهو على المنبر يقص في سلسلة ذرعها تسعون ذراعا فقال له الناس ما قال الله تعالى الا سبعون ذراعا فقال هذه أعدت لو صيف وباغر وبغا وأمثالهم وأما أنتم فالسبعون لكم وكان البحتري كثيرا ما يذكر الفتح بن خاقان والمتوكل في شعره ويرتاح لذكرهما أبدا قال من قصيدة

تداركني الاحسان منك ونالني * على فاقة ذاك الندى والتطول

ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى * لدفع الاذى عني ولا المتوكل

وعادة الخنث في هذه الواقعة يخالف أباذكار الاعمى فان مسرورا الخادم حكى قال لما أمرني الرشيد بضرب عنق جعفر دخلت عليه وأبو ذكار عنده يغنيه

فلا تبعدن فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت والله في هذا أتيتك وأخذت بيده وضربت عنقه فقال أبو ذكار ناشدتك الله الا ما ألحقتني به فقلت وما رغبتك قال انه أغناني عمن سواه باحسانه فما أحب ان أبقى بعده فقلت له حتى أستأمر امير المؤمنين فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة ابي ذكار فقال هذا رجل فيه مصطنع فانظر ما كان يجري عليه فأتمه عليه قال حماد بن اسحق غنى علوية يوما

يغار علينا واترين فيشتفي بنا ان أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضي الا ونحن على شطر

وأما الشعر الذي ذكر بسببه فانه مر بالخنساء بنت عمرو ابن الشريد وسيأتي ذكرها وهي تهنأ بعيرا لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت وتريد براها وهي لا تشعر به فأعجبته وانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر وارتبعوا صحبي
وقفوا فان وقوفكم حسبي
ما ان رأيت ولا سمعت به
كاليوم هانئ أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه
يضع الهناء موضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها فردته لكبر سنه فهجاها فقيل لها الا تجيبينه فقال ما كنت لاجمع عليه أن أرده وأهجوه

(فالمبدي قبيح به خير من لدن تراه)

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره وأول من قاله النعمان لشقة بن ضمرة في خبر طويل معناه انه كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى أن أمنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى

بحضرة ابى فلا تبعد فكل فتى سيأتى البيت فقال ابى مه هذا البيت لمعرق فى العمى الشعر لبشار بن برد والغناء لابى ذكا وواول الشعر لقد عميت امرى يقال ان العمى شائع فى بنى عوف اذا أسن الرجل منهم عمى وقل من يفلت من ذلك ولذلك قال ارطاة بن سهية يهجو شبيب بن البرصاء من جملة ابيات

فلو كنت عوفيا عميت واسهلت * كذاك ولكن المريب مريب

فقيل ان ارطاة لما قال هذا الهجو كان كل شيخ من بنى عوف يتمنى ان يعمى ثم ان ارطاة عمر ولم يعم فكان شبيب يعيره بذلك ثم مات شبيب وعمى ارطاة فكان يقول ليت شبيبا كان عاش ورآنى أعمى وستأتى جملة تتعلق بذكر العمى فى الكلام على قوله اعدى عدوك البيت

(رجع) الى ذكر المتوكل قال ابراهيم بن احمد الاسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين نادى وملعب وصدام
بين كاسين اورثاه جميعا * كأس لذاته وكاس الحمام
لم يذل نفسه وسول المنايا * بصنوف الاوجاع والاسقام
هابه معلنا فدب اليه * فى كور الدجى بحد الحسام

ويحكى عن الناصر صاحب حلب انه كان اذا خلا بمجلس انسه تناول الكاس وقال

قتل مثلى ياصاح شرب المدام * ليس قتلى بالهذم او الحسام

ولكن ماتم له المراد فان هولاكو لما دخل البلاد أمسكه وجعله هدفا للسهام وقيل بل جمع له نخلتين وربطه بينهما ثم أطلقهما فراحت كل نخلة بشطر منه وقيل بل أودع عدلا ورفسه المغل بالموزات الى ان مات وأخذ قول ابراهيم بن أحمد الاسدى فى رثاء المتوكل عبد الكريم التميمى فقال يرثى صاحب خراج المغرب وقد كان تناول دواء مفات

ولما رأت شور المهابة دونها * عليك ولم تجد فيك مطمعا
ترقبت باسباب لطاف ولم تكد * تواجهه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك فى شر الدواء خفية * على حين لم تحذر لداء توقعا

وأخذه عبد المجيد بن عبدون فقال يرثى

ثارت اليه المنايا من مكامنها * سرا على غفلة الحراس والسمر
أولى لهن وأولى لو هممن به * والمنع ذو راحة والدفع ذو حذر

وسمع اعرابى وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ميتة كما مات أبو خارجة فقيل له كيف مات فقال أكل بذجا وشرب مشعلا ونام شامسا فأتته منيته شبعان ريان دفسان

(رجع) الى التاسف على الماضين قال القاضى الفاضل من جملة رسالة ولا حول ولا قوة الا بالله قول من قعد وراء الاحباب يودع كل يوم حبيبا ويعيش بعدهم فى الدنيا غريبا كأنه النجم طلع عليه الصباح فغاب او بقى منتظر الغيب وصحة ما ادعاه من طلوع الصبح ما قد علاه من الشيب وقال ابن أسد الفارقى

قديما كان فى الدنيا اناس * بهم تحيا العلا والمكرمات
فلما غال فعل الخير دهر * به عاش الخنا والمنكرماتو

وقال الارجانى

منظره فقال لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال ابيت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر وانما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه * ومعيد اسم قبيلة وفيها يقول الشاعر

ستعلم ما تغنى معيد ومعرض

والنعمان هذا هو ابن المنذر ابن النعمان ابن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله أخبار وأقوال ومن أغرب ما ذكر منها كلامه عند كسرى فى فضل العرب وذلك انه وفد على كسرى وعنده وفود الروم والهند وغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وافاض النعمان فى ذكر العرب وفضلهم على الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها فقمعر وجه كسرى وذكر كلاما ينتقص به العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان أصلح الله الملك أما امتك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقلها وحلمها وبسط حكمها وما أكرمها الله تعالى به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب الافضلتها العرب فقال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسها ونجدتها وحسن وجوهها

ذهب الذين صحبتهم فوجدتهم * سحب المؤمل أنجم المتأمل
وبليت بعدهم بكل مذمم * لامجمل طبعا ولامتجمل

وقال ابن الخياط الدمشقي

نزلت على حكم الردى في معاشر * ومن ذا على حكم الردى ليس ينزل
تبدلت بالماضين منهم نعلة * وأين من الماضين من أتبدل

وقال ابن الساعاتي

وتربة الجود من ناس منيت بهم * فان ذلك عندي غاية القسم
مالمت دهري على شئ غضبت له * من الحوادث حتى جار في القسم

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى السيد النسيب الحسيب شهاب الدين الحسين بن قاضي العسكر أحد كتاب الانشاء السلطاني من قصيدة كتب بها الى الشيخ الامام الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود وقد مات خاله القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر

فلم تنقطع كتبي لنقص مودة * ولكن دهاني صرف دهري فاذهلا
رماني عن قوس القساوة عامدا * بأسهم أوصاب فصادفن مقتلا
وضيع حقي ثم أهمل جانبي * وماحق مثلي أن يضاع ويهملا
ففارقت مخدومي بالقسر لا الرضى * فهذا قضى نحباوهذا ترحلا

وأنشدني لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة من مرثية جارية له

شكرت زماناجار بعد أحبتي * وبالغ في العدوى وبث الضغائن
فلوطاب طابت لي حياتي بعدهم * وكنت ألاقيهم بطلعة خائن

وما ارق قول القائل

باي وجه أتلقاهم * اذا رأوني بعدهم حيا
واخجلي منهم ومن قولهم * ماضرك البعد لناشيا

ومن التأسف على الماضين وان كان فيه مجون قول القائل

ولقد قال لي صديقي لما * أن رآني أضربي الافلاس
قم تسكع بذا القمد فهذا الا * بر يرجى بمثله وبراس
قلت قد كان ذا ولكن دهري * أهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الا * مر على الراحتين ثم يباس
أين من كان عالما عقاديا * مر الايور الكبار مات الناس

وحكى القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قديم فكتب تحتها من خلف مثلك مامات قلت هذا يشبه قول أبي الحسين الجزار وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآني * أمشي لاطلب رزقا
فقال لي صرت تمشي * وكل ماش ملقى
فقلت مات حماري * تعيش أنت وتبقى

وقال بعض أهل عصره

وحكم السنتها ووفائها
واحسابها وأنسابها * فأما
عزتها ومنعتها فانها لم تزل
مجاورة للملوك الذين دوّخوا
البلاد وقادوا الجنود لم يطمع
فيهم طامع حصونهم ظهور
خيلهم ومهادهم الارض
وجنتهم السيوف وعدتهم
الصبر اذ غيرهم من الامم انما
عزها الحجارة والطين وجزائر
البحار * وأما سخاؤها فان
أدنى رجل منهم يكون عنده
البكرة أو الناب عليها بلاغه
من جوانبه وشبعه وريه
فيطرقه الطارق الذي يكتفي
بالفلذة ويجتزي بالشربة
فيعقرها له ويرضى أن يخرج
له عن دنياه كلها فيما يكسبه
حسن الاحدوثة وطيب
الذكر * وأما حسن
وجوهها وألوانها فقد يعرف
فضلهم في ذلك على غيرهم
من الهند المتحرقة والروم
المقشرة والترك المشوهة
* وأما ألسنتها فان الله
أعطاهم في أشعارهم رونق
كلامهم وحسنه ووزنه
وضربهم الامثال ومعرفتهم
بالاشارة وابلاغهم في الصفات
مالبس في ألسنة الاجناس
* وأما وفاؤها فان أحدهم
ليبلغه أن أحد الرجال استجار
به وعسى أن يكون نائيا عن
داره فيصاب فلا يرضى حتى
يفني تلك القبيلة التي اصابته

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات فيه ما فاتا
من مات فى عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ما ماتا

وقال شرف الدين الابوصيرى

فلا تأس يا أيها الاديب * عليه فللموت ما يولد
اذا أنت عشت لنا بعده * كفانا وجودك ما نفقد

ولابى الحسين الجزار قصيدة فى حماره رثاه بها أولها

ما كل حين تجمع الاسفار * تفق الحمار وبارت الاشعار
خرجى على كتفى وها أنا دائر * بين البيوت كأننى عطار

ومنها

لم أدر عيبا فيه الا انه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ويلين فى وقت المضيق ويلتوى * فكأنما بيديك منه سوار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كل ما تختار
فرعت اصاحبه عهودا قد مضت * لما علمن بأنه جزار

وحكى لى بعض الافاضل انه جمع فى مراثى حمار ابى الحسين الجزار مجلدة جيدة ولم أرها أنا وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يرثى بغلته

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وجدا حسن الجملة
فماله من متجر وافر * ما نفقت فيه سوى بغلتى

(رجع) الى التأسف على الماضين ذكر الاصمعى فى كتاب الحلى قال تزوجت أعرابية غلاما من الحى فمكثت معه أياما ووقع بينهما فخرج فى نادى الحى وهو يقول يا واسعة يعيرها بذلك فقالت بديهة فى الغلام

انى تنقلت من بعد الخليل فتى * مرز أماله عقل ولاباه
ما غرنى فيه الا حسن تقبته * ومنطق لنساء الحى تياه
فقال لما خلانى أنت واسعة * وذاك من خجل منى تغشاه
فقلت لما أعاد القول ثانية * أنت الفداء لمن قد كان يلاه

وحكى ابن عبد ربه فى الاجوبة المسكتة قال قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن صيفى لو أصبت ركوة مملوءة تبرا أيا البقيع ما كنت صانعا بها قال كنت أعسرفها فى دور بنى النجار فان لم تكن لهم والا فهى لك ولكن أخبرنى الفريعة أكبر أم ثابت قال لا أدرى قال عطاء فلم تساب الناس وأنت لا تدرى الفريعة أكبر أم ثابت وقد تزوجها قبله أربعة كلهم يتلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى فقيل لها يا فريعة لم تطلقين وأنت جميلة حلوة فقالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم وقيل ان بعضهم اشترى جارية فسئل عنها بعد أيام فقال فيها خصلتان من الجنة وهما البرد والسعة ويقال ان كردية أخت بهرام سوين كانت تحت أخيها فلما قتل عنها تزوجها ابرويز وحظيت عنده وكانت فى غاية الجمال فقال لها ما يشينك شئ غير سعة حرك فقالت له انه ثقب بابور الرجال وقيل ان رجلا كان يدل بعظم آلته فقال يوما لامرأته واقعها واعجبه ما معه هل خرج من حلقك فقالت أو قد أدخلته الى الآن وقال ابن رشيق كنت أوصى غلاما وضيئا كان يختلف الى واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه

فاوقع

اويصاب قبله لما أحفر من جواره وان أحدهم ليرفع عودا من الارض فيكون رهنا لا يغلق ولا تخفر ذمته وكذلك تمسكها بشريعتها وهو ان لهم أشهرا حراما وبيتا محجوجا ينسكون منه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثاره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه * وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت أصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أبا فأبا احاطوا بذلك أحسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يدعى لغير أبيه * وأما قول الملك انهم يئدون أبناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج * وأما قوله ان أفضل طعامهم لحوم الابل فما تركوا ما دونها الا احتقارا فعمدوا الى أجلها قدرا وأغلاها ثمنا فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم لحوما وشحوما * وأما تحاربهم وتركك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفا

فاوقع به فاخبرت بذلك فقلت

ياسوء ماجاءت به الحال * ان كان ماقالوا كما قالوا
ياأحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

قلت هذا بعينه هو قول القائل في السقام

قد كان لي فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وقال بن صارة الشنتريني

من كان من نيك حتى صار من سعة * كما تحل يد من عقد تسعينا

قال بن سناء الملك

ناكوه أو خرقوه * وجاء مثل طنين
وراح وهو كئيم * وجاء وهو كعين

وقال بن الرومي من أبيات

أوسع من وقت العشاء الآخره * أولج فيه كالقناة الفائره
كأن ابرى نقطة في الدائره

قلت بن الرومي أساء الادب وأخطأ المعنى وقال بن سناء الملك

ان قلت ما أحسنه شادنا * فانما قصدي ما أخشنه
يظل ابرى ضائعا في استه * كانه المغزل في الروزنه

وبالغ من قال

أخشن من قنفذ ومن حسك * ومن عظام تكون في السمك
ويدعي ضيقه وأسفله * يصلح طوق الدارة الفلك

وقال آخر وهو أشبه بقول بن الرومي

لما انثنى وهو البسيط تبينت * لي منه دائرة كحلقة خاتم
ورأيت في الشكل المدور نقطة * فجلالت مركزها بخط قائم

وقلت أنا

قالت لابرى وهو فيها ضائع * كالحبل وسط البئر اذ تلقيه
قد عشت في كس كبير قلت ما * كذبت لان الكاف للتشبيه

وقلت أيضا

من منصفي من زمن جائر * أصبحت فيه غير مرزوق
أضاعني فضلي في أهله * ضياع ابرى في است معشوق

وحكى ان أبا الحسين الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب في ورقة يقول

الناس قد دخلوا كالابر أجمعهم * والعبد مثل الخصي ملقى على الباب

وأرسلها مع بعض الخدم فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد ياخصي ادخل فقال أبو الحسين هذا دليل على السعة ولمح أبو الحسين هذا المعنى من قول عمارة اليمني

وتخوفت نهوض عدوها وانه انما يكون في بيت الملك واحد يعرفون فضله فيلقون أمورهم اليه فأما العرب فان ذلك كثير منهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر وما أشبه ذلك فعجب كسرى من منطقه وكساه من كسوته ورده الى الحيرة * ومن ظريف أخبار النعمان انه كان قد حمى ظهر الكوفة وشقائقها ومن هناك يقال شقائق النعمان فانفرد يوما عن عسكره فاذا هو بشيخ يخصف نعلا فقال ما أنزلك ههنا قال طرد النعمان الزعاء فأخذوا يمينا وشمالا فانتهيت الى هذه الوهدة فنتجت الابل وولدت الغنم والنعمان معتم لا يعرف فقال أو ما تخاف من النعمان قال وما أخاف منه ولربما سرت يدي هذه بين عانة أمه وسرتها فلما سمع النعمان قوله سفر عن وجهه فاذا خرزات الملك تلمع فلما رآه الشيخ قال أبيت اللعن لا ترى انك ظفرت بشئ فقد علمت العرب انه ليس بينها شيخ أكذب مني فضحك النعمان وحلم عنه مع تجبره وعظمته * ومات النعمان بساباط المدائن طرحه كسرى تحت

فيما أظن

مصاحبتى ايا كما لاعدمتما * مصاحبة الخصيين للايرفاعلما
هما يحملان الامر حتى اذا بدت * له فرصة خلاهما وتقدما

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

على الباب المعظم عبدرق * لعادات اللقا الماضى يعوز
يجوز الآن عن اذن شريف * والا فهو شئ لايجوز

وقال شمس الدين بن الحكيم بن دانيال

لمست ايرى لما أراد الزنا منى وقد لاطا بالبدور الطوالع
قال دعنى من الملام فانى * لست ماعشت للملام بسامع
كيف أرضى دين اليهود لواطا * حيث لى بالنساء دين واسع

ولمع قول الجزار من قال

ولم أنس علقا نكته وهو واسع * طويل عريض المنكبين نتيف
يقول الخصى للزب تقعد ههنا * فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

قل فى استه من هجاء ما اشتهيت وزد * فقد وجدت مكان القول ذا سعة

ونقلت من خط ناصر الدين بن النقيب له

قالوا رأينا العلق يسرف منفقا * والعلق لاشئ لديه ولا معه
فأجبتهم انفاقه من سرمة * قالوا صدقت لذا الذى ينفق من سعه

وقال النور الاسعردى

قال وقد قصرت فى نيكه * سد فضا مبعرى الواسع
فقلت يامولاى عذرا فقد * اتسع الخرق على الراقع

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ومن خطه نقلت

ولقد تعاطيت اللواط فلم أجد * علقا لاقسام الصناعة يكمل
بل ضاع بينهما الصواب فواسع * يجرى على وضيق لايدخل

وحكى ان بعض البغايا حصلت مع رجل فى بيته فلما خلا بها لم ينعظ فلما أطال عليها أخذت تعنفه فلما زادت عليه فى اللوم قال لها ويلك أنت تفتحين بيتا وأنا انشر ميتا وان بينهما لفوتا

وما أحلى قول بن الحجاج

قالت وقد قلت اعبثى لى به * يوما وقد قامت وقد ناما
لو أن اسرافيل فى راحتى * ينفخ فى ايرك ماقاما

وقوله وهو من المعانى الغريبة

تقول لى وهى غضبى من تدللها * وقد دعتنى الى شئ فحاكانا
ان لم تنكنى نيك المرء زوجته * فلا تلمنى اذا أصبحت قرنانا
كأن ايرك من شمع رخاوته * فكلما عركته راحتى لانا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أرجل الفيلة فخبطته حتى مات وذلك بتحيل عدى بن زيد كاتبه وذلك أن كسرى أرسل يخطب ابنة النعمان لنفسه فقال النعمان للرسول أما ما كان فى عين السواد مايكفى الملك فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه فسأل عنه عديا فقال انه أنف من مصاهرة الملك وقال يكفيه بقر العراق فغضب واستدعى النعمان وقتله

(هجين القذال
أو عن السيال)
(طويل العنق والعلاوة
مفرط الحمق والغباوة)

الهجين من الناس من فى نسبه هجنة أى قبح وكذلك المقرف وهو أن يكون أحد أبويه قد دخل فى العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام وتقول العرب فلان هجين القذال أى يتبين لؤم نسبه فى قذاله والقذال جماع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذى يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلا فكان اللؤم يتبين من قذاله وقيل لكثرة انهزامه فى الحروب (والارعن) والراعن الاحمق مأخوذا من الرعن وهو الاسترخاء واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل أو المائل فكان الاحمق مائل

طوت الزيارة اذرأت * عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستى استرحـ * ـنا لاسراج ولامناره

ونقلت منه أيضا

تقول اذا أخرجته سلتها * وهو ذليل القفا مطرود
ياعامل السعلاف من عمل * مخـرج كله ومردود

ونقلت منه له أيضا

اذا يئس المرء من ايره * رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان فى سنه طاعنا * فقد عدم الطعن فى غيره

ونقلت منه له أيضا

ياقوم عالجت ايرى * بالحش ولما تكعلك
ولم يصح ودادى * من عادة مذ توعلك

ونقلت منه له أيضا

رب بكر أصبتها أول العمـ * ـر وقد حى من الشباب المعلى
طلبت ذلك النشاط فاجلـ * ـت لها القول حين قصرت فعلا
كنت ترسا وكان رمحا فلما * صرت بئرا ياستنا صار حبلا

ونقلت منه له أيضا

قالت وقد هاجرتها * فى الصوم أف عليك بعلا
كانت عليك وظيفة * صيرتها فى اليوم نفلا
فاجبتها ذاك المذاكـ * ـل صار منكوسا مدلى

ونقلت منه له أيضا

قام فلما دنوت منها * نام ومامثل تلك خجله
وكل كفى لفرط جذبى * له ومالجبان حمله
وأصبعى لاتزال جنبا * له ولا همة لسفله
فزرجنت وانثنت وقالت * قوموا انظروا عاشقا بوصله
فقلت هذا الفرط حبى * قالت دع الترهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت * لو قام ما احتجت للادله

نقلت منه له أيضا

أصبحت أعجن اذ أقوم وشرما * وقعت عليه العين شيخ عاجن
واذا أردت أدق شيئا لم أجـ * ـد عندى يدا والبيت فيه الهاون

نقلت منه له أيضا

لابارك الله فى ايرى وبارك لى * فيه فدحى وذمى فيه سيان
له قيام معى فى واحد أبدا * وينثنى حين ما أدعوه للثانى

عن الصواب وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبى صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا من المراعاة أى احفظنا (والسبال) جمع سبلة وهى شعر الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المرأة تسمعنا عنك الاوصاف الجميلة فاذا نظرت واختبرت فأنت على هذه الاوصاف الذميمة (والعلاوة) الرأس مادام على العنق يقال ضربت علاوته ويقال فى الفراسة ان طول العنق والرأس من دلائل الحمق

(جافى الطبع سيئ الجابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة) (ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب)

(الجفا) النبو والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا (والطبع السجية وهو نقش النفس بصورة ما وذلك اما من جهة الخلقة أو من حيث العادة مأخوذ من طبع الدرهم أى تصويره بصورة ما

يصير طاقين فى كفى وحسرته * وحسرتى فى السراويلات طاقان
والشئ فى نظرى شيئان أنظره * كذلك ايرى تثنى فهو ايران

وقال شهاب الدين أبو جلنك

وعلق من بنى الاتراك ألمى * له عينان وكتابهتكى
ظفرت به على غير الليالى * فلم يدخل وا كثر فى التشكى
يقول عميرة ادفعنى عليه * ولا تجزع وهان عليه صكى
فلم أدفع عليه فظل يرى * يقبل باب مفساه ويبكى

وقال آخر

ورب علق قال لى مرة * يريد تو بيخى على ظلمه
ايرك هذا مات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

وعكس ذلك فى لغز فيه

وصاحب مازلت دهرى له * كل مليح أتمناه
يعجبنى الشئ فاختاره * لا يجهدى علم الله
ان مات لا يمكننى دفنه * وان يعيش يوما دفناه

وقال آخر

ولى ايرسوء كثير الخنا * يعامل باللؤم من يكرمه
اذا نمت قام وان قمت نام * فلا رحم الله من يرحمه

وقلت أنا مضمنا

لى ايرينام لؤما وشؤما * ان أنا نلت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت فى البيت فردا * طلب الطعن وحده والنزالا

وقلت مضمنا أيضا

عهدى بايرى وهو فيه تيقظ * كم قام منتصبا وما حركته
والآن كالطفل الصغير بمهده * يزداد نوما كلما نبهته

وأنشدنى من لفظه المولى شمس الدين محمد بن على بن أيبك السروجى قال أنشدنى من لفظه لنفسه المولى القاضى زين الدين عمر بن الوردى

وكنت اذا رأيت ولو بحوزا * يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدرتم * كأن النحس قد ولى الوزاره

وقال أيضا

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يسقطه الضعف

وقال ابن حجاج

أسفى عليه ممددا فوق الخصى * شبه العليل فديته من ناثم
طمع الغوانى فى انتظار قيامه * طمع الروافض فى انتظار القائم

وقوله فى المجون

(وسيئ الجابة) يعنى يسمع الشئ على غير حقيقته ويجيب كذلك امام من البله أو الطرش وهو مثل للعرب يقولون ساء سمعا أو أساء سمعا فأساء اجابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد تزوج صفية بنت أبى جهل فولدت له أنس بن سهيل فخرج ذات يوم وهو معه فوجده الاخنس بن شريف فقال من هذا فقال ابنى فقال الاخنس حياك الله يا فتى فقال لا والله ما أمى فى البيت فقال أبوه أساء سمعا فأساء اجابة ولسهيل هذا حكاية فى الكرم عجيبة وذلك انه كان أسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى ان حضر السير موك واستشهد فقيل انه لما صرع مر به رجل وهو بآخر رمق فقال اسقنى فأتاه بشربة من ماء فنظر الى الحرث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب به الى الشربة فلما تناولها رأى عكرمة فى حاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها الى الحرث فوجده ميتا فرجع بها الى سهيل فوجده ميتا ومات الثلاثة قبل أن يذوقوها (والهيئة) الحالة التى يكون عليها الشئ محسوسة كانت أو معقولة وهى فى المحسوسة أكثر (والسخف)

لما رأته قائما صفقت * كذلك الناس مع القائم

وهو فى غاية الحكمة

(وان علانى من دونى فلا عيب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل)

(الاسوة) علا يعلو علوا فى المكان وهو المراد هنا وعلى فى الشرف بالكسر علاء ويقال أيضا على يعلى قال الشاعر * لما علا كعبك لى عليت * فجمع بين اللغتين وعلوت الرجل غلبته ودون نقيض فوق والدون الحقير الخسيس قال الشاعر

اذا ما علا المرء رام العلى * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا يشتق منه فعل وبعضهم يقول منه دان يدون دونا والعجب ما يتعجب الانسان منه وهو استغراب النفس الشئ الذى لم تألف وقوعه ولا علمت سببه والتعجيب والعجاب بالضم والتخفيف والعجاب بالتشديد أكثر منه وقولهم عجيب عاجب كقولهم ليل لائل توكيد اسوة بالضم واسوة بالكسر لغتان وهو ما يتأسى به الحزين ومنه قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة انحطاط مصدر انحط السعر وغيره اذا نقص ونزل عن الغاية التى كان فيها أول وقوله تعالى وقولوا احطة معناه حط عنا أوزارنا الشمس هى الكوكب النهارى وقد نطقت لها العرب باسماء متهاذكاء غير منصرف ولا يدخله أداة التعريف والجارية والجونة والغزالة وما أحسن قول القائل

غدوت مفكرا فى سر أفق * أرانا العلم من بعد الجهالة

فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفرته بالغزالة

وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قراءة منى عليه فى وصف العقاب حيث قال

ترى الوحش والطير فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزالة

فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا ما لمعت ما تسمت غزالة

وقد غلطوا الحريرى فى قوله فلما ذر قرن الغزالة طمر طمورا الغزالة وقالوا لم تقل العرب الغزالة الا للشمس فاذا أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية (وجع) والاهة وهى مثل ذكاء لا يدخلها الالف واللام فى فصيح الكلام وربما أدخلوها قال الشاعر

* وأعجلنا الالاهة ان تؤوبا * كأنهم لما عظموها وعبدت سموها الاهة والله أعلم

والضحى والضح ويوح بالياء آخر الحروف وبعضهم يقول بوح بالباء الموحدة وليس بشئ وانما البوح من أسماء الذكر وسماها الله تعالى فى القرآن سراجا وزحل نجم من النجوم الخنس فى السماء السابعة ونوره يفقب ما دونه من الافلاك ويظهر لنا فى السماء الدنيا وبه فسر قوله تعالى النجم الثاقب لانه فى السماء الدنيا وهو قول الفراء قلت لو قال قائل لاى شئ ذهب صاحب هذا الرأى الى انه زحل ولو قال بأنه الشعرى العبور أو الغميصاء أو احد النسرين أو أحد السماكين مما له شهرة وهو فى فلك البروج وهذا الفلك أعلى من الفلك السابع لكان أبلغ فى نفوذ الضوء الى سماء الدنيا فالجواب انه لما قال النجم الثاقب وأفرده وتلك شعرتان وسماكان ونسران فكونه مفردا حسن القول به وقد ذهب جماعة الى أنه الثريا وهو عندى أرجح من ذلك لان العرب اذا أطلقت النجم فانما يريدون به الثريا دون غيرها

رقة العقل وقد تخفف سخافة فهو سخيف (والوسواس) الخطرات الرديئة من حديث النفس مأخوذ من وسواس الحلى وهو صوته الخفى ودخل الحسن بن سهل على المأمون وابراهيم ابن المهدى عنده فاقترح الحسن على ابراهيم أن يغنيه فغنى

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت

يعرض بوسواس كان فى الحسن

(والمثالب) النقائص مأخوذ من ثلب الرجل اذا ثلم

(كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة)

(التمتمة والغمغمة) من معايب النطق المعدودة قال الجاحظ التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ادارة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه بشئ اتصل وقيل العجمة فيه واللثغة أن يعدل من حرف الى حرف واللغنة أن يشرب الحرف صوت الخنشوم والخنة أشد منها واللكنة أن يعترض الكلام حرف أعجمى والطمطمة أن يكون الكلام شبيها

الكواكب قال ابن دريد في وصف الفرس

كأنما الجوزاء في ارساغه * والنجم في غرته اذا بدا

لان الثريا تشبه الغرة السائلة وقال بعض المفسرين انه أراد جماعة النجوم لانها كلها طارقة بالليل كما قال تعالى ان الانسان لفي خسر والمراد جميع الاناسي (رجع) واشتقاق زحل من التزحل وهو التنحي والتباعد لما كان فوق الكواكب الستة المتحيرة وقيل من زحل فلان اذا أبطأ فكأنه لما كان فلكه بطيء السير على ما يظهر فيما بعد سمي زحل وقيل الزحل والزحيل الحقد وذلك في طبعه على ما يزعمه المنجمون من نسبته الى أنه نحس أكبر كما قالوا في تسمية المشتري انه سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه وقيل في المريخ لما كان في لونه حمرة اشتقوا له ذلك من المرخ وهو الشجر الذي تحك غصونه فتورى النار وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمي به لا يستوي في ذهابه والمريخ فيه التواء في سيره لان له فلك تدوير وقيل في الشمس لما كانت واسطة الافلاك والواسطة في المخنقة تسمى شمسة وفي هذا نظر وقيل في الزهرة انها مشتقة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شيء وقيل في عطارد انه النافذ في الامور وقيل انه لا يستمر على حال فكأنه أعطى ورد وقيل في القمر انه مأخوذ من القمرة وهي البياض ومن أسماء زحل كيون كما أن من أسماء المشتري البرجيس وتير ومن أسماء المريخ بهرام وما أحسن قول ابن النبيه

بدر وكاس الراح شمس الضحى * يا قوم ما أسعد هذا القران

توقدت جمرة لألائها * كأنها بهرام أو بهرمان

ومن أسماء الشمس مهر ومن أسماء الزهرة أناهيد وبيداخت ومن أسماء عطارد هرمس ومن أسماء القمر الزبرقان والزمهرير وبه فسر قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والفاسق والوباص والمتسق والباهر والسنمار والطوس والحكم وأهل المغرب يسمون زحل المقاتل والمريخ الاحمر وعطارد الكاتب وقد جمع بعض الشعراء أسماء الكواكب الاعجمية فقال

لا زالت ترقى وتبقى في العلى أبدا * ما دام للسبعة الافلاك أحكام

مهر رماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأناهيد وبهرام

وسيأتي الكلام على منع زحل من الصرف في الاعراب (الاعراب وان) حرف شرط وتقدم الكلام عليه في قوله فان جنحت اليها البيت (علاني) علا فعل ماض تقول علا يعلو علوا والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهذا الفعل هو الشرط (من) اسم ناقص بمعنى الذي وهو مبني لاحتياجه الى صلة وعائد فأشبه الحرف من حيث الاستعمال وهو لمن يعقل تحقيقا أو تشبيها كقوله * اعلى الى من قد هويت أطير * أو تغليبا كقوله تعالى ومنهم من يمشي على بطنه و(دوني) اسم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هو دوني وحذف صدر الصلة اذا لم تطل ضعيف ومنه قراءة بعضهم تماما على الذي أحسن برفع النون أي هو أحسن وقول الشاعر

من يعن بالحمد لم ينطق بما سفه * ولم يحل عن سبيل المجد والكرم

وانما جوز واحذف صدر الصلة اذا طالت كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقولهم ما أنا بالذي قائل لك سوأ لان الصلة هنا طالت فجاز حذف صدرها وأما الصلة في

بالمجمى (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف قال أبو عبيدة كان رجل من المشركين يحد حربته عند فتح مكة فقالت له امرأته ما تصنع قال أحد الحربة لقتل محمد وأصحابه فلما هزمت المشركون قال منشدا هذه الابيات

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه

واستقلتنا بالسيوف المسلمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه

وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتنافروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من أولئك قال قومي قال ومن أنت قال أنا رجل من جرم قوله كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا قال بعضهم هل لك أن تنفعيني وأنفعش وتدخلين الاذمعي في الاذمعش يعني وأنفعك والاذمعك وكسكسة بكر انهم

قوله ودوني اسم مرفوع الخ الظاهر ان دوني ظرف متعلق بمحذوف هو صلة من اه

قوله من دوني فانهما لم تطل والمبتدا المقدر حذفه والخبر هنا صلة من لانها ناقصة تحتاج الى صلة وعائد وقد تقدم الكلام على الموصول في قوله وضج من لغب نضوي البيت (فلا) الفاء جواب الشرط الذي تقدم ذكره ولا النافية للجنس تقدم الكلام عليها في قوله فلا صديق اليه البيت (عجب) اسم لا وقد تقدم الكلام على مثل هذا عند ذكر لا (لي) جار ومجرور في موضع رفع لانه خبر مقدم (اسوة) مبتدا مؤخر(٢) وانما تأخر لانه نكرة وقد تقدم الكلام على الاسباب الموجبة لتأخر المبتدا (بانحطاط) الباء للتعدية وانحطاط مجرور بالباء (الشمس) الالف واللام لتعريف الحقيقة وقد تقدم الكلام على ذلك في قوله ويحرون كرام الخيل والاضافة هنا معنوية بمعنى اللام فالشمس مجرورة بالاضافة (عن) تقدم الكلام عليها في أول القصيدة وهي هنا للمجاوزة و (زحل) اسم ممنوع من الصرف لان فيه العلمية والعدل التقديري أما العلمية فلانه علم على الكوكب السابع وأما العدل فلانه معدول عن زاحل مثل عمر معدول عن عامر وقثم معدول عن قاثم هذا ان قلنا انه عربي مشتق من التزحل وهو التنحي والبعد وان قلنا انه أعجمي فيكون فيه العلمية والعجمة فهو على كل حال ممنوع من الصرف وذكرت بالعدل والمعرفة هنا ما حكاه أبو الفتح بن جني في بعض مجاميعه ان الشريف الرضي أحضر الى السيرافي النحوي وهو طفل لم يبلغ عشر سنين فلقنه النحو وذاكره يوما في الحلقة على عادة التعليم فقال له اذا قلت رأيت عمر فما علامة النصب في عمر فقال الرضي بغض على فعجب الشيخ والحاضرون من حدة خاطره قلت ومن هنا أخذ الخطيري الوراق قوله يهجو

يا فتح يا أشهر كل الورى * باللؤم والخسة والكذب
كم تدعي شيعة آل الغنى * اسمك ينبيني عن النصب

وهذا فيه تسامح لكنه يغتفر لحلاوة النظم اذ التحقيق ان الفتح من ألقاب البناء والنصب من ألقاب الاعراب وحركة الاعراب غير حركة البناء لان حركة البناء لا تتغير ولا تتأثر بالعوامل وحركة الاعراب معرضة للتغيير والتأثر بالعوامل وقد مر مما يتعلق بباب ما لا ينصرف من الملح عند قوله وقد جاء رماة من بني ثعل ما فيه مقنع فليؤخذ من هناك (المعنى) أخذ يسلي نفسه ويتأسى بما ضربه من المثل في انحطاط الشمس عن زحل فقال وان علا في هؤلاء الذين ذمت دولتهم وأيامهم وهم دوني في كل شيء فان لي اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل وهو مثل حسن وفيه من البديع ارسال المثل والايضاح وقد تقدم الكلام على ذلك وهذا البيت قد أخذ بمجامع الحسن وفاق على المقاول اللسن لانه واسطة هذا العقد الفريد وليس بيتا كما يقال وانما هو قصر مشيد سكنه الحسن البديع وما ظعن عنه ولا ارتحل وفاق آفاق البلاغة لان تلك ان كان فيها نجوم فهذا مما فيه الشمس وزحل ودار به على قطب الفصاحة فلكه الدائر وسار في الاقطار مثله السائر وأضاءت به الشموس في أيام الطروس واسفرت به البدور في ليالي السطور وسعى قائله فأدرك المجد المؤثل وتمثل به من ظلمه الدهر وما أكثر من يتمثل والقصيدة ذات بدائع لمن يعدها وفرائد لمن ينضدها ومحاسن تتبرج للمتأمل خردها وزواهر يشرق في سماء البلاغة توقدها وهذا البيت

شمس ضحاها هلال ليلتها * درتقاصيرها از برجدها

ولما تمثله بالشمس وزحل فهو مثل مطابق لمن يكون بحالته التي ذكرها وشرحها من ارتفاع

(١) قوله الفاء جواب الشرط الصواب ان جواب الشرط هو ما بعد الفاء وقوله لا النفي الجنس الظاهر انها لفاة أو عاملة عمل ليس ولم تتكرر للضرورة كقوله حياتك لا نفع وموتك فاجع اه

(٢) قوله وانما تأخر لانه نكرة الظاهر ان المسوغ هنا عمل اسوة فيما بعدها فهو كقوله ورغبة في الخير خير اه

يثقلون حركة كاف المؤنث ويزيدون عليها سينا يقولون تنفعكس واعطيتكس (والغمغمة) لقصاعة وقد ذكرت (والفهفهة) عي في المنطق (والقهقهة) صفة الضحك الشديد كأن الضاحك يقول قه قه وهي خصلة مذمومة في الانسان دالة على قلة العقل

(ومشيك هرولة وغنائك مسئلة
ودينك زندقة وعلمك مخرقة)

(الهرولة) ضرب من العدو وهو بين المشي والعدو وعدها هنا من المعايب لاقترانها بذكر المسئلة يعني انه سائل نهم سريع المشي للطلب والكدية * والزندقة في الاصل الثنوية وذلك أن زردشت المجوسي لما ظهر

السفل وانحطاط الكرام لان الشمس فى الفلك الرابع وزحل فى السابع وانما حكموا بأن زحل فى السابع والشمس فى الرابع لان ذلك أمر يشاهده الحس ويحكم به العقل وهو أنهم وجدوا زحل يدور فلكه فى كل ثلاثين سنة دورة كاملة بالتقريب والمشترى يدور فلكه فى كل اثنتى عشرة سنة بالتقريب دورة واحدة والمريخ يدور فلكه فى كل سنتين الا شهرا واحدا بالتقريب دورة واحدة والشمس يدور فلكها فى كل سنة واحدة مرة واحدة والزهرة مثل الشمس ولكن مرة تسرع السير فتكون أمامها ومرة ترجع فتكون وراءها وذكر بعضهم ان الناس كانوا فى شك من فلك الزهرة هل هو فوق فلك الشمس أو تحته حتى أتى الرئيس أبو على بن سينا ورصدها حتى كسفت الشمس وغدت كالخال على الوجنة فعلم ان الزهرة تحت الشمس وعطارد زعموا ان سيره ودوره انه مثل الزهرة وبعضهم يقول انه يقطع فلكه فى كل مائة وستة وعشرين يوما مرة واحدة فى فلك تدويره وعطارد والزهرة والشمس تتساوى مدد دورانها فى فلك البروج والقمر يقطع فلكه فى السنة اثنى عشرة مرة فعلم ان الاقل حركة فلكه أوسع وهو هو ولما حركته أسرع وهذا رأى الطبيعيين الذين يعتمدون على برهان لم واما الرياضيون الذين يعتمدون على برهان ان وهو الاوفق والاليق بصناعتهم فبرهنوا على ذلك بكسوف الكواكب بعضها بعضا لان الادنى يكسف الاعلى ضرورة لانهم لما وجدوا القمر يكسف جميع الكواكب ولا يكسفه الا ظل الارض حكموا بان فلكه اقرب الافلاك الينا ولما وجدوا عطارد يكسف الزهرة حكموا بان فلكه دونها والزهرة تكسف المريخ ففلكها دونه وكذلك المريخ يكسف المشترى ففلكه دونه والمشترى يكسف زحل وزحل يكسف ما يسامته من الثوابت فحصل بهذا الاعتبار حكم جازم بهذا الترتيب وبقى الشك فى الشمس بالنسبة الى الكواكب الخمسة والثوابت دون القمر لانه تبين انه تحتها واما الخمسة الاخرفان ما قرب منها يختفى من نورها فلا يظهر بينهما كسوف ووضع بطلميوس فلكها رابعا تحت المريخ وفوق الزهرة تقليدا للقدماء ولما رأى من لوازم يشترك فيها زحل والمشترى والمريخ فقط جعلها فوق وسماها علوية ولوازم تشترك فيها الزهرة وعطارد جعلها تحتها وسماها سفلية واما المتاخرون فانهم لم يقفوا فى امر الشمس عند هذا الاقناع بل اعتبروا لوازم القرب والبعد من اختلاف المنظر فظهر لهم انها فوق القمر خاصة كما بينه جابر بن افلح فى كتابه فى الهيئة وغيره من المتأخرين ورام النصير الطوسى الانتصار لبطلميوس فذكر اشياء من جهة لوازم الاجرام والابعاد تعضد رأى بطلميوس لكنها عند التحقيق لا تثبت على محك النظر والله أعلم والرصد والتسيير يشهدان بهذا كله فهو أمر مبرهن يشهد به الحس ويحكم به العقل وهذه صورة الافلاك والعناصر

بلادا المشرق ودعا الى عبادة النيران لما رأى فى تلك الاماكن من البرد والثلج ورغبة أهلها فى النار اتبعوه وكان صاحب حيل وسحر ويقال انه كان صحب شعيبا عليه السلام وكان يخبره بوقائع تقع ثم كفر ووضع كتابا زعم أنه أنزل عليه مكتوبا بماء الذهب فصعبت عليهم قراءته فوضع له شرحا سماه الزند ثم لما ظهر مزدك زاد فى شرحه فى اسم الكتاب فقال زندين فلما جاءت العرب قالت زنديق ويسمى من مال الى هذا المذهب أو ما قاربه من الخروج عن الشريعة زنديقا وأكثرهم فى الاسلام نوع من الجهمية أصل اعتقادهم انه ليس ينبغى لاحد أن يثبت لنفسه ربا لانه لا يمكنه الاثبات الا بالعين أو الادراك بالحواس وقالوا ما لا يدرك ليس بالله لانه مجهول وما لا يدرك فلا ينبغى أن يثبت وسلكوا على هذه الطريقة واباحوا القبائح المحرمات وترك العبادات لانكارهم البعث وجحودهم الشريعة وسبيلهم مذهب مزدك فى اباحة النساء وان الناس كلهم سواء فيهن ولذلك قيل للمهملك فى لذاته واللعب والبطالة يا زنديق أو قيل له أظرف من زنديق

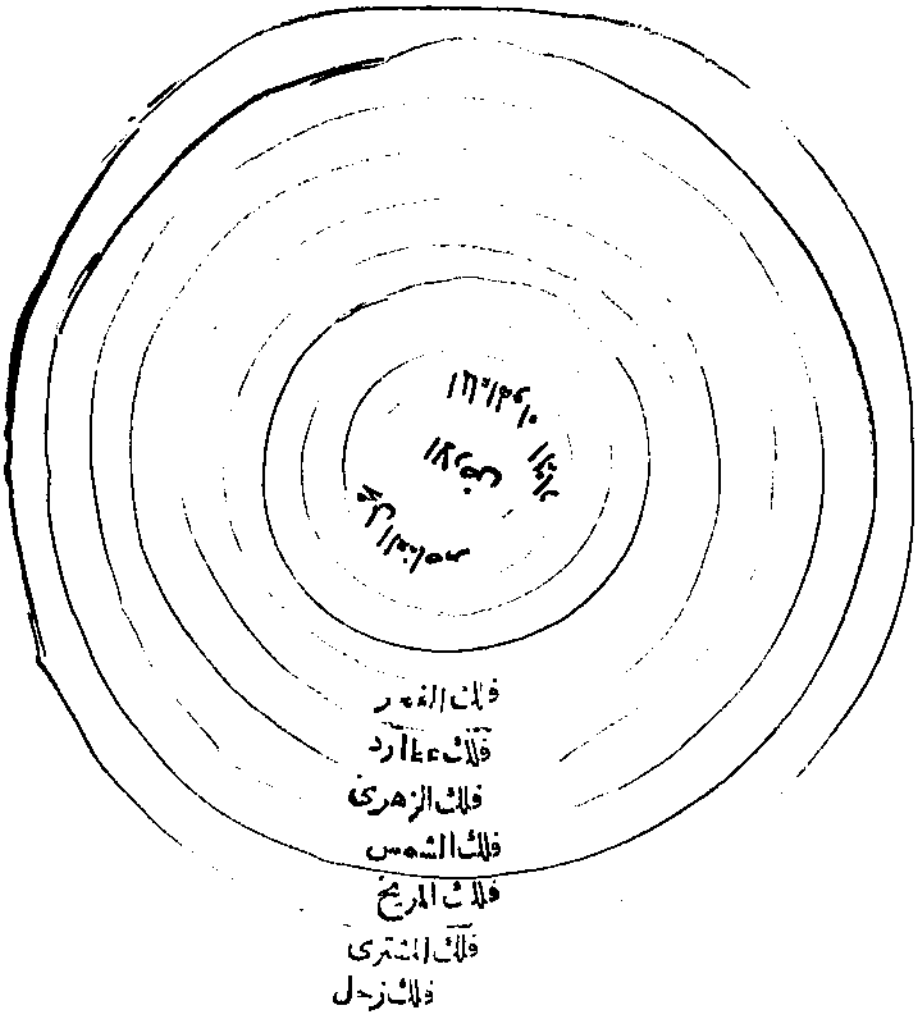

وفلك البروج محيط بفلك زحل والفلك الاطلس محيط بفلك البروج والاطلس يدور بما فيه في اليوم والليلة من المشرق الى المغرب مرة واحدة دورة كاملة فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الارجاني مشيرا الى علو زحل وانحطاط الشمس عنه

ودع التناهي في طلابك للعلى * واقنع فلم ار مثل عز القانع
فبسابع الافلاك لم يحلل سوى * زحل ومجرى الشمس وسط الرابع

وهذا المعنى أخذه من الطغرائي لان الارجاني توفي سنة اربع واربعين وخمسمائة والطغرائي سنة خمس عشرة وخمسمائة ولكن بيت الطغرائي أبدع وأعذب وأطرب وأهز للاعطاف واخلب للقلوب وان كان بيت الارجاني فيه زيادة ان الشمس في الرابع وزحل في السابع ففيه زيادة بيان

في الصورة الواقعة وبعد التفاوت بينهما في المحل وبيت الطغرائي انما يفهم منه علو زحل لا غير فقد يظن أنه في الخامس وقال بن الساعاتي يشير الى أن الشمس في الرابع ويريد به الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أتظن ياخير الانام نقيصة * والنقص للاطراف لا الاشراف
أوماترى ان الكواكب سبعة * والشمس رابعة بغير خلاف

والشمس هي الكوكب النير الذي يمد سائر الكواكب بالنور على بعض الآراء والى ذلك أشار التهامي في قوله يمدح الشريف الزيدي لما حبس بالقاهرة في خزانة البنود

بث الفضائل خلفه وامامه * ففناؤه مهجته كمثل خلودها
كالشمس تودع في الكواكب نورها * فتنوب للسارين عن مقصودها

وبالاجماع من أرباب الهيئة ان القمر يستمد النور من الشمس وزيادة النور فيه ونقصانه بحسب البعد والقرب منها لان جرم القمر كثيف حديدي مستخصف قابل لانطباع النور فيه كالمرآة ولهذا قال الخطيري

أعطيتني نصف الذي أملته * من كاغد ووعدتني بسواه
ورجعت تأخذه اليك تقاضيا * مني وذلك لو عدلت أراه
كالشمس تعطي البدر نور تمامه * وتعود تأخذ منه ما يعطاه

وقال بن نباتة السعدي

ان جمعناهما اضر بنا الجمع وضاعت فيه ضياع المحال
فهو كالشمس بعدها يملأ اليد * روفي قربها محاق الهلال

قال بن الساعاتي

تعجبت من نحولي وهي واصلة * توهما أنني بالوصل انتفع
ومادرت ان خديها ومصطبري * كجذوة النار منها قرب الشمع
والبدر يكمل حيث الشمس نائية * عنه ويمحق اذ بالشمس يجتمع

وقال بن قلاقس يشير الى أن نور البدر عرضي

ما أنت والقمر المنير وان غدا * ملء العيون وراقهن سواه
للبدر بالعرض الضياء وأنت قد * جمعت بجوهر ذاتك الاضواء

والشمس تمد القمر بالنور وهو يكسفها ولهذا قال الشعراء في هذا المعنى فمنهم أبو الفتح البستي

لئن كسفونا بالاغلة * وفازت قداحهم بالظفر
فقد يكسف المرء من دونه * كما يكسف الشمس ضوء القمر

وقال بن رشيق يعرض بكاتب رد أمر محمد بن هرون

أرى بعض من أنت حسرته * من الناس يعرولك تعييره
تنافس أفعالك أفعاله * وينقص جاهك تأثيره
كما كسف الشمس بدر الدجى * وان كان من نورها نوره

وقال أبو اسحق الغزي

كفاك الله أصغر من تناوى * فان الشمس تكسف بالهلال

وسئل بعضهم عن الاضحى فقال وباء يقع في البقرة والاغنام وقتل منهم المهدي خلقا كثيرا وذلك أنه رأى في المنام كأن الكعبة قد مالت فدعمها هو وشخص حتى قامت فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذي رآه في المنام فأتي بزنديق يقال له جعدون على الصفة فاستتابه فتاب فأمره بتتبع الزنادقة فانه كان يعرف عامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسة فيهم حتى أنه مر بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول في أذانه أشهد أن محمدا رسول الله بفتح اللام فوقع في ظنه أنه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض عليه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ويبرز لاكثرهم خرقة مصورا فيها صورة مانى وهي صورة سمجة غليظة المشافر فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ويختار القتل دون ذلك فيقتل وكان أكثرهم ثنوية (والخرقة) نوع من التوصل الى حيل باطنها والخرق الذي هو ضد الرفق والتدبر ومنه يقال اخراق وهو شئ يلعب به كأنه يخرج لاظهار الشئ بخلافه

وقال أيضا

لست أنسى قول سلمى ذات يوم * ما لهذا المحسنى الظهر ومالى
أنا شمس فى الضحى وهو هلال * وكسوف الشمس من قرن الهلال

وقال بن التلميذ

أشكو الى الله صاحبا شكسا * تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا * تكسبه النور وهو يكسفها

والسبب فى ذلك توسط القمر بينها وبين أبصارنا لان جرم القمر كما تقدم كدر مظلم فيحجب ماوراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك الشمس فاذا اجتمع معها فى درجة واحدة وكان على مسامتة احدى نقطتى الرأس أو الذنب أو قريبا منهما فانه يجوز تحت الشمس فيحول بينها وبين أبصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث اكثر من ساعتين مستويتين لان حركة القمر متصلة سريعة لضيق فلكه فاذا كان الكاسف ليس عارضا فى نفس الشمس بل هو سبب التوسط بينها وبين الابصار فيجوز أن يختلف وضع المتوسط وهذا هو سبب اختلافه فى الزمان والقدر فى بعض البلاد وانجلائها من طرفها الغربى اذا القمر متصل بها من ناحية المغرب وهذا الشكل يوضح لك ماذكرته فتأمله وتدبر وضعه يظهر لك صورة كسوف الشمس

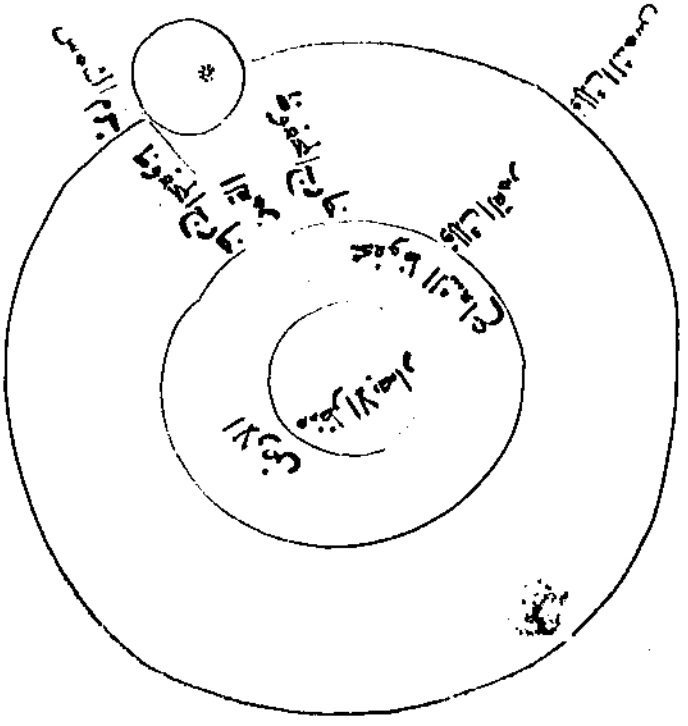

(مساولو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا بالطلاق)

هذا البيت لابى تمام الطائى من أبيات يهجو بها الاعمش وهى هذه

دع ابن الاعمش المسكين يبكى
لداء ظل منه فى وثاق
لبئس الداء والداء استكفا
عليه من السماجة والحماق
كحات بقبح صورته فأضحى
لها انسان عينى فى السياق
مساولو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا بالطلاق

يعنى ان صفاته لو تقسمت على الغوانى وهن النساء اللواتى غنين بأزواجهن لم يعطهن الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوى والقبائح

(حتى ان باقلا موصوف
بالبلاغة اذا قرن بك)

يعنى باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال ادعى من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص وهو معه فقال بكم اشتريته ففتح كفه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر فهرب الظبى من كفه وضربوا به المثل فى العى قال حميد الارقط يهجو ضيفا له

أتانا وما اتاه سحبان وائل

وسبب خسوف القمر توسط الارض بينه وبين نور الشمس فاذا كان القمر على مسامتة احد نقطتي الرأس والذنب أو قريبا منهما توسطت الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع فى ظل الارض ويبقى على ظلامه الاصلى فيرى منخسفا وظل الارض أبدا يكون فى الجهة التى تقابل جرم الشمس وخسوفه لايختلف باختلاف البلاد لان الكاسف عارض فى جرمه وهو وقوعه فى ظل الارض ولكن تختلف أوقات الخسوف باختلافها بان يكون فى بعض البلاد على مضى ساعة وفى بعضها على مضى نصف ساعة أو اقل أو اكثر وقد يطلع فى بعضها منخسفا ولا يرى فى بعضها لكونه تحت الارض اذ طلوعه فى البلاد الشرقية قبل طلوعه فى البلاد الغربية ويبدو خسوف القمر من طرفه الشرقى اذ هو الذاهب الى الاستقبال ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب وانجلاؤه يكون أيضا من الطرف الشرقى وأطول ما يكون زمانه بالتقريب أربع ساعات ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته فتامله

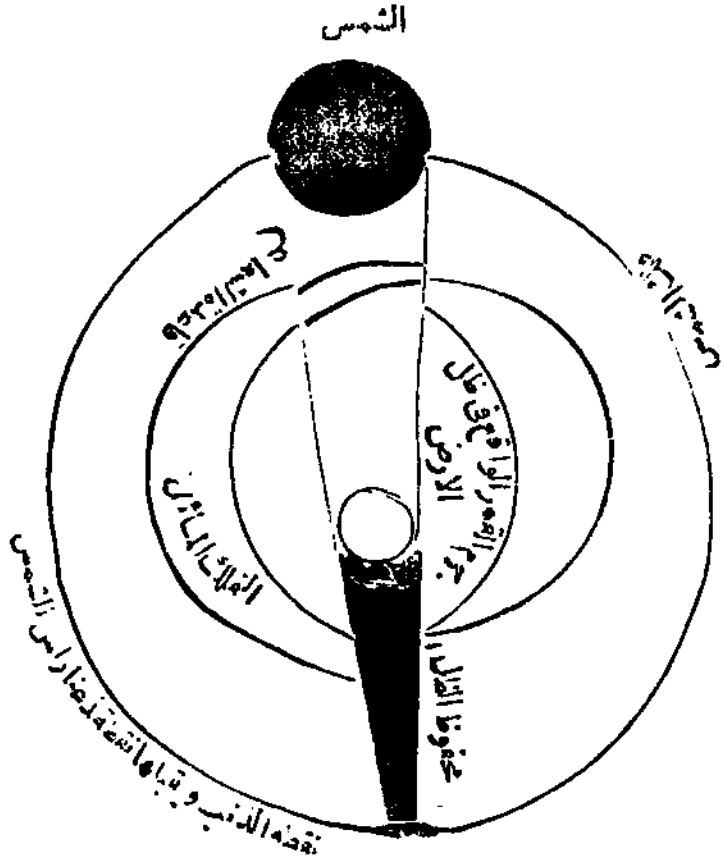

فقد ظهر لك بهذا الشكل خسوف القمر وبالذى قبله خسوف الشمس وبعضهم يخص لفظة الكسوف بالشمس والخسوف بالقمر وقال الامام فخر الدين طعنت الملاحدة فى قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر قالوا خسوف القمر لايحصل حال اجتماع

الشمس

بيانا وعلما بالذى هو قائل فازال عنه اللقم حتى كأنه من الحى لما ان تكلم باقل سحبان رجل من بنى وائل يضرب به المثل فى البلاغة واللقم بالفتح ثم السكون سد الفم باللقم وقال أبو العلاء المعرى فى لامية

اذا وصف الطائى بالبخل مادر وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السها للشمس أنت خفية وقال الدجى للصبح لونك حائل

وحاولت الارض السماء سفاهة

وفاخرت الشهب الحصا والجنادل

فيا موت زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدى ان دهرك هازل

الطائى هو حاتم المشهور بالكرم ومادر اسم رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل فى البخل لانه سقى ابله من حوض فبقى فى أسفله قليل ماء فسلح فيه ومدره أى لطخه فى جوانب الحوض بخلا أن يسقى غيره فصار مثلا يضرب قال الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر بنى عامر طرا بسلحة مادر

وقس بن ساعدة الايادى أسقف نجران وكان أحد حكماء العرب وخطبائهم يضرب به المثل فى الفصاحة والفهاهة التى يقال رجل فه

الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر مخسفا سواء كانت الارض متوسطة بينه وبين الشمس أولم تكن والدليل عليه ان الاجسام متماثلة فيصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر والله تعالى قادر على الممكنات فوجب ان يقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال اه قلت وقال بعضهم هو كناية عن ذهاب الروح الى عالم الآخرة كأن الآخرة كالشمس فانها تظهر فيها المغيبات وتبدو المبهمات وتتضح والروح كالقمر فكما ان القمر يقبل النور من الشمس كذلك الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة وبهذا التأويل يسقط طعن من ألحد في هذه الآية الكريمة والله أعلم وقال الفراء انما قال وجمع الشمس ولم يقل وجمعت لان المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضوء وقال الكسائي المعنى جمع النوران وقال القمر شارك الشمس في الجمع وهو مذكر فلا جرم غلب جانب التذكير في اللفظ (رجع القول الى فضيلة الشمس) والشمس هي التي يكون بواسطتها تكون المعادن ونمو الحيوان والنبات باذن الله تعالى الذي خلق كل شيء ويسره فقد جعلها الله علة التركيبات الطبيعية واعتد الها سبب النشئ الحيواني والنباتي اذ لا بقاء لهذا النشئ الا في هذه المواضع التي لا تبعد عن مدار الشمس ولا تقرب منه جدا لانها ان بعدت عن ناحية الشمال اشتد البرد وعصفت الرياح وتكاثفت الظلم فلا يمكن ان ينشأ حيوان ولا نبات وان قربت الى ناحية الجنوب اشتد الحر وسخن الهواء وجفت الرطوبات فلا يمكن أن ينشأ حيوان ولا نبات فهي اذا اعتدلت في البعد والقرب أو قاربت أمكن نشئ النبات والحيوان واعتدلت الامزجة والطبائع والاخلاق وقال ارسطو لو توارت الشمس عن الارض لمات حيها وأنتن طينها وجمد ماؤها لانها في الارض كالدم في الجسد واعلم ان الشمس وسائر الافلاك والكواكب لا يقال في شئ منها انه حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس لانتفاء لوازم هذه الكيفيات بل هي طبائع خارجة عن هذه الطبائع الاربع وكل واحد منها نوع منحصر في شخصه وربما قيل فيها طبيعة خامسة تجوزا والا فهي متغايرة الطبائع في جواهرها وانما تأثير الشمس في عالم الكون والفساد التسخين العام بالاضاءة والاشراق واشتداده انما هو بانعكاس الشعاع على زوايا حادة جدا ونا كمة على أعقابها فتتراكم الاشعة فيحصل منها افراط التسخين كما يحصل الاحراق عن المرآة المحرقة بواسطة انعكاس الشعاع والله أعلم بالصواب وذكر أرباب الهيئة ان مساحة جرمها على ما تبرهن في المجسطى كما ذهب اليه أبو الريحان قدر الارض مائة وسبعة وستين مرة وثلث مرة وعلى ما صححه كوشيار مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة وزعموا أن مساحة كرة الشمس مما يلي كرة الزهرة اثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وتسعة وستون ألفا ومائة وأربعة وثمانون ميلا ومساحة كرة الشمس مما يلي كرة المريخ اربعة وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وتسعون ألفا ومائتان وتسعة عشر ميلا وأما دور قرص الشمس فزعموا انه مائة ألف وثمانمائة وثمانون ميلا وقول كوشيار هو الصحيح وعليه العمل لان بطليموس بين اولا ان جرم الشمس أعظم من كرة الارض ثم حرر هذه النسبة وبين ان قطر الارض كجزءين من أحد عشر جزأ من قطر الشمس وبين اقليدس ان نسبة الكرة الى الكرة كنسبة القطر الى القطر مثلثة بالتكرير فاذا جعلنا قطر الارض الذي هو أصغر المقدارين واحدا وضربناه في نفسه كان الحاصل عنه واحدا ثم ضربناه مرة أخرى في نفسه لم يحصل غير

وامرأة فهة قال بعضهم
ولم تلقني فهاء ولم تلف حجتي
ملجلجة أبغي لها من يقيمها
والسها كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم وفي المثل أريها السها وتريني القمر وقد ضمن هذا المثل الشيخ شمس الدين النواجي صاحب حلبة الكميت حيث قال
مرضت فعادت وأبدت سنى
محاسن روق لعيني النظر
وبت ولي جسد ناحل
أريها السها وتريني القمر
وضمنت أنا عجز بيت المعرى فقلت
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره
وعيرقسا بالفهاهة باقل
(والبلاغة) بلوغ الدرجة العالية في النطق والمعنى في قوله أن باقلا بالنسبة اليك يكون بليغا
(وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا أضيف اليك)
يعني يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة الملقب هبنقة والمكنى بابي الودعات لانه نظم ودعا لنفسه في سلك وجعله في عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع قيل ان أخاه راقبه الى أن نام فاخذ العقد من عنقه وجعله في عنق نفسه فلما انتبه هبنقة ورأى أخاه

واحد وهذا هو الحاصل من تكعيب قطر الارض وهو جرمها ثم نضرب قطر الشمس الذى هو خمسة أمثال هذا ونصف مثل فى نفسه فيبلغ ذلك ثلاثين جزأ وربع جزء فاذا ضربناه فى الاصل وهو خمسة ونصف بلغ مائة وستة وستين جزأ وربعا وثمنا وهو تكعيب قطر الشمس أعنى جرمها وقد بين الخواجة نصير الدين الطوسى فى كتابه التذكرة فى الهيئة فى الباب الرابع منه معرفة الاجرام والابعاد أن بعد الشمس عن مركز الارض فى بعدها الاوسط الف ومائتان وعشرة أمثال نصف قطر الارض ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف وستمائة وتسعة عشر ميلا فيكون البعد عن الشمس الى الارض بالاميال أربعة آلاف مرة واحدة ومائتين وثلاثة وعشرين ألف ميل او تسعمائة وتسعين ميلا ويكون بعد زحل الاوسط عن مركز الارض سبعة وسبعين ألف ألف مرتين ومائة ألف وستة واربعين ألفا وستمائة وسبعة وتسعين ميلا والبعد الابعد لزحل عن مركز الارض تسعة عشر ألفا وتسعمائة وثلاثة وستين مثلا بالثاء المثلثة لنصف قطر الارض وجرم زحل مثل جرم الارض سبعة وسبعين مرة وزعم المنجمون ان الذهب معدن الشمس وان الاصفر من الالوان يخص الشمس وانها فى الفلك بمنزلة السلطان وقال بعضهم الحكمة فى كون الشمس فى الرابع لانها اذا كانت فيه كانت فى اوسط الافلاك فاضاءتها ما فوقها وما تحتها وبعثت النور فى مجموع العالم وتكون بمنزلة الواسطة فى العقد وقال صاحب رسائل اخوان الصفا الشمس بين الكواكب كالملك وسائرها كالاعوان والجنود والقمر كالوزير وولى العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشترى كالقاضى وزحل صاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجوارى اه وعلى الجملة فمحاسن الشمس كثيرة وفضائلها عديدة وقد اقتضى الوضع الالهى ان تكون رابعة لما تقدم من انها كالواسطة بخلاف ما اذا كانت فى الاعلى او فى الاسفل وهذا دليل على الحكمة الربانية وما احسن قول التهامى

محاسن الاشياء فى تركيبها * طوق الحمامة حلية فى جيدها

وقد وصف الشعراء الشمس واطنبوا فيها فمن ذلك قول الوزير ابى محمد المهلبى

الشمس من مشرقها قد بدت * منيرة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت * يجول فيها اذهب ذائب

وظرف ظافر الحداد الاسكندرى فى قوله

انظر لقرن الشمس بازغة * فى الشرق تبدو ثم ترتفع
كسبكة الزجاج ذائبة * حمراء تنفخها فتتسع

واخذه الآخر فقال واحسن

يا حسنها وقد دنا طلوعها * فاضحكت بشرا بها سماءها
كأنها عين بها جاريه * وقد أفاضت فى السماء ماءها

وقال ابن المعتز فى الشمس والغيم وهو بديع

تظل الشمس ترمقنا بلحظ * مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر

وقال المهلبى

قال له أنت أنا فانا ترى من هو أنا ولهذا يضرب به المثل فى الحمق وهو جاهلى ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعى للسمان ونحى المهازيل وقال لا أصلح ما أفسد الله * ومنها انه اختصم اليه بنو راسب وبنو طفاوة فى شخص يدعونه فقال هبنقة أرموه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة * ومنها انه رأى مع الناس جرادا قد أقبل فقال لا يهولنكم ماترون فان اكثرها موتى * واشترى أخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فأعجبه عدوها فالتفت الى أخيه وقال زدهم عنزا أخرى فضرب به المثل للعطى بعض امضاء البيع ثم سار بها فرأى أرنبا تحت شجرة ففزع منها وركض البقرة وقال

الله نجانى ونجى البقرة

من جاحظ العينين تحت الشجرة

وروى أن مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس مازحا وهو يفتخر بالربيعة على المضرية لاحق بكر بن وائل أشهر من سيد بنى تميم يعنى بالاحق هبنقة القيسى فقال الاحنف لتيس بنى تميم أشهر من سيد بكر بن وائل يعنى تيس بنى حمان الذى يقال

والشمس حيرى خلف غيم عارض * فكأنها فى ضوء ليل مقمر

وقال فى طلوعها مبادرة القمر

أما ترى الشمس وهى طالعة * تمنع منا ادامة النظر
حمراء صفراء فى تلونها * كأنها تشتكى من السهر
مثل عروس غداة ليلتها * تملك مرآتها من القمر

وما أحسن قول ابن طباطبا

متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة فى كف الحسود
يقابلها فيلبسها غشاء * بانفاس تزايد فى الصعود

وهذا يشبه قول أبى بكر محمد بن هاشم فى السماء

وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وقال أبو حفص بن برد

والبدر كالمرآة غير صقالها * عبث الغوانى فيه بالانفاس

وما أعدل قول المعوج

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى

والقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

ولكن زاده فى المعنى كف الاشل لكثرة اضطرابها فى حركتها وهو حسن ولكن هذه الزيادة أخذها أيضا من قول ابن المعتز * والشمس كالمرآة فى كف الاشل *
ومن هنا أخذ ابن قلاقس رحمه الله قوله

والرمل فى حبك النسيم كأنما * أبدى غضون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع يشن بمعطنى مقرور

بل أخذه من قول الآخر فى الخمر

كانت سراج أناس يهتدون بها * فى سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز فى الكاس من ضعف ومن كبر * كأنها قبس فى كف مقرور

وأخذه القاضى الفاضل أيضا فقال

والشمس من بين الارائك قد حكت * سيفا صقيلا فى يد رعشاء

وقال ابن الرومى

كأن جنوح الشمس عند غروبها * وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوص عين مس اجفانها الكرى * ترقق فيها النوم وهى تغمض

وقال ابن قلاقس

والشمس فى وقت الاصيل بهارة لفت بورد

وقال ابن خفاجة

فيه أعلم من تيس بنى حسان يزعمون انه نزا على عنز بعد أن قربت أوداجه
(وطويس ما أثر عنه يمن الطائر اذا قيس عليك)
هو عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته أبو عبد النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ويضرب به المثل فى الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار * وله أخبار تدل على مكره وفطنته قال كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود أسال كل شئ فقال عبد الله هل لكم فى العقيق وهو منتزه اهل المدينة فى الربيع والمطر فركبوا ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه

والنقع يكسر من سنا شمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار

قلت قوله صدأ على دينار فيه نظر لان الذهب من جملة خواصه انه لا يعلوه صدأ ولا يركبه ولا يليه التراب نعم قالوا اذا علق فى مكان تتصاعد اليه الرطوبات كما اذا علق فى فضاء بئر أو ما أشبهه ربما تأكل وبلى وابن النبيه استعمل الصدأ فاحسن فى قوله

والظل يسبح فى الغدير كأنه * صدأ يلوح على حسام مرهف

وهو تشبيه وقع موقعه بخلاف قول ابن خفاجة وقد احسن ابن سناء الملك أيضا فى قوله

كأن أصل الجونى نهرها * صحالة العسجد فى المبرد

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى فقال والشمس فى طفل الاصيل تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به النوى فترآهم على شرف

ولابن الرومى من قصيدة فى غروب الشمس

ولاحفت النوار وهى مريضة * وقد وضعت خدا على الارض أذرعا

وودعت الدنيا لتقضى نحبها * وشول باقى عمرها فتضعضعا

كما لاحظت عوادها عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا

وما أحسن قول بعض الاعراب يصف أحوالها

مخبأة أما اذا الليل جنها * فتخفى وأما بالنهار فتظهر

اذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى * دجى الليل وانجاب انجلاب المستر

وليس عرض الارض لونا كأنه * على الافق الغربى ثوب معصفر

تجلب سريعا حين يبدو شعاعها * ولم يبد للعين البصيرة منظر

عليها كدرع الزعفران يشوبه * شعاع تلالا فهو أبيض أصفر

فلما انجلت وابيض منها اصفرارها * وجالت كما جال الوشاح المشهر

وجللت الآفاق نورا فأصعدت * بحسرله صدر الضحى يتسعر

ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة * تراه اذا زالت على الارض ينشر

كما بدأت اذ أشرقت بطلوعها * تعود كما عاد الكبير المعمر

وتدنف حتى ما يكاد شعاعها * يبين اذا ولت لمن يتبصر

فافنت قرونا وهى اذ ذاك لم تزل * تموت وتحيا كل يوم وتنشر

وقال محمد بن شرف القيروانى ملغزا فيها

وبلقيسية فى الملك ليست * كمن أوهى سليمان قواها

يراها كل ذى بصر فيعشو * ابهجتها الى أن لا يراها

اذا العليا يبالغ ناسبوها * عزوها فى السمو الى علاها

وملك الارض من بر وبحر * فليس يروسه ملك سواها

تموت كلهن غدت تموتا * لعباد سوى نعت عداها

وذلك انها مهما أقامت * بارض أيبست منها ثراها

وعباد اذا ما حل أرضا * تفجر يبس تربتها مياها

ونحدثنا ويضحكنا قال وطويس فى النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه ولم يروه فقال عبد الرحمن ابن حسان جعلت فداك وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله لا تقل ذاك فانه خفيف لنا فيه انس فلما استوفى طويس الكلام تحول الى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءك سيد الناس عبد الله ابن جعفر فما عندك قالت نذبح هذه العناق وكانت قد ربتها للبن واختبزت رقاقا فبادر بذبحها وبجنتها وخرج وتلقاه مقبلا اليه فقال له طويس بأبى أنت وأمى هذا المطر هل للك فى المنزل فتسكن به الى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض يا سيدى على بركة الله وجاء يمشى بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا الى أن أدرك الطعام فاستأذنه عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل القوم وأعجبه طعامه ثم قال بأبى أنت وأمى أما أغنيك قال بلى فاخذ الدف وغنى

يا خليلى نابنى سهدى
لم تنم عينى ولم تكد
كيف تلهونى على رجل
أنس تلتذه كبدى

فطرب القوم وقالوا لله

وقال الشرف التيفاشي في ذمها

في خلقة الشمس وأخلاقها * شتى عيوب ستة تذكر
من صحها النور لامائها * مغاير الأشكال لايفتر
رمداء عمشاء اذا أصبحت * عمياء عند الليل لاتبصر
و يقتدى البدر لها كاسفا * وجرمه من جرمها أصغر
حرورها في القيظ لاتتقى * ونورها في القر متحقر
وخلقها خلق الملوك التي * تنكث في العهد ولاتصبر
ليست بحسناء وماحسن من * يقصر عنه اللفظ اذ يخبر

وأحسن من هذا قول ابن سناء الملك

لاكانت الشمس فكم أصدأت * صفحة خد كالحسام الصقيل
وكم وكم صدت بوادي الكرى * طيف خيال جاء في من خليل
وأعدمتني من نجوم الدجى * ومنه روضا بين ظل ظليل
تكذب في الوعد وبرهانه * ان سراب القفر منها سليل
وتحسب النهر حراما فتر * تاع وتحكي فيه قلب الذليل
ان صد أالطرف فما قله * الا التجلي بحيا جميل
وهي اذا أبصرها مبصر * حديد طرف عاد عنها كليل
ياغلة المهموم ياجلدة المحموم يازفرة الصب النحيل
يافرحة المشرق وقت الضحى * وسلحة المغرب عند الاصيل
أنت عجوز لم تبرجت لي * وقد بدا منك لعاب يسيل
وأنت بالشيطان قرنانة * فكيف تهدينا سواء السبيل

انظر الى هذا المعنى الذي تكلفه لاظهار معايب الشمس ليعلم تفاوت الناس في البلاغة وأحسن ما في هذه القطعة قوله ياغلة المهموم البيت والذي بعده أحسن وكذلك الثالث أيضا وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

وفضل الشمس في الايام باق * وان مدت من الكبر اللعابا

وعلى قوله سلحة المغرب ذكرت ما أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني شهاب الدين أحمد بن زكريا بن أبي العشائر المارديني قال أنشدني الزين الجوباني لنفسه

انظر الى الشمس وقد عممت * رؤس الهضاب الصلع بالاصفر
كأنها في الجو قلاعة * وجاءها للاح عليها نجري

وقال عبد الملك بن عمر في الشمس لما سئل عنها مظهرة للداء مثقلة للريح مبلاة للثوب وقال فيها آخر تشحب اللون وتغير العرق وترخي البدن وتثير المرة ان احتجمت فيها أمرضتك وان أطلت النوم فيها أفلجتك وان قربت منها صرت زنجيا وان بعدت عنها صرت صقليا وقد تكلف ابن الرومي وعدد للقمر معايب وأبياته في ذلك مشهورة وهي

لو أراد الاديب أن يهجو البد * ر رماه بالخطة الشنعاء

أحسنت فقال ياسيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا قال هذا الفارعة بنت حسان وهي تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومي وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو نقبت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن

*ولطويس شعر ركيك لافائدة في ذكره (واليمن) البركة وأيامن الطير ما كانت العرب تتفاءل به للسانح فاذا أولاه الطير يمينه وهو خلاف الاشائم وفي الحديث اللهم لاطير الاطيرك

(فوجودك عدم
والاغتباط بك ندم)
(والخيبة منك ظفر
والجنة معك سقر)

قوله (وجودك عدم) هو مأخوذ من قول المتنبي

يامن يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

والغبطة) حسن الحال وفي الحديث اللهم غبطا لاهبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا (والاغتباط) تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها (والخيبة) فوت المطلوب (والظفر) الفوز به مأخوذ من ظفر أي نشب ظفره فيه (والجنة) كل بستان ستر الارض بشجره مأخوذ من

قال يابدر أنت تغدر بالسنا * رى وتغرى بزورة الحسناء
كلف فى بياض وجهك يحكى * نمش فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الجحناء

وقد عدوا فى القمر معايب كما عدوا فى الشمس قالوا انه يهدم العمر ويحل الدين ويوجب أجرة المنزل ويسخن الماء ويفسد الطعم ويشحب الالوان ويبلى الكتان وقال الشاعر فى ذلك وهو أبو المطاع فى مليح عليه أخلاق

ترى الثياب من الكتان يلمعها * نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى غلائله * والبدر فى كل وقت طالع فيها

وهو مأخوذ من قول ابن طباطبا العلوى

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

والقمر يغر السارى لانه يخفى الكواكب فيضله ويفضح العاشق وقال فيه الشاعر

ياسارق الانوار من شمس الضحى * يامشكلى ثوب الكرى ومنغصى
لم يظفر التشبيه منك بطائل * مستلحفا بهقا كجلد الابرص

ويعجبنى قول ابن سناء الملك

ليل الحمى بات بدرى فيك معتنقى * وبات بدرك مرميا على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدرى وبدر صيغ من ورق

وقد حكى ان بعض العرب شردت راحلته فى الليل فاتبعها حتى أعيا فلما طلع القمر وجدها معلقة بخطامها ترعى من الشجر فرفع رأسه الى القمر وقال

ماذا أقول وقولى فيك ذو قصر * وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

وهذا البدوى كان أرق طبعا من هؤلاء الذين عابوا القمر وعلى ذكر شرود الراحلة حكى ان امرأة شردت لها ناقة فأضلتها فقيل لها لو وجهت لها من يطلبها فقالت قد أخذت عليها بجميع الطرق فقيل لها وما جميع الطرق قالت الدعاء فيقال ان الناقة أصبحت مربوطة ببعض أطناب بيتها وقال بعض الاعراب يصف دعوة المظلوم

وسائرة لم تسر فى الارض تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تحدو الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب * بجثمانه فيه سمير وهاجع
اذا وفدت لم يرد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها * اذا قرع الابواب منهن قارع
وانى لارجو الله حتى كأننا * أرى بجميل الظن ما الله صانع

نقلت من خط ابن القيسرانى له يمدح نور الدين الشهيد

كلفت همتك السمو فخلقت * فكأنما هى دعوة فى ظالم
وطئت بأوطان النجوم فكم لها * من مارد قذفت اليه براجم

ونقلت من خط السراج الوراق له

جن الشئ اذا استتر قال الراغب وسميت الجنة جنة اما تشبيها بما يرى فى الارض وان كان بينهما بون واما لستر النعم المشاهد اليها بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وسقر) اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضى التلويح قال الله تعالى وما أدراك ما سقر أى ان ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سقر الشمس المعلوم بينكم

(كيف رأيت لؤمك الكرمى كفاه
وضعتك الشرف وفاه)

(اللؤم) الدناءة فى الاصل والاخلاق (والكرم) ضده (والاكفاء) الانظار ويستعمل فى المناكحة والمحاربة (والضعة) مقابلة الرفعة مأخوذ من وضعت الشئ اذا حططته (والشرف) علو المقدار وهو مأخوذ من من شرف المكان وهو أعلاه والمعنى كيف تكون كفؤا لى على شرفى وضعتك

(وأنى جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى أشكالها)
(والطير انما تقع على آلافها)

يعنى كيف جهلت أنى انما أميل الى شكلى والفى والست من أشكالى وآلافى والكلمة الاولى منظومة

توق من سؤته دعوة * تطلع حيث السهم لم يطلع
ما كبد القوس اذا أرسلت * فيها الذى فى كبد الموجع

وأنشد فى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

الارب ذى ظلم لكنت لحربه * فاوقعه المقدور أى وقوع
وما كان لى الا السلاح تركع * وأدعيه لا تتقى بدروع
وهيهات ان ينجو الظلوم وخلفه * سهام دعاء من قوى ركوع
مريشة بالهدب من جفن ساهر * منصلة أطرافها بنجيع

وقد كان ابن الرومى ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيذم الحسن ويمدح القبيح وهو القائل فى زخرف القول ترجيح لقائله * والحق قد يعتريه بعض تغيير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قىء الزنابير

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

والحريرى انما فاق على من سواه بما أتى به فى مقاماته من مدح الشئ وذمه كما فعل فى المقامة الدينارية والتى فاضل فيها بين كتاب الانشاء والحساب والتى ذكر فيها البكر والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلعب بالكلام وصحة التخيل والذوق وقال ابن الرومى يهجو الورد

وقائل لم هجرت الورد قلت له * من شؤمه عند اقباله ومن سخطه
كانه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

وأين هذا التشبيه القبيح من قول الآخر فى الورد

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فانظر الى هذا وجنة حبيب ودينار والى ذاك سرم بغل وروث وشتان ما بين ذاك وهذا وقال ابن الرومى يفضل النرجس على الورد من أبيات

هذى النجوم هى التى ربيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الولدين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد
فصل القضية ان هذا طارد * زهر الرياض وان هذا قائد

فناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى ذلك فمنهم أحمد بن يونس الكاتب فقال

ان القياس لمن يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
ان قلت ان كواكبا ربيتها * بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى الـ * ـعدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع جمة وفوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل جمة وعوائد
ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

وقال سعيد بن هاشم الخالدى

فى قول المتنبى والكلمة الثانية منظومة فى قول بعض العرب وعلى آلافها الطير تقع قال الاصمعى كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غرابا نقع البقع منها مع البقع والسود مع السود الى ان رأيت غرابا أعرج قد سقط لحاه آخره بيض الجناح فسقط عنده فعلمت أن المثل ماضاع (وهذا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان)
وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان)
وقلت الخبيث والطيب لا يستويان)
(شعرت) أى علمت علما دقيقا مأخوذ من دقة الشعر ولمح من السجعة الاولى قول على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما ازددت من احداهما قربا ازددت من الاخرى بعدا
ومن السجعة الثانية قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أطيب من عمله والكافر أخبث من عمله ويدل على ذلك لفظ القرآن العظيم فى السجعة الثالثة فتأمله
(وتمثلت * أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان)
هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة المخزومى يقوله فى

أبحت النرجس لرقى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوقى وانى * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الانوار هذا * مقدمة تسير وذاك ساقه

وقال مسلم بن الوليد فى تفضيل الورد

كم من يد للورد مشهورة * عندى وليست كيد النرجس
الورد يأتى ووجوه الربى * تضحك عن ذى برد أملس
وقد تحلت بعقود الندى * نابتة فى الارض لم تغرس
ولن ترى النرجس حتى ترى * روض الخزامى رثة الملبس
وتخلق الكبا ما جددت * ايدى الغوادى فى سنا السندس
هناك يأتيك غريبا على * شوق من الاعين والانفس

وقال ابو بكر الصنوبرى

زعم الورد انه هو ازهى * من جميع الازهار والريحان
فاجابته اعين النرجس الغض بذل من قولها وهوان
ايما أحسن التورد ام مقـ * ـلة ريم مريضة الاجفان
أم فماذا يرجو بحمرته الور * د اذا لم تكن له عينان
فسزها الورد ثم قال مجيبا * بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من عيـ * ـن بها صفرة من السيران

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا جالسا * اذ قام فى خدمته النرجس

يقال انهما أنشدا فى حضرة الشيخ محيى الدين عبد الوهاب بن سحنون فاجاب من غير رؤية

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خد الهشى فوقه النرجس

وقد وضع بعضهم كتابا فى المفاضلة بين الورد والنرجس لان الشعراء أولعوا بذلك فاطالوا وأطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة البخل والكرم ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجوارى والمردان اذ كل ذلك يمكن فيه الابيان بالحجة للجانبين وأما مفاخرة المسك والرماد فما للعقل فى ذلك مجال وما عسى البليغ أن يقول فى الرماد اذا فاخر المسك وللجاحظ فى ذلك رسالة بديعة ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـ * ـمزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك فى سواى فانه * عندى قبالة كل عين أصبع

وقال شهاب الدين بن جلنك

أرى النرجس الغض الشهى مشمرا * على سرقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف فوق رؤسه * عمائم فيها لليهود علائم

وقال

الثريا بنت عبد الله وقد تقدم ذكرهما وسبب قوله أن سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان هى شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان واتفقت له نوبة حسنة باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعنى سألت الله عمرك أى يعمرك والعمر والعمر واحد وانما خص العمر بالقسم وأصل العمر من العمارة وهو عمارة البدن بالحياة

(وذكرت انى عاق لا يباع
ممن زاد
وظائر لا يصيده من أراد)
وغرض لا يصيبه الا من أجاد

(ذكرت) عطف على قوله وهلا علمت (والعاق) الشئ النفيس الذى يتعلق به صاحبه فلا يبرح عنه واللفظ مأخوذ من شعر حريث بن قعطان التميمى كانت له فرس يسميها سكاب فاراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال

أبيت اللعن ان سكاب عاق
نفيس لا يعار ولا يباع
فقد تأتى مكرمة علينا
بجاع لها العيال ولا تجاع

وقال آخر

أياجاعلا النرجس الغض ميزة * على الورد قد اخطأت عن سنن القصد
بعيني رأيت النرجس الغض قائما * على ساقه بالامس في خدمة الورد

وما أحسن قول أمين الدين جوبان القواس

نفش غصن البان أذنابه * وماس عند الصبح زهو او فاح
وقال هل في الروض مثلي وقد * تعزى الى قدي قدود الملاح
فصدق النرجس يهزوبه * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحاكمت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ماهذه الاعيون وقاح

وقال ابن الرومي في هجو والده

لو كان مثلك في زمان محمد * ماجاء في القرآن بر الوالد

وأين هذا من ابن سناء الملك وهو يمدح والده الرشيد بقصيدة بعد قصيدة من ذلك قوله

انى لارثي لدمعي في تراجمه * كما رثيت لشمعلي في تشتته
انا الغوي بهمي والرشيد أبي * هو الرئيس على الدنيا بهمته
أحيي وأنشر ميت المجد مجتهدا * في لم لمته أو رم رمته
أصبحت اختال في حالي ونضرتها * به وأرفع في عيشي وخضرته
وأسعد الناس من لاقى بلا تعب * مبدا السعادة في مبدا شبيبته

وقوله فيه أيضا

يكفيك أني بك ياسيدي * قد طاب أصلي وزكا محتدي
جاوزت حد البر بي صاعدا * فقف فما أبقيت من مصعد

وقوله فيه أيضا من قصيدة

وبات نديمي ولا ليله * يطول ولا سربه يقصر
فلا يعجب الصبح من نوره * فوجه الرشيد أبي أنور

وقوله فيه من قصيدة أخرى

أبى لي النقص ان مجد أبي * سام كما ان قدره سابق
هو الرشيد الذي رياسته * ساوت فلا زاجر ولا سائق
يكني أبا الفضل وهو يعشق نفس الفضل والمرء لابنه عاشق

وقوله من قصيدة أخرى

ابي وحسبي نسبة عقدها * دروذاك الدر درثمين
كأنه اذ زاد في بره * يعلم الآباء بر البنين

ولما مات أبوه رثاه بقصيدة رائية في غاية الحسن وقال أبو العينا أنا أول من أظهر العقوق لوالده بالبصرة قال لي أبي ان الله تعالى قرن طاعته بطاعتي فقال اشكر لي ولوالديك فقلت يا أبت ان الله تعالى أمنني عليك ولم يأمنك علي قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم ومن هجا والده علي بن بسام حتى قال فيه ابن المعتز

سليلة سابقين تناحلاها
اذا انتسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها
دون منالها أمد شناع

(والغرض) الهدف المقصود بالرمي ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الانسان ادراكها
(ما أحسبك الا كنت قد تهيأت للتهنية
وترشحت للترقية)
يعني طمعت بحصول القصد فانتظرت الهناءة به (والترشيح) الاستعداد للشيء مأخوذ من ترشح الفصيل اذا قوى على المشي (والترقية) والرفاهية التنعيم والتوسع في العيش
(لولا ان جرح العجماء جبار
للقيت من الكواعب مالاقى يسار) (جرح العجماء جبار) لفظ الحديث والعجماء البهيمة سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم الهدر والمعنى عدم القصاص في جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (والكواعب) جمع كاعب وهي الجارية التي تكعب ثدياها تشبيها بالكعب (ويسار) اسم عبد وهذا مثل معروف وسببه ان يسارا هذا كان عبدا أسود مما يقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فكان يظن انهن يضحكن من عجبن به حتى نظرت اليه

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاه
لو أنه لا يبـــه * ما كان يهجو أباه

وقال المرزباني في حق ابن بسام استفرغ شعره في هجاء والده وقال شرف الدين بن عنين

وجنبني ان أفعـل الخـير والد * قليـل اذا ما عدا أهل المناسب
بعيد عن الحسنى قريب من الخنا * وضيـع مساعي الخير جم المعايب
اذا رمت أن اسمو صعودا الى العلى * غـداعرقـه نحو الدنيـة جاذبي

وهذا الثالث يشبه ما قيل في خالد بن عبد الله القسري

اذا نبهتـه نحوة عربيـة * الى المجد قالت أرمنيتـه نم

وما أكرم شاعرا قال

بنفسي أنت لا بأبي فاني * رأيت الجود بالاباء لؤما

وذكرت هنا ما حكاه لي المولى القاضي عماد الدين بن القيسراني قال كنا في الديوان بقلعة الجبل اناوأخي صحبة والدي وكان قد غاب في ذلك الوقت ولما عاد وجد قد جاءت اليه ورقة من بعض أصحابه وقد كتب أخي الجواب عنها وقال فيه ان مملوكه الوالد كان غائبا فأخذ الورقة وكشطها وكتب والد المملوك وقال المولى يقطع في كيسه ولا يقطع في كيسي وبالغ ابن الرومي في وصف جارية أبي الفضل عبد الملك ابن صالح حيث وصفها وهي سوداء بتلك القصيدة الطنانة وهي طويلة بديعة في بابها وقد اشتهرت بين الادباء ومنها

أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وهي مشهورة بين الادباء فلا فائدة في ذكرها وعلى ذكر السودان فما أحسن قول القائل

يا أسودا يسبح في بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لخد الحسن خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

ومثله قول ابن خفاجه

وأسود يسبح في لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في شكلها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وذكرت هنا قول عبد الجليل بن وهبون للمعتمد بن عباد وقد جاوز البحر وهو في غاية الحسن من التشبيه

فصرت فوق دفاع البحر تبصره * براحة الدين والتقوى فيبصر
كأنما كان عينا أنت ناظرها * وكل شط باشخاص الورى شفر

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي

وجارية من بنات الحبـو * ش ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابي فشبت * غراما ولم ألـف بالشيب راض
وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرني بالبياض

وقال ابن دفتر خوان فاغرب

ان لمعت ليلا لنجوم السما * بيضا على أدهـم مرخي الازار
وأوجب العكس مثالها * في الارض فالسود نجوم النهار

امرأة مولاه فضحكت فظن انها خضعت له فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الابل قد والله عشقتني مولاتي فلا أزورنها الليلة ولم يكن يفارق الابل فقال له صاحبه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار وبالكرات الاحرار فقال له يا صاحب أنا يسار الكواعب والله ما رأتني حرة الا عشقتني فلما أمسى قال لصاحبه احفظ علي الابل حتى أنصرف وأعود اليك فنهاه فلم ينته حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها فقالت له مكانك الى ان أتطهر لك فأشعلت اياه حال هاتيه فأتته بطيب وموسى حذمة أي قاطعة فأشعلته الطيب ثم أنحت بالموسى على أنفه فقطعته وقيل وضعت تحته بخورا وقطعت هذا كيره فصاح فقالت صبرا على مجامر الكرام ثم خرجها رباحتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل وأيضا مما قيل ان اسم المرأة منشم وانها التي ضرب بها المثل بقولهم عطر منشم وهذا على أحد الاقوال في ذلك مما روينا ه

(فاهم الا يعرض ما به هممت ولا تعرض الا لا يسرماله تعرضت)

يعني ما طلب يسار من مولاته

وقال

وقال ابن رباح الملقب بالحجام

يا كعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكفور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب

يا من فؤادى فيها * متيما لا يزال
ان كان لليل بدر * فأنت للصبح خال

وأحسن منه وأكمل قول جمال الدين ابراهيم الحنفى المعروف بابن امام الحرمين ولكن ليس فى أسود

وعاكس الليل وبدر الدجى * بخده والخال أهواه
فالبدر خال فى محيا الدجى * والليل خال فى محياه

وقال أبو اسحق الصابى

قد قال رشد وهو أسود للذى * بياضه يعلو على الحالك
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى * أن قد أفدت به مزيد محاسن
لون منى فيه خالا زانه * ولون منه فى خالا شانى

وقال آخر تضمينا

وسواده الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال شرف الدين بن عنين

وماذا عليهم ان كلفت باسود * محلته فى العين والقلب منهم
وقد عابنى قوم بتقبيل خده * وماذاك عيب أسود الركن يلثم
وما شانه لون السواد لانه * لغير الثنايا والخلائق معلم
لئن ضم جنح الليل اثناء برده * لقد شق عن مثل الصباح التبسم

وقال الوزير المغربى

يارب سوداء تمتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام

وقريب من هذا قول أبى الجهم

غصن من الآبنوس أبدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أظل فيه * للطيب لا أشتهى النهارا

وكلاهما مولد من قول الآخر * وانما الليل نهار الاديب * وقال أبو الحسن على بن رشيق

دعابك الحسن فاستجبى * يامسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولا يريعنك أسود لون * كعقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

وأخذه ابن قلاقس فقال

وتعرض له الادون ما تعرضت اليه منى لانى أشرف من تلك وأنت أقل من ذاك (وهممت) بالشئ اذا جعلت طلبه هم نفسك (وتعرضت) للشئ اذا وقفت عرضا فى طريقه

أين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار

أما ثاب اليك قول الشاعر

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وتنكح فى اكفائها الحبطات

(ثاب اليك) أى رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق يقوله لرجل من بنى الحرث بن عمرو خطب الى بنى دارم (ودارم) هو مالك بن حنظلة التميمى وهو أبو مجاشع وبيته أكبر بيوت بنى تميم (وآل مسمع) بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهو من بنى قيس بن ثعلبة (والحبطات) بنو الحرث ابن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بنى دارم وانما نقص قدر الحبطات عنهم لقول الشاعر فيهم

وجدنا النيب من شر المطايا * كما الحبطات شر بنى تميم

فلزمهم هذا القول وقيل انما سمى الحرث حبطا لانه كان فى سفر فأكل أكلا فانتفخ بطنه فمات فسمى حبطا وعيروا بذلك والحبط أن

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك في اسمها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سوادا وانما هو نور

والاصل في هذا المعنى قول الوزير المهلبي

قسموه مع القريبي غريبا * كنور العين سموه سوادا

ومن هذه المادة وان لم يكن في المعنى قول ابن التعاويذي في مليحة اسمها هاجر

قديت من ترحم عشاقها * وراحم العاشق مأجور
ليست على دين الغواني ترى * ان وصال الصب محظور
لاعجب ان سميت هاجرا * قد سمي الاسود كافور

وما أحسن قول ابن صريمة في سوداء

عقلتها جاء مقولة * سواد عيني صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

قلت انما كان التاريخ بالليالي دون الايام لان الهلال انما يبدو ليلا وهو أصل التاريخ

وقال آخر

يارب سوداء تجلى * بنورها الظلمات
كليلة الهجر تنسى * بوصلها السيئات
ماذا يعيبون منها * وكلها حسنات

وقال ابن بليطة في أسود أحدب يسقي

وكاس انس قد جلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
طاف بها أسود محدودب * أطرب من لهوبها مجلسه
نفاثه من سحج ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

وذكرت بالاسود الساقي ماجرى لبعض الافاضل وقد حضر مجلسا والمغني يقول بيت ابن النبيه

ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره

ولكن لا يغنيه الا ويقول فاسود خداه وابيضت غدائره والفاضل يقول فابيض خداه واسودت غدائره وجعل يرده عليه مرارا وهو لا يقوله الا معكوسا وكان لبعضهم غلام شيخ أسود واقف يخدمهم فقال يا مولانا اتعرف فيمن يغني من أمس الى الساعة قال لا قال في هذا العبد النحس أفي هذا تغزل ابن النبيه فرجع وغناه مستقيما ومن معاني ابن الرومي التي ابتدعها قوله

ترددت حتى لم أدع متردد * أفنيت أقلامي عتابا ماردا
كاني أستدني بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وكرره أيضا فقال

رأيتك بيننا أنت جار وصاحب * اذا بك قد وليتنا ثانيا عطفا
وانك اذ تحنو حنوك معقبا * بعادا لمن بادلته الود والعطفا
لكالقوس أحنى ما تكون اذا انحنت * على السهم أدنى ما تكون له قذفا

وولد ابن بابك من هذا معنى آخر فقال

أصبحت في صولجانه كرة * يعدها قربها من الضارب

تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها ما فيها وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ومعنى قول الفرزدق أن بني دارم لا ينبغي أن يخطب اليهم الا بنو مسمع لانهم أكفاؤهم في الشرف فأما الحبطات فلا وذكر المبرد أن الرجل الخاطب أجاب الفرزدق فقال أما كان عتاب كفيئا الدارم بلى ولابيات بها الحجرات عتاب أحد آباء بني الحرث وقوله أبيات بها الحجرات يعني بني هاشم لقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات * والفرزدق هذا هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي الشاعر المشهور صاحب جرير ولقب الفرزدق لجهامة وجهه لان الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وكنيته أبو فراس وذكره الشريف المرتضى فقال كان الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا شريف الآباء كريم البيت وكان شيعيا مائلا الى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال ذلك منسلخا

وما أحسن قول ابن المقلس ملغزا في الكرة

أرادوها حتى اذا ما * دنت منه بكد أي كد
فلاها ثم أتبعها بضرب * وبدل قربها منه ببعد

وأخذ المعنى الاول من ابن الرومي ناصح الدين الارجاني فقال

فلا تنكروا حق المشوق فاننا * لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
أراناسها ما في الهوى وتراكم * حنايا فما تدنون الا لتبعدوا

وكرره فقال

قد قوس القد تودي عاوقربني * سهما فابعدني من حيث أدناني

وقال أيضا

والالف قد عانقني للنوى * فالتف خداي وخداه
كأنه رام الى غاية * تناول السهم بيمناه
حتى اذا أدناه من صدره * أبعده من حيث أدناه

وأخذه كشاجم من قبله فقال

أرى وصالك لا يصفو لامله * والهجر تتبعه ركضا على الاثر
كالقوس أقرب سهميها اذا عطفت * عليه أبعدها من منزع الوتر

وأخذه أيضا ابن قيم الجوزي بعد الارجاني فقال

فهو كالسهم كلما زادته منك دنوا بالنزع زادك بعدا

ومن معاني ابن الرومي الغريبة قوله في خباز رقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وهذا من التشبيهات العقم وحكي ان الاديب أبا عمرو النميري أنشدت هذه الابيات في حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن انه يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا برؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتي هذا ليس يعجبكم * فحلوا محوه أو فالعقوه طري

وحكي ان الملك المعظم عيسى حضر الشعراء عنده وفيهم شرف الدين بن عنين فقال لهم لابد أن تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ماذكرنا لامرئ قط * الا واشتهى أن لا يرانا

فقال السلطان صدقت فقال * شعرنا مثل الخمر افقال السلطان صدقت فقال ذقت الخمرا * فقال السلطان لا والله فجعل الله فقال صفع الله به أصل لحانا * ومن معاني ابن الرومي الغريبة قوله يهجو

لحا الله شاعرنا زوجة * لها جريبا بلغ مثليها
قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

حدث ابن عمران قال جاء الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان أوثقنا بالله تعالى فقال له رجل ألك هذا الرجاء وهذا المذهب وأنت تفعل ما تفعل فقال أتروني لو اذنبت الى والدي أكانا يقذفاني في تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كان يرجمانك فقال أنا والله برحمة الله أوثق مني برحمتهما وقيل انه كان يخرج من منزله فيرى بني تميم وفي حجورهم المصاحف فيفرح بذلك ويقول ابه فداكم أبي وأمي هكذا والله كان أباؤكم واستدل الشريف على تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك أن هشاما حج في خلافة أبيه فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن لازدحام الناس فجلس ينتظر خلوة فأقبل علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما وعليه ازار ورداء وهو من أحسن الناس وجها وبين عينيه سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا لافعاله ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكني أنا أعرفه فقيل له من هو

وقوله أيضا

مرفوعة تحت الدجى رجلاها * كأنما تستغران الله

وقال أبو محمد المصرى من شعراء الذخيرة من أبيات

ولا تتزوجن لهم ببنت * فالسودان عندهم مراح

بارجلهن يستغفرن دأبا * فارجلهن فى الدعوات راح

وما أحسن ما استعمل الآخر الاستغفار حيث قال

صل الراح بالرحات واغنم مسرة * باقداحها واعكف على لذة الشرب

ولا تخش أوزارا فاوراق كرمها * أكف غدت تستغفر الله للذنب

وقلت أنا تضمينا فى ورق الكرم من قصيدة

وطل على ورد حكى خد غادة * به عرق من خجلة يتصبب

وأوراق كرم قد حكت كف سائل * لمن بات فى نعمائه يتقلب

وقد سبقت عليه بنت المهدى ابن الرومى الى هذا المعنى فقالت فى طغيان لما وشت بها الى رشا وكانت طغيان جارية أم جعفر زبيدة

لطغيان خف مذ ثلاثين حجة * جديد فما يبلى ولا يتخرق

وكيف بلى خف هو الدهر كله * على قدميها فى الهواء يعلق

فما خرقت خفا ولم تبل جوربا * وأما سراويلاتها فتمزق

وأنشد بعض الشعراء زبيدة شعرا قال فيه

از بيدة ابنة جعفر * طولى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطى الاكف من الرقاب

فجعل عبيدها يقرعون رأسه فقالت دعوه انه أراد خيرا فاخطأ وهو أحب الينا من أراد شرا فاصاب سمع قولهم شمالك اندى من يمين فلان فظن انه من هذا الباب ويقال ان يحيى دخل يوما الى دارهم فوجد أباه على أمه فرأته فلما خرج وعاد بعد فراغهما أرادت ان تذهب خجلتها فدفعت اليه درهمين وقالت اشترى لى بهما يا يحيى سرموزة فمضى وعاد بسرموزة كاغد فقالت له كيف تحمل هذه الوطا فقال لها ان مشيت بها كما كنت تمشين تحت أبى تلك الساعة فانها لا تثقب وعلى الجملة فابن الرومى كان من غرائب الوجود فى تقبيح الحسن وتحسين القبيح والقدرة على الاتيان بالمعانى الغريبة وقال الخالديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد ومارأينا أمرا أعجب من أمر ابن الرومى فانه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لغيره فاذا تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذى أخذه منه قلت والعلة فى هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق حسن التخيل فاذا طرق المعنى بكرا أتى به فى غاية الحسن فالذى يأتى بعده لم يجد فيه فضلة وأما هو فلا يرى ان يأخذ الا المعانى الجيدة من الفحول وأولئك قد سبقوه اليها فلا يكون له فيها فضلة والله أعلم وقد كان فى ابن الرومى عجائب منها انه كان شديد التطير فيلازم بيته ولا يخرج منه الا بعد استقراء القرائن الحسنة والالفاظ الخيرة فيما يسمعه ويتفاءل به من الكلمات الحسنة والوجوه المليحة فيقال ان بعض أصحابه أرادوا الخلوة به فى يوم أنس واختاروا له غلاما حسنا وقالوا له اذا طرقت الباب عليه وقال من فقل له أنا اقبال فلما فعل ذلك قال اقبال مقلوبه

فأنشد يقول

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان وفى ذلك يقول

أيحبسنى بين المدينة والتى
اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد
وعينا له حولاء باد عيوبها

وبعض الرواة يروى الابيات الميمية لابى الطمحان القينى والذى يرويها للفرزدق يستدل لها بحبسه وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق بالبادية سنة ١١٠ ومن أخباره المستطرفة دخل يوما على بلال بن أبى بردة وهو أمير على البصرة وعنده أصحابه فنقصوا بنى تميم ورفعوا اليمن فقال الفرزدق لم يكن لليمن الا أبو موسى وما تولاه من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما أردت منها فقال هجامته اياه فقال صدقت قد فعل ذلك وما فعله بأحد قبله وما بعده فقال الفرزدق

لا بقاء وهذا شئ أتطير منه فلا أخرج اليوم وجهزوا اليه فى بعض الايام غلاما وضيء الوجه حسن الاسم طيب الريح فلما طرق الباب عليه خرج اليه فشم طيبه وسمع اسمه ورأى وجهه المليح فقال حسن فى حسن فلما خرج رأى دكان خياط وقد صلب درابتى الباب وهو يأكل تمرا وقال ان الدرابتين مثل لاوا التمر تمر فالفال قال لا تمر فدخل وأغلق الباب وقال والله لا مررت معك وكان منهوما فى الاكل وكان به صلع لا يكاد يرفع عمامته عن رأسه أبدا وشعره جيد ومعانيه غريبة وكتب القاضى الفاضل الى الرشيد ابى ابن سناء الملك رحمهما الله تعالى كان القاضى السعيد لما وصل الى دمشق عائدا جعلت قراءة شعر ابن الرومى واختياره فاختار حرف الالف وتوجه قبل تمام الاختيار ووعد بانه يكمله فلم لا انجز مراده ولم لا جعل مرادى مراده وكان يبرز من الشعر محاسنه المغموره ويلفظ ابياته الخراب ويبقى ابياتها المعموره وكان ابن الرومى يشكره فى لحده ويستعير السنة الاحياء فى جدثه فاجاب القاضى السعيد بن سناء الملك اما ما أمر المولى به فى شعر ابن الرومى فما المملوك من أهل اختياره ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره لان بحاره زخاره واسوده زاره ومعدن تبره مردوم بالجاره وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل الف ستاره يطمع ويؤيس وينفر ويؤنس وينير ويظلم ويصبح ويعتم شذره وبعره ودره وآجره وقبله بجانبها السبه وحره تجاورها قعبه وورده حف بها الشوك وبراعة غطى عليها النوك لا يصل الاختيار الى الرطبة حتى يتجرج بالسلى ولا يقول عاشقها هذا المليح قد أقبل حتى يقول قد ولى فما المملوك من جهابذته فكيف وقد تفلس فيه الوزير ولا من صيارفته ونقاده ولو اختاره جرير لاعياه تمييز الوشى من الخشى والوبر من الحرير والمملوك يكمل بمشيئة الله تعالى بقية قراءة حروفه ولكن بين يدى من قرئ بين يديه حرف الالف ليشاهد من مولاه معجز اختياره الذى يجعل المختلف فيه من الشعر المؤتلف اه قلت وقد اختاره الخالديان واختاره المولى جمال الدين محمد بن نباتة (رجع القول الى ذكر الشمس وزحل) قد ذكرت مقدر الشمس وزحل وما فى الشمس من المحاسن والفوائد وبقى ذكر ما فى زحل والمنجمون يزعمون انه نحس أكبر وان له من المعادن الرصاص ومن الالوان الزرقة وهو فى الفلك بمنزلة الفلاح والاكار والذى يثير الارض بالمساحى ويسقى بالدلو ولهم فى ذلك كلام طويل من هذه الاشياء التى تناقض محاسن الشمس وبعد هذا كله فحاضره من ذلك شئ وحسن مع ذلك فى السابع والشمس لها تلك المحاسن وفيها تلك الفوائد وهى فى الرابع دونه بفلكين وذلك صنع فعال لما يريد قادر على ما يشاء ويختار لا تعلل أفعاله لا اله غيره ولا فاعل فى الوجود سواه ولله در المتنبى حيث يقول

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وابن شرف القيروانى حيث يقول

بحيث يهون المرء يكرم ضده * وحيث هبوط الشمس يشرف كيوان

ولابن شرف القيروانى أيضا فى زحل وهو لغز

وشيخ له غرفة نغمة * علت وهو فيها جميع الغرف
يمر ويرجع طول الزمان * فكم مرمرة وانصرف
ويقعد كل مكان حواه * على انه غاية فى الشرف

الشيخ كان أتقى لله من أن يقدم على نبيه بغير حذق فيجرب عليه فأمسك بلال وعجب الناس من حذقه فى هذا التعريض ونظر يوما الى ابن هبيرة وعليه ثياب تتقعقع فقال ان ثيابه لتسبح أراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثيابا لزينة * تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجا الازد فلما قدم يزيد المهلب البصرة قال لابى الجعد وكان صديقا للفرزدق فقال له يوما ماذا يعد وقلك من يزيد أعظم الناس عفوا وأسخاهم كفا فقال صدقت ولكنى أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم الى رجل منهم فيقول هذا الذى هجانا فيضرب عنقى فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى أهل بيتى بديتى فاذا يزيد قد صار أوفى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك لا والله لا أفعل فقال يزيد أما اذ فطن لها فدعه الى لعنة الله وقيل ان هذا كان مراده وسمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الفرزدق فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم لا ينبغى أن يكون هكذا

وأما بيت الطغرائي فأقول انه يصدع الفؤاد ويرض الاكباد لان الدهر مولع برفع الناقص وخفض الكامل وسعد الجاهل وشقاء الفاضل وبؤس الكريم ونعيم اللئيم وعز الشرير وذل الخير الخبير وراحة المتهور وتعب المتحذر

شيم مرت الليالي عليها * والليالي قليلة الانصاف

ومن الكلام النوابغ لاغرو أن يرتفع الجاهل وينحط العالم فقد يتدلى سهيل وتستعلي النعائم والطغرائي اختلس معنى بيته من قول أبي الطيب

ولولم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

لابل أخذه صريحا من أبي الفتح البستي حيث قال

لاتعجبن لدهر ظل في صبب * أشرافه وعلا في أوجه السفل

وانقد لاحكامه أني تقاديه * فالمشتري السعد يعلو فوقه زحل

وما أحسن قول ابن عمار الكوفي

لئن بسط الزمان يدى لئيم * فصبرا للذي فعل الزمان

فقد تعلو على الرأس الذنابى * كما يعلو على النار الدخان

وقال الارجاني

هذا الزمان على مافيه من كدر * حكى انقلاب ليالية بأهليه

غدير ماء تراه ى في أسافله * خيال قوم تمشوا في نواحيه

فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

والارجاني أخذ هذا المعنى من البحتري وحوله ثم تخوله لان البحتري قال

قل للرئيس أبي محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاه

من حول بركتك البهية سادة الـ * علماء والفضلاء والامراء

لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها في الماء

يعني كانوا يقفون على رؤسهم وهو معنى حسن مسئلة ان قال قائل لم كانت الاشياء القائمة على الانهار يرى أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وترى السماء تحتها مع انها فوق فالجواب أن الشعاع الخارج من العين اذا اتصل بجسم صقيل وهو الماء أو غيره لم يثبت عليه لصقالته وزلق عنه الى الجهة المقابلة للرائي ان لم يكن الصقيل امامه بحيث تكون زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس في المساحة من غير زيادة ولا نقص مثاله هكذا

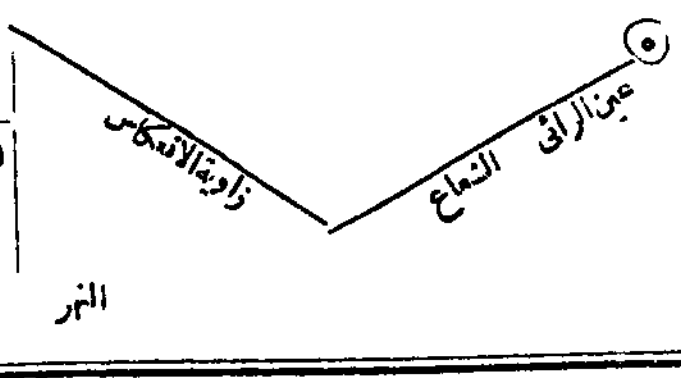

فهاتان

قيل انما قال والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم اخذ نفسه بحفظ القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت وجلا السيول على الطلول كأنها

زبر يجدن متونها أقلامها

فسجد فقيل له ما هذا فقال موضع سجدة في الشعر اعرفه كما تعرفون مواضع السجود في القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته التائية فلما قال

بها ابرص يأسفل اسكتيها

وضع يده على عنفقته وأنشد

كعنفقة الفرزدق حين شابا * فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطانا في الشعر واحد ومر يوما يقوم قد عوه للنزول فقال لماذا قالوا النبيذ وحدي حنذ وشواء لذيذ فقال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة يعني جريرا ثم نزل واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فأمر غلامه ان يجعل في القعب تمرا ويحلب عليه لبنا ويسقيه فلما كرع جعل التمر ينبع من تحت اللبن فشرب وقال يا بني أنت انك ممن تخفى الصدقات وتؤتيها الفقراء وقال ما أخفى أحدا الا بطن من أهل تميم قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم

فهاتان الزاويتان فى السمعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجرى فيه خياله الى الماء فينطبع فيه فكان القائم وقع على سطح الماء والقائم اذا وقع يصير أعلاه أسفله وأسفله أعلاه فلذلك رأينا السماء تحته وكل ماهو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم الماء واقفا كالمرآة رؤى على هيئته فالقائم فى القائم قائم والقائم فى المنبسط منعكس لان موضوع الانطباع أسفل والقائم أتى اليه فكأنه انطبع فيه وهو قائم فاخذه فى نفسه وانبطح والانطباع فى الحقيقة انما هو فى وجه الماء لا فى عمقه وانما الحس لا يمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه فى جوفه فكأنه غرق فى الماء بعد الانبطاح على وجه الماء ولو غرقت الشجرة لكان رأسها أسفل ضرورة أن كل ماهو أعلى من السماء وغيرها يرى أسفل فاعرف ذلك (رجع) قال أبو تمام الطائى

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان مجد ولم يعبأن بالرتم

وأخذه البحترى فقال

ولست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخذات من الرند
ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وأخذه أبو الوليد بن زيدون أيضا فقال

لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر

وقال شمس المعالى قابوس

أما ترى البحر تعلوفوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر
وفى السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

والاول مأخوذ من قول ابن الرومى

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتطفو فوقه جيفه

وقال أيضا

طار قوم بخفة الوزن حتى * لحقوا رفعة بقاب العقاب
ورسا الراجحون من جلة النا * س رسو الجبال ذات الهضاب
لا وماذاك للئام بفخر * لا ولا ذاك للكرام بعاب
هكذا الدر راسخ الوزن رأس * وكذا الدر شائل الوزن هاب
جيف أنتنت فاضحت على اللجة والدر تحتها فى حجاب
وغثاء علا عبابا من الما * ء وغاص المرجان تحت العباب

وأخذه ابن الساعاتى فقال

لا ترفعن علم العلوم بجهل * فعلوحظك أن تخال جهولا
وتعد عن دنيا الدنى وان سما * تحوا الشريف وان أصاب نحولا
فالسيف تكسبه الضرائب رفعة * اما ترى كنا بشفرتيه كلولا
والدر يرسب فى القرار وقد طفا * زبد البحار لا يعد جليلا

قال ان هجوتنى تموت زوجتى
عيشونة قلت لا قال فتموت
حمارتى قلت لا قال فمن رجلى
الى عنقى فى رحم امك قلت
ويلك فلم تركت رأسك قال
حتى أنظر ما تصنع وكان
الفرزدق يقول استراح
النبطى من حيث تعب
الكرام ومن محاسن شعره
قوله

تصرم منى ودبكر بن وائل
وما حلت باقى ودها يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(وقوله)

ان الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول
بيت زوارة محتب بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أين الذين بهم تسامى دارم
امن الى سلمى طهية تجعل
أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا خشنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان أردت بناءنا
تهلان ذا الهضبات لا يتخلخل
انى ارتفعت عليك كل ثنية
وسموت فوق بنى كليب من عل

(وقوله)

ومستنبح طاوى المصير كأنما
يساوره من شدة الجوع أواق
دعوت بحمراء الفروع كأنها
ذرى راية فى جانب الجو تخفق

وانى سفيه النار للمبتغى القرى
وانى حليم الكلب للضيف يطرق

اذا مت فابكينى بما أنا أهله
فكل جميل قلت فى يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى
وقائله مات الندى والفرزدق

كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب وقوله يرثى ابنيه

يذكرنى ابنى الصبا كان موهنا
اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم
وقد رزئ الاقوام قبلى بنيهم
واخوتهم فاقنى حياء الكرائم
ومات أبى والمنذران كلاهما
وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم
وما ابنائك الا من بنى الناس فاعلم

فلم يرجع الموتى حنين الماتم

وقوله فى الفائية التى أولها

عرفت باعشاش وما كدت تعرف
وانكرت من حذواء ما كنت تعرف
اذا اغبر آفاق السماء وكشفت
بيوتا وراء الحى نكباء جريف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه
على سعوات النيب قطن مندف

هذا البيت يروى بالنيب والبيت والنبت وأصح ذلك كله النيب

وأخذه الغزى أيضا فقال

وترفع الاوباش فوقى جائز * أوليس در البحر تحت جفائه
بوقاحة السرحان هان وانما * زاد الهزبر مهابة بحيائه

وما أحسن قول ابن منير يصف النواعير

لنواعيرها على الماء أنحا * ن تهيج الشجى لقلب المشوق
فهى مثل الافلاك شكلا وفعلا * قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين عال خال ينكسه الدهـ * ـر ويعلو بسافل مرزوق

وقال أبو القاسم الباسليسى

لقد كدت سوق الفضائل كلها * وللهزل أحظى فى الزمان من الجد
فلست أرى الاكريما يغرمن * لئيم ولا يشتكى الضيم من عبد

وقال أبو العلاء بن أبى الندى

لاغروأن كان من دونى يفوزبكم * وأننى عنكم بالويل والحرب
يدنى الاراك فيضحى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقى العود فى اللهب

وقال أبو عبيد البكرى

ومازال هذا الدهر يلحن فى الورى * فيرفع مجرورا ويخفض مبتدا

وأنشدنى من لفظه لنفسه عكس هذا المعنى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

زد كل يوم رفعة فى العلى * وليصنع الحاسد ما يصنع
الدهر نحوى كما ينبغى * يدرى الذى يخفض أو يرفع

وقال ابن نقادة

الدهر يرفع مخفوضا ويخفض مر * فوعا من الناس عمدا فهو محمان
فالفضل يحظ والنقصان مرتفع * كما تعاصرفه فى الحكم ميزان

وما أحسن قوله صرفه مع ذكر الميزان والاصل فى المعنى قول ابن الرومى

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل فى الميزان من رجحا

وقال الآخر زائدا عليه

الدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض راجح المقدار
واذا انتحى الانصاف ساوى كونه * فى الوزن بين حديدة ونضار

وقال التهامى

تأمل القدر المحتوم وارض به * فانما وزن الدنيا بميزان
فظل يزداد فيها كل منتقص * علا ويهبط فيها كل رجحان

وقال الخطيرى الوراق

لاغروأن أثرى الجهول على * نقص واعدم كل ذى فهم
ان اليد اليسرى وتفضلها الـ * ـيمنى تفوز بعلم الكم

ومن هذه المادة قول محمد بن شرف القيروانى فى خدمة الحر أصحابه

خادمنا خير ناوأفضلنا * نطرح أعباءنا ويحملها

فنحن يسرى اليدين تخدمها * يمناهما الدهر وهى أفضلها

وقال النور الاسعردى فيمن ندم على مدحه

يمينا مامدحتك من ضلال * ولى فى ذاك عذر للعالى
ولكنى أكل منك نقصا * كما جعل الطراز على الشمال

وقال الحريرى

ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلى دون جميعها للخنصر

وقال الآخر

وان لم أكن أهلا لما قد سألته * فقد عطلوا اليمنى وقد حلوا اليسرى

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز

النذل مفروض له يسره * والحر بالاقتار مرفوض
كذلك المنقوص لم ينخفض * وأكمل الاسماء مخفوض

وقال الوراق الخطيرى

كن ناقصا تشرف الغنى * يحرمه الكامل فى فهمه
فالبدر يحوى من نجوم الدجى * فى النقص ما يعدم فى تمه

وقال قوام الدين أبو طالب

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال
فلولا أن يكون الزيغ طبعا * لما مال الفؤاد الى الشمال

قلت ولهذا علموا الطواف بالكعبة لما كان الطائف يجعل الكعبة المعظمة على يساره قالوا ليجتمع البيتان على جهة واحدة لان القلب بيت الرب والقالب فى الجانب الايسر وسألت الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الانصارى فما الحكمة فى ميل القلب الى الجانب الايسر فقال مقاومة حرارة الكبد التى فى الجانب الايمن بحرارة القلب التى فى الجانب الايسر ولو اجتمعا فى جانب واحد لافرطت الحرارة هناك واستولى البرد على الجانب الذى يقابله فكان البدن مفلوجا بالطبع والحكمة تأبى ذلك قلت فهلا كان الامر بالعكس فيكون الكبد فى الجانب الايسر ويكون القلب فى الجانب الايمن فقال لو كان كذلك لاعتدل البدن فى حالة بالنسبة الى شقيه كما قلت ولكن الحركات تبتدى من جهة اليسار لان الكبد مبدأ توليد الدم الغادى والارواح الحاملة للقوى فكنا نسميه يمينا لان اليمين جهة مبدأ الحركة ولذلك سمت الحكماء جهة المشرق يمين الفلك لابتداء الحركة العظمى فيها قلت فلعل الاعسر انما كان كذلك لان كبده فى الجانب الايسر فقال لا يعد ذلك فى القياس وقال أحمد بن الخازن

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الالف استقام ففاته * نقط وفاز به اعوجاج النون

وعكس المعنى أبو طالب يحيى بن زيادة فقال

ان كنت تسعى للزيادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

ترى جارنا فينا بخير وان جنا
فلا هو مما ينطف الجار ينطف
وكنا اذا نامت كليب عن القرى
الى الضيف نمشى بالغبيط ونلحق
ومنها أيضا وهو أحسن ما قيل فى الفخر ويقال انه غصبه من جميل
ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وانك اذ تسعى لتدرك شأونا
لانت المعنى يا جرير المكلف
(وقوله)
لاخير فى الحب لا ترجى نوافله
فاستطردوا من قريش كل منخدع
تخال فيه اذا خادعته بلها
عن ماله وهو وافى العقل والورع
وقوله يرثى جارية له حاملا
وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة
لوان المنايا أنسأته لياليا
أرباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح للكناية عن الولد ويقولون انها كانت سوداء فانه أبدع فى التشبيه
قوله
وتقول كيف تميل ميلك فى الصبا
وعليك من سمة الحليم وقار

كما عكس المعنى على الشعراء ابن قزل المشد فقال

ان ترقى الى المعالى أولوا الفضـ ـل وساخت تحت الثرى السفهاء
فحباب المدام يعلو على الكا * س محـ ـلا وترسب الاقذاء

وقال آخر في المعاني المتقدمة

لقد قعد الزمان بكل حر * وخص أخا الحماقة باليسار
كما حاد الحباب على يمين * وآلاف الحباب على اليسار

وأخذه الشيخ صدر الدين محمد بن عثمان الوكيل فقال

عقود الحساب كيوم الحساب * فمن قل وقر اسما في المعالى
كذاك اليمين لها ما يقل * وعقد الكثير نصيب الشمال

وقال ابن الخياط

فذا الدهر مطوى على البخل بذله * يعود بمر المذق حين يصرح
يساوى لديه الفضل بالنقص جهله * وسيان للكفوف مسى ومصبح

وقال مجير الدين محمد بن تميم

الدهر عندى لا محالة أحول * واسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وما أحلى قول ابن دلاقس

ان تأخرت فالمحرم عطل * من حلى العبد وهو في شوال

وقال ابن اللبانة

لما تناهيت علما ظل ينقضى * عند الكمال يصيب النير المرر
وفي الغراب اذا فكرت مغربة * من فرط ابصاره يعزى له العور

قلت هذا من عادة العرب في التفاؤل يقولون الغراب أعور لانه الذي يعق للفراق بريدون بذلك ضعف بصره لئلا يهتدى الى تفرق شملهم الملتئم كما عكسوا المعنى في المهلكة فقالوا مفازة وفي الاديم فقالوا سلماط لبما للتفاؤل وفي لغتهم أشياء المراد منها باطنا خلاف الظاهر من ذلك قولهم للشاعر المفلق قاتله الله وللرجل الفارس المجرب لا أب له قال الحريري في درة الغواص وعلى هذا فسر بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم ان استشاره في النكاح عليك بذات الدين تربت يداك والى هذا المعنى أشار الشاعر في قوله

أسب اذا أجدت القول ظلما * كذاك يقال للرجل المجيد

قلت وفسر بعضهم قوله تربت يداك أى صار ما لها مثل التراب وقال آخرون بل المراد لحقت يداك بالتراب من الفقر ومنه أمثال العوام ضرب الارض طلع لوجهه الغبار وقد ضمنت عجز بيت المغراني فقلت

أفدى حبيبا له في كل جارحة * مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وكلفت تضمينه أيضا فيمن يعلوه عبد فقلت مرتجلا

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجل

والشيب ينهض في الشباب كأنه
صبح يصيح بجانبيه نهار

قوله يصيح يعني يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كأنه ينادى على نفسه بالظهور (وهلا عشيت ولم تغتر وما أشبك انك تكون وافد البراجم)

في النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ ولا يصح به المعنى يقال عسيت أن أفعل فلا يصح أن يقول قاربت ان تغتر والكلام يقتضي انه قد اغتر وانما هي عشيت أى رفقت وعشيت الابل وعشيتها اذا أطعمتها عشيا وفي المثل عش ولا تغتر * وأما وافد البراجم فهو رجل من تميم والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم وذلك ان الملك عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بني تميم لثأره عندهم وقد كان آلى ان يحرق منهم مائة فبيناهو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك اتخذ طعاما فعدل اليه فقيل له من أنت قال من البراجم فالقى في النار وقيل ان الشقي وافد البراجم ومن هنا لك عيرت بنو تميم بحب الطعام

وكيف يملوك عبد الدوه قال نعم * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل)

(اللغة) محتال اسم فاعل من الحيلة اذا احتال وتعمد التحيل وضجر اسم فاعل من الضجر وهو القلق من الهم وقد ضجر فهو ضجر ورجل ضجور وأضجرنى فلان فهو مضجر وقوم مضاجر ومضاجير قال اوس

تناهقون اذا خضرت تعالكم * وفى الحفيظة ابرام مضاجير

وضجر البعير كثر رغاؤه قال الشاعر

فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

خفف ضجر ودبرت فى الافعال كما يخفف فخذ فى الاسماء والحادث والحدث والحدثى والحادثة والحدثان كل ذلك بمعنى ما يحدثه الدهر من الامور ويختص ذلك بالشر وذكرت هنا بيتين لى وهما

صبرى الذى اقتسمته غربة ونوى * كأنما لهما فى ذاك ميراث

وكل يوم على ما فيه من هرم * يلقى صروف الليالى وهى أحداث

احداث جمع حدث وهو الشاب وورث بذلك عن الحوادث (رجع) الدهر تقدم الكلام عليه يغنى من الغنى والحيل جمع حيلة وهى الفكرة فى بلوغ القصد بطريق خفى على غيرك كأن الذى يفعل ذلك أفرغ حيلته وقوته فى اعتماده (الاعراب فاصبر) اصبر فعل أمر وقد تقدم الكلام على فعل الامر فى قوله فصبرنا فى ظلام الليل (لها) اللام هنا للتعدية وهى حرف جر والضمير يرجع الى معهود فى النفس لم يذكر وهى المقادير أو الايام أو الحوادث وثم أشياء تذكر مضمرة غير مظهرة كقوله تعالى كل من عليها فان يعنى الارض ولم يجر لها فى اللفظ ذكر وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى أى الروح وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى على ظهر الارض وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر أى القرآن وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب أى الشمس وقوله تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا أى الوادى أو الموضع أو المكان وكذا قولهم ما عليها أكرم منى أى ما على الارض وقول أبى الطيب

وانك رعت الدهر فيها وربه * فان شئت فليحدث بساحتها خطبا

يعنى بالارض (غير محتال) غير منصوب على الحال أى مسلما أمورك الى الله ومحتال مجرور بالاضافة وهى لغظية ما أفادت تعريفا وتقدم الكلام على غير فى قوله غير هياب ولا وكل (ولا ضجر) الواو عاطفة عطفت المنفى على المنفى ولا حرف نفى وضجر اسم فاعل من ضجر يضجر ضجرا فهو ضجر مثل فرح فهو فرح وحزن فهو حزين (فى حادث الدهر) فى هنا ظرفية وحادث مجرور بها والدهر مجرور بالاضافة وهى معنوية بمعنى اللام والجار والمجرور فى موضع رفع لانه خبر تقدم على المبتدا الذى يأتى فيما بعد وجواب الامر محذوف وهو الفاء كأنه قال اصبر فى حادث الدهر ما يغنى وقد يحذف قال الشاعر

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

تقديره فالله يشكرها (ما يغنى) ما هذه نكرة موصوفة بما بعدها وقد تقدم الكلام على ما وتقسيمها كأنه قال شئ مغن ويغنى فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة

وستأتى قصة عمرو ابن هند فى أصل تسميته محرقا وما السبب فى ذلك

(أو ترجع بصحيفة المتلمس)

(صحيفة المتلمس) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع * والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بنى صعصعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة فنزلا منه فى خاصته حتى نادماه فبينما طرفة يوما يشرب معه وفى يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو فرأتها طرفة وقيل انما رأتها فى الاناء فقال الا بانى الظبى الذى تبرق شفاه ولولا الملك القاعد الثمنى فاه فسمعها عمرو فاضغنها عليه وامسكها فى نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجا فرمى عمرو حمارا وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل اليه فعالجه فاعياه فقال عمرو قد عرفت طرفة حيث يقول فيك ولا خير فيه غير انه لغنى وان له كنتحا اذا قام اهضما فقال له عبد عمرو وما هجاك به أشد قال وما هو قال قوله فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تحور فهم بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وان يجتمع

رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف بالياء وهو فى موضع رفع لانه صفة للمبتدا الذى هو نكرة كأنه قال شئ مغن فى حادث الدهر (عن الحيل) عن للتجاوز والحيل مجرور بعن والجار والمجرور متعلق بيغنى والتقدير فاصبر للحوادث مسلما أمورك ففى حادث الدهر شئ يغنيك عن الحيل (المعنى) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان فى حادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلتك وحولك ولو لم يكن فى الصبر الا ما جاء فى القرآن الكريم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان فى ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضى الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وافضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضى الله عنه اى شئ اقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث ابن أسد المحاسبى لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر وكان بن المقفع يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان لك فيه حيلة فلا تجزع وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع وما أحسن قوله تعجز وتجزع وهذا الذى يسمى ذئب البعض وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس كقولك رقيب وقريب وقال بعض العارفين كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو وقال الطحاوى أخبرنا أحمد بن أبى عمران أخبرنا أبو نصر أحمد بن أبى حاتم حدثنا الاصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال استعمل الحجاج أبى على أعماله فتغلب عليه فتوارى عنه فى بادية من قومه وأنا معه فبينا أنا معه فى سحر من الاسحار اذ مر راكب وهو يقول

صبر النفس عند كل ملم * ان فى الصبر حيلة المحتال
لا تضق فى الامور ذرعا فقد يكـ * ـشف عنها الردى بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

قال فقلت ماذا قال مات الحجاج قال فوالله ما أدرى بأيها كنت أشد فرحا بقوله مات الحجاج أم بقوله فرجة اه وقد حكاها بعضهم بزيادة وهو أن الحجاج أنكر على من قرأ الامن اغترف غرفة فقال ان لم تأت على ذلك بدليل والا ضربت عنقك وأجله على ذلك أجلا فجعل يطوف فى احياء العرب حتى وقع بمن أنشده الابيات (رجع) وفى كلام بعض الحكماء القواهر العلوية دائمة الفيض ممنوعة العجب تقتص من الظالم للمظلوم وما أحسن قول بن حجاج

دعها سماوية تجرى على قدر * لا تفسدنها برأى منك أرضى

وقال احمد بن حديس الصقلى

ما أغفل الفيلسوف عن طرق * ليست لاهل العقول منسلكه
من سلم الامر للاله نجا * ومن غدا القصد واقع الهلكه

وقال آخر

اذا ما خطب وأيقنت من * ضعف بان الامر يأتى عسير
ينعكس الامر ويأتى كما * شئت فسبحان اللطيف الخبير

وقال

عليه بكر بن وائل منى قتلهما ظاهرا فقال لهما ويحكما أظنكما قد اشتقتما الى الاهل قالا نعم فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين وقال انى كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين فخرجا من عنده والكتابان فى أيديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفا يقضى حاجته وهو مع ذلك يأكل ويتغلى فقال أحدهما لصاحبه هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقاله فقال ما ترى من عجبى أخرج غنيما وادخل طيبا واقتل عدوا وان أعجب منى من يحمل حتفه بيده وهو لا يدرى فاوجس الملمس فى نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال له نعم فدفع كتابه فقرأه فاذا فيه اذا أتاك الملمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترئ على قومى بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون أعز منه فالقى الملمس صحيفته فى نهر الحيرة وقال

رميت بها ما رأيت مدادها * يحول به التيار فى كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

وقال آخر

الدهر لا ينفك عن حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
فدع الزمان فانه لم يعتمد * لجلاله أحدا ولا لهوانه
كالمزن لم يخصص بنافع صوبه * أفقا ولم يختر أذى طوفانه
لكن لباريه مواطن حكمة * في ظاهر الاضداد من أكوانه

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

دع المنى ربما نيلت بلا طلب * وربما وقع الحرمان في المهن

وقال التهامي

الدهر كالطيف بؤساه وأنعمه * من غير قصد فلا تمدح ولم تلم
لا تسأل الدهر في غماء يكشفها * فلو سألت دوام البؤس لم يدم

وذكرت هنا قول أبي بكر الخوارزمي في الصاحب بن عباد

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى أخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وكان الصاحب قد تلقاه بالرحب والسعة وأكرم نزله فصنع هذين البيتين وتركهما في مكان يجلس فيه الصاحب وسافر من وقته فلما وقف الصاحب عليهما قال

أقول لركب من خراسان اقبلوا * أمات خوارزميكم قيل لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وكان الخوارزمي مولعا بهذا المعنى يردده في شعره فمن ذلك قوله

ما أثقل الدهر على من ركبه * حدثني عنه لسان التجربه
لا تحمد الدهر لشيء سببه * فانه لم يتعمد بالهبه
وانما أخطأ فيك مذهبه * كالسيل اذ يسقي مكانا خربه
والسم يستشفى به من شربه

وهذا كله خلاف قول ابن المعتز

الدهر فيه مساءة ومسرة * فجزاء دهرك أن يذم ويحمدا

وقال أبو الطيب في المعنى الاول

هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى الغربان والرخم

وقال الغزي

لا تشكون من الخمول فربما * كان الخمول الى السلامة سلما
لولا كمون الدر في أصدافه * ومشقة استخراجه ما نخما

وقال أيضا

لا تشك فالايام حبلى ربما * جاءتك من أعجوبة بجنين
فكذا تصاريف الزمان مشقة * في راحة وخشونة في لين
ما ضاع يونس بالعراء مجردا * في ظل نابتة من اليقطين

أطريفة بن العبد انك حائن
أباحة الملك الهمام تمرس
ألق الصحيفة لا أبا لك انه
يخشى عليك من الحياء النقرس

ثم مضى طريفة بكتابه الى صاحب البحرين فقتله فلما سمع المتلمس ما جرى عليه قال

عصاني فما القى رشادا وانما
تبين من أمر الغوى عواقبه
فاصبح محمولا على آلة الردى
تمج بجميع الجرف منها ترائبه
فان لا تحللها يعالوك فوقها
وكيف التوقي ظهر ما أنت راكبه

ثم لحق بالشام وهجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول حرام عليه حب العراق أن يطعمهم منه حبة ولان وجدته لاقتلنه فقال

آليت حب العراق الدهر أطعمه
والحب يأكله في القرية السوس
أغنيت شاتي فأغنوا اليوم تيسكم
واستحمقوا في مراس الحرب أو كيسوا

قال أبو حاتم قرأت هذه الابيات على الاصمعي فصحفت على فقلت اغنيت شاتي فأغنوا اليوم شاتكم فقال الاصمعي قل فأغنوا اليوم تيسكم ومن جيد شعر المتلمس قوله من قصيدة

والاول مأخوذ من قول الاول

والليالي من الزمان حبالى * منقلات يلدن كل عجيب

وقال ابن نباتة السعدي

تربص بيومك مافي غد * فان العواقب قد تعقب
لعل غدا من أخيه حمى * يلم لك الصدع أو يرأب

وقال الطغرائي رحمه الله

رويدك فالهموم لها نتاج * وعن كثب يكون لها انفراج
ألم تر أن طول الليل لما * تناهى حان للصبح انبلاج

وقال أبو فراس بن حمدان

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه
فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك أن تكفى الذي تخشاه

وقال آخر

أبى لي اغضاء الجفون على القذى * يقيني أن لا ضيق الا سيفرج
ألا رب ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الاسنة مخرج

والى هذا أشار ابن سناء الملك في قوله يمدح الملك العادل

يجر جيوشا يركد النقع بينها * فلم يلق من بين الاسنة مخرجا

وقال ابراهيم بن عباس الصولي

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال القاضي شمس الدين احمد بن خلكان في وفيات الاعيان انه ما رددهما من نزلت به نازلة الا فرج الله عنه

وقال آخر

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب امر مسخط * لك في عواقبه الرضا

وقال المعتمد بن عباد

من يحجب الدهر لم يعدم تقلبه * والشوك ينبت فيه الورد والآس
تمر حينا وتحلولي حوادثه * فقلما جرحت الا انثنت تاسو

قلت قد جرحته الليالي ولم تاسه وفقد عند الشدة رهطه وناسه وواقعة المعتمد بن عباد صدعت الاكباد ودكت لها من القلوب اطواد فانه لم يجر على ملك ما جرى عليه ولا ذوى به ولا اصيب احد بصيبته في ملكه وماله ونفسه وبنيه ومارغت الايام له حقوقه ولا أرت المعالي بعد غروبه شروقه ولا عدت ان عدت بنوه الاملاك في السوقه حتى قال أبو بكر بن اللبانة وقد رأى ولده فخر الدولة بن المعتمد وهو في دكان صائغ يعمل صناعة الصياغة

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

وعاد

ألم تر أن المرء رهن منية
صريع لعاق الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتا بها حرا وجلدك املس
وقوله يصف البخل ويمدحه
لحفظ المال خير من بغاة
وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثير مع الفساد
(وقوله)
الى كل قوم سلم يرتقى به
وليس الينا في السلالم مطلع
ويهرب منا كل وحش ويلتمى
الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع
وقوله وهو أحسن ما ورد في المستنبحات
ومستنبح تستكشف الريح ثوبه
ليستطعنه وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه
لينبح كلب أو ليوقظ نوم
بخاؤ به مستسمع الصوت للندى
له عند اتيان المهيبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو أعجم
(أو افعل بك ما فعله عقيل ابن علفة بالجهني اذ جاءه)
(خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل)
هو عقيل بن علفة بن الحرث البربوعي يكنى أبا العمالس وأمه عمرة بنت الحرث بن عوف المري وأمها ابنة بدر ابن حصن بن حذيفة شاعر من

وعاد كونك فى دكان قارعة * من بعدما كنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصياغ أغلة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يدعهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون لها
ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عينى اليك به * لو أن عينى تشكو قبل ذاك عمى
لم فى العلى كوكبا ان لم تلح قمرا * أوقم بها ربوة ان لم تقم علما

وهذه جملة من القصيدة وقد تأخر منها بقية وعلى الجملة ما رأى الناس ولا سمعوا بمثلها ارزية وقد ذكرت واقعته فى كتب الادب والتاريخ وذكرها ابن خلكان وغيره وعمل أبو بكر بن اللبانة جزأ سماه نظم السلوك فى وعظ الملوك قصره على واقعة المعتمد واشعاره فى السجن واشعار أولاده وقال فيه ومن الغريب انه أخرج من سجن أغمات ونودى عليه الصلاة على الغريب ومن نظمه فيه قوله

لم تمت انما المكارم ماتت * لاسقى الله بعدك الارض قطرا

وله فيه قصيدة أولها

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللنى من منا یاهن غايات
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها العلو قد كتمت * سريرة العالم السفلى أغمات

وله فيه قصيدة أخرى اولها

تنشق ريا حين السلام فانما * أفض بها مسكا عليك مختما
وقل لى مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك فى نعمى فقد كنت منعما

ومنها قوله

يخبرك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وله قصيدة أخرى دالية اولها

تبكى السماء بمزن رائح غادى * على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لاعاكف فيها ولاباد
ياضيف اقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويامؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع والوادى
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص ارض بغداد

يريد بحمص هنا حمص المغرب وهى اشبيلية وله فيه من جملة امداحه قصيدة بائية اولها

بكت عند تودیعی فعاعلم الركب * أذالك سقيط الطل ام لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وانى لمخطئ * نجوم الدياجى لا يقال لها سرب

شعراء الدولة الاموية وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والحرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف فى قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى أن له كفؤا وكانت قريش ترغب فى مصاهرته وتزوج اليه من حلفائها وأشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فاطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فخنيثى هجناء فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه على ضآلته وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو أمير المدينة فقال له عثمان زوجنى بعض بناتك فقال أبكرة من ابلى تعنى فقال له عثمان أمجنون أنت قال أى شئ قلت لى قال قلت لك زوجنى ابنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلى فنعم فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

لحى الله دهرا دعع المال كله

وسود أبناء الاماء الفوارك

وكان له جار جهنى فخطب اليه ابنته فغضب عقيل وأخذ الجهنى فكتفه ودهن استه بشحم أو بزيت وأدناه من قرية النمل فاكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال أيخطب الى عبد الملك بن

ومنها سالت اخاه البحر عنه فقال لى * شقيتى الا انه البارد العذب
لنا د يمتاماه ومال فديمتى * تماسك احيانا وديمته سكب
اذا نشات بريه فله النسدى * وان نشأت بحرية فلى السحب

وكتب اليه يودعه وهو فى سجن اغمات من ابيات

رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وقال المعتمد وهو فى سجن اغمات من ابيات

مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح عنه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور

فاجابه ابن حديس الصقلى بابيات منها

تجىء خلافا للأمور أمور * ويعدل دهر فى الورى ويجور
أتيأس من يوم يناقض أمسه * وشهب الدرارى فى البروج تدور
وقد تنتحى الاملاك بعد خمولها * ويخرج من بعد الخسوف بدور

وما أحسن قول القائل

لاتجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله فى أعطافها ألطاف

البيت الاول فيه اشارة الى قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الامام فخر الدين قال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فان يغلب عسر يسرين وروى مقاتل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفى تقرير هذا المعنى وجهان قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هنا معهود سابق فيصرف الى الجنسية فيكون المراد بالعسر فى اللفظتين واحدا وأما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان أحدهما غير الآخر وزيف الجرجانى هذا وقال اذا قال قائل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية الوجه الثانى أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما قرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما يكون المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد والمراد يسر الدنيا وهو ما تيسر من افتتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فالمراد من قوله ان يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالنزر القليل اه وبالجملة فالله تعالى قد أمر بالصبر وحث عليه ووعد بالعقبى لمن صبر والسنة ملأى من ذلك والعقلاء أجمعوا على ملازمته وهو شعار الانبياء والصديقين والشهداء ولكن فيه مشقة وألم وطول أمد قال الشاعر

مروان وارده وتجترئ أنت
على ان تخطب الى * ومما
حكى عنه انه خرج هو وابناه
جثامة وعلس وأختهما
المسماة بالحوراء حتى أتوا
ابنة لهنا كحانى بنى مروان
بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا
ببعض الطريق قال عقيل
قضت وطرا من دير سعد
وطالما
على عرض ناطعته بالجماجم
ثم قال أجز يا جثامة فقال
وأصبحن بالموماة يحملن فتية
نشاوى من الادلاج ميل العمائم
ثم قال أجز يا علس فقال
اذا علم غادرنه بتنوفة
تدار عسن بالايدى لآخر
طاسم
ثم قال يا حوراء أجيزى فقالت
كأن الكرى أسقاهم صرخدية
تدب دبيبا فى المطا والقوائم
فقال عقيل شربتها ورب
الكعبة ثم شد عليها بالسيف
ليقتلها فقال أخوها ما ذنبها
انما أجازت شعرا فشد عليه
فخدشه أحدهم بسهم فوقع
يتعك فى دمه ويقول
ان بنى ضرجونى بالدم
من يلق أبطال الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم
الشنشنة السجية وأخزم
فحل منجب لرجل من العرب
وقيل أخزم جد حاتم الطائى
ثم توجه ولده الى الطريق

ما أحسن الصبر ولكنه * في ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضي الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة * وما ضمنوا تبليغ عاقبة الصبر
وفي الصبر روح أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة في عمري

ونقلت من خط السراج الوراق له

وقائل قال لي لما رأى قلقي * لطول وعد وآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخزينا

وقال أبو الحسين الجزار

عدم الصبر فهو يظهر ما يلـ * ـقاه بعد الجحود والكتمان
وعناد الاقدار لا ينفع المر * ء ولكن ما الصبر في الامكان

وما أحسن قول ابن شرف القيرواني

وحسن صبري فلا يغرنك عن ضرر * مثل الملاحة في أجفان ذي السبل

وقال أبو الوليد بن زيدون

أمقتولة الاجفان مالك والها * ألم ترك الايام نجما هوى قلي
أقلي البكا اذ لست أول حرة * عطوت بالاسى كشحا على مضض الثكل
وفي أم موسى عبرة اذ رمت به * الى اليم في التابوت فاعتبري واسلي
ولله فينا علم غيب وحسبنا * به عند جور الدهر من حكم عدل

وقال الحسين القاضي الاشرف أحمد بن القاضي الفاضل

تصبر للعواقب واحتسبها * فأنت من العواقب في اثنتين
تريحك بالمنى أو بالمنايا * فان الموت احدى الراحتين

وقال ابن رشيق

ما أنت يا دهـ ـر بالاهـ ـوال تفجعنا * الا كمن يقرع الجلمود بالخزف
ان كنت أنت لسيف الغدر منتضيا * فاني من جميل الصبر في زعف

وقال أبو المظفر محمد بن اسمعيل الابيوردي

تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وان الحادثات تهون
فيا ليتني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

وقال أبو الفتح البستي

من جعل الصبر في مقاصده * وفي مراقيه سلما سلما
والصبر عون الفتى وناصره * وقل من عنه نذمان ما ندما
كم صدمة للزمان منكرة * لما رأى الصبر صدما صدما
فاصبر فان الزمان عن كثب * يأسو على الرغم كلما كلما

قلت وفي هذه الابيات الجناس الذي يسميه أرباب البديع جناس التحريف ونقلت من كتاب أجناس التجنيس تصنيف أبي الوفا صادق بن كامل وهو بخطه قصيدة له كانت غير منقوطة ولا مضبوطة وهي

فلما مروا بابني القين قالوا لهم هل لكم في جزور أنكسر قالوا نعم قالوا الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى عقيل فاحتملوه وعالجوه الى أن برئ ولحق بهم وقد روى الحكاية على غير هذا الوجه وان المخدوش بعض ولده والذي عليه أكثر الرواة هذه وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عاتب رجلا من قريش أمه أخت عقيل ابن علفة فقال له قبحك الله لقد أشبهت خالك في الجفاء فبلغت عقيلا فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له أما وجدت لابن عمك شيأ تعيره به الا خؤلتي قبح الله شركما خالا فقال عمر انك لأعرابي جاف أما لو كنت تقدمت الينا لأدبتك والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيأ قال بلى اني لاقرأ ثم قرأ انا بعثنا نوحا فقال له عمر لم أقل انك لم تقرأ فقال لم أقرأ فقال ان الله تعالى قال انا ارسلنا نوحا فقال عقيل خذوا بطن هرشى أو قفاها فانه كلاجانبي هرشى لهن طريق فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون منه وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل

أدر أدر كاس السرور فـفي الربى * حدائق للاحداق من زهر زهر
وعد وعد أيام التصابي فانها * كاضغاث أحلام ومن سفر سفر
ودرودر كالحيا تديرها * تغور بها يفتر عن بدر بدر
الى م الام اليوم في جهم فقل * ودع أن ينال العقل من خمر خمر
أقل أقل ياقلب من لوعة الهوى * ففيه لقلب الصب من قر قر
وصل وصل واعتدوا عتد تسليا * فيغنيك في السلوان عن خبر خبر
ملاذ ملاذ المرء في الدهر أن يرى * له ثروة تغني ومن قدر قدر
فوات فوات القصد في العمر واقصد التقى وقد وافاك من عمر عمر
يمين يمين الظن الا بوعدها * وخلق له ماخط من بشر بشر
وعرف وعرف في سناء وفي سنا * توالى بها منه على صدر صدر
كأن كان للدنيا وللدين سيفه * يحط به عن كل ذي وزر وزر
وعيد وعيد منه في السخط والرضى * ولا مانع منه لدى حذر حذر
أكف أكف الشر في حومة الوغى * فليس لها في الحرب في ظفر ظفر
معين معين صارف متصرف * اليه بما في الدهر من فقر فقر
وقد وقد أعيى الردى الناس سيره * وجرعه منه جنى صبر صبر
أبى أبى الا الصفاح تكرما * بعلم وألهته عن السمر السمر
وجود وجود للمنايا وللمنى * وجد ووجد فيه من ذكر ذكر

(رجع) قال الشاعر وهو أرق ما يكون

ومصبر للصب قلت له وهل * صبر لمن عنه الحبيب يغيب
والله ان الشهد بعد فراقهم * ما للذلي فالصبر كيف يطيب

وقال آخر

لاتخف للخطوب في كل وقت * لاولا تخشها اذا هي حلت
فحقيق دوامها ليس يبقى * كثرت في الزمان أو هي قلت
وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

وقال آخر

اذا بلغ الحوادث منتهاها * فرج يقربها الفرج المطلا
فكم خطب تولى اذا توالى * وكم كرب تجلى حين جلا

وقال آخر

اصبر اذا نائبة حلت * فهي سواء والتي ولت
واستنبض العزم فليس الظبا * تبرى وتفرى كالتي كلت

وقال القاضي الفاضل

لاتلن للخطوب واصلب فلن لا * ن توالى عليه قرع الخطوب
ان ضرب الحديد ما كان الا * حين أبدى ليناً لحر اللهيب

وقال آخر

يضرب برجليه فضحكوا منه فقال ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل عنده وكان أميرا على المدينة انهم يضحكون من خفيك وضربك برجليك وجفائك فقال لا ولكنهم يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفي وحكي أن يحيى ابن الحكم حين خطب ابنة عقيل بعث اليها جارية من عنده لتنظر اليها فغمزت الجارية عضدها فرفعت يدها فدقت أنف الجارية فرجعت الى يحيي وقالت بعثتني الى أعرابية مجنونة فصنعت بي ماترى فلما اتصلت بيحيي قال لها مالك مع الخادم فقالت أردت أن يكون نظرك الي قبل كل ناظر فان كان حسنا كنت أول من تراه وان كان قبيحا كنت أولى من وراه وبهاتين الخصلتين يستشهد في التجنيس لقولها أول وأولى ورآه ووراه ومن جيد شعر عقيل يرثي ولده علقمة يقول

لعمري لقد جاءت قوافل أخبرت
بامر من الدنيا على ثقيل
لتسع المنايا حيث شاءت فانها
محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة
فحل الموالي بعده بسبيل
كأن المنايا تنتقي من خيارنا
لها تارة أو تهتدي بدليل

اذا حل بك الامر * فكن بالصبر لواذا
والا فاتك الاجر * فلا هذا ولا هذا

وما أحسن قول بعضهم

كل آت آت وشيكا وذو الجهل معنى والهم والحزن فضل

وقال مسلم بن الوليد

وقالت لتربيها اسلاه أعاتب * فنعتبه أم صارم متجنب
واني لما بالوصل لاهي أيم * ولا أنا عن قصد المحجة أنكب
لعلك أن تمسي بفرقة صاحب * وتستعتب الايام فيك فتعتب

وقال آخر في هذه المادة

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

وقال آخر أيضا

لعلي منية ياهند أرجو نيلها * في بعلك الوغد الدني الصاحب
اما طلاق بين اومية * تجتاحه فأكون أول خاطب

ويقال ان الرشيد أراد ان يبتاع عنانا جارية انا طي من مولاها في حياته فاشتط عليه في الثمن وقال لا أبيعها الا بمائة ألف دينار فلما بيعت بعد موت انا طي اشتراها الرشيد بخمسين الف درهم فلما صارت اليه قال كيف رأيت ظفرنا بك وابتياعنا اياك ببعض ما قال مولاك فقالت يا أمير المؤمنين اذا كان الخليفة يتربص بشهواته المواريث بلغ ما يريد ببعض ما اشترائي فاخجلته وقال آخر

لا أقول الله يظلمني * كيف أشكو غير متهم
قنعت روحي بما رزقت * وتمطت في العلى هممي
ولبست الصبر سابغة * فهي من فرقي الى قدمي

قلت ما أحسن استعارة التمطي للهمم هنا وكذلك قول الشاعر في وصف مصلوب

كانه عاشق قد مد ساعده * يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

وعلى ذكر المصلوبين فما أحسن قول ابن حديس

ومرتفع في الجذع ان حط قدره * أساء اليه ظالم وهو محسن
كذي غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن
وتحسبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حور الاتراهن أعين

وقال عمر الخياط

انظر اليه كانه متظلم * في جذعه لحظ السماء بطرفه
بسط اليدين كانه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه

وقال بعضهم من عمارة اليمني يصلوب فقال يصفه

ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

وقوله أيضا يحرض قومه وذلك بسبب جارلهم

أتاها هلكت فلم آتكم
فابلغ أماثل سهم رسولا
أذل الحياة وذل الممات
وكلا أراه وخيما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما
فسيروا الى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة
كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز في نسبه فامتنع

لعمري لئن زوجت من أجل ماله
هجينا لقد جبت الى الدراهم
أبى لي ان أرضى الدنية انني
أمد عنانا لم تخنه الشكائم
(ومتى كثر تلاقينا واتصل
تراثينا
فيدعوني اليك مادعا ابنة الخس)
الى عبدها من طول السواد
وقرب الوساد

(ابنة الخس) هذه هي هند بنت الخس والخس والخسف الايادي حكى ذلك الشريف الرضي قديمة في الجاهلية أدركت القلمس أحد حكام العرب الذي يقال انه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة وتحاكمت هي وأختها جمعة اليه في كلام لهما ومدحته بأبيات حسنة منها

اذا الله جازى محسنا بوفائه
فجازاك عني ياقلمس بالكرم
وبعض الرواة يزعم انها
أقامت في زمن النعمان
عند هند ابنته ويستشهد
على ذلك بقول الفرزدق
وفيت بعهد كان منك تكرما
كما لابنة الخس الايادي وفت
هند
وليس الامر كذلك وانما
مراد الفرزدق أن هندا هي
التي وفت لاختها جمعة ابنة
الخس لانها هند ابنة
النعمان وكانت ابنة الخس
قد زنت بعبد لها
فليمت وقيل لها ما حملك
على الزنا فقالت قرب الوساد
وطول السواد والسواد
السرار يقال ساودته اذا
سارررته وفي الحديث السواد
من السحور والحق بعض
الرواة في قولها وحب الفساد
لان أباها كان قد منعها
من الزواج * ولها أسجاع
كثيرة وشعر قليل وكانت
تحاجي الرجال الى أن مر بها
رجل فسألته الحاجة
فقال لها كاد فقالت كاد
العروس يكون أميرا فقال
كاد فقالت كاد المتمثل يكون
راكبا فقال كاد فقالت كاد
البخيل يكون كلبا وانصرف
فقالت له أحاجيك فقال
قولي فقالت عجبت فقال
عجبت للسبخة لا يجف ثراها

قال فلم يمض ثلاثة أيام حتى رأيته مصلوبا مع جماعة بين القصرين وقال بعضهم عبرت بين القصرين وأنا عائد من دار السلطان صلاح الدين عشية النهار الذي صلب فيه عمارة فشاهدته مصلوبا فذكرت أبياتا عملها في الصالح وهي

اذا قدرت على العلياء بالغلب * فلا تعرج على سعي ولا طلب
ولا ترقن لي من كربة عظمت * فان قلبي مخلوق من الكرب
واستخبر الهول كم انست وحشته * وكم وهبت له روحي ولم أهب

قلت هذا نجم الدين عمارة اليمني كان فقيها أديبا شاعرا شافعي المذهب من أهل السنة المتعصبين لها في دولة الفاطميين الى مصر وصاحبها يومئذ الفائز بن الظاهر والوزير الصالح ابن رزيك فكان عنده في أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ما بينهما من الاختلاف في العقيدة ثم رحل الى اليمن ثم عاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين رحمه الله ورثى أهل القصرين بقصيدته اللامية التي أولها

رميت يا دهر كف الجد بالشلل * ورعته بعد حسن الحلي بالعطل

ومنها

قدمت مصر فألفيتني خللا * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * تمامها انها جاءت ولم أسل
ياعاذلي في هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي * عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * بنسل آل أمير المؤمنين علي
هل كان في الامر شيء غير قسمة ما * ملكتم بين حكم السبي والنفل

وهي طويلة في غاية الحسن مثبتة في الجزء السابع من التذكرة فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه وقيل انه استفتى عليه في قوله في قصيدته المليحة

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الامم

فأفتى العلماء بقتله قلت لان هذا الكلام هو رأي الفلاسفة في النبوات وانها بالتكسب وهي احدى المسائل التي كفروا بها والصحيح ان الله يجتبي من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء صلوات الله عليهم عند مشعور بأنه يكون فيما بعد نبيا ولو كان كذلك لما أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ورود الوحي عليه ولاحم وجاء الى أهله وقال زملوني زملوني وأرى أنا ان هذم مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه في تلك القصيدة وأغروا به السلطان وقالوا هذا متعصب للمصريين ويريد اعادة الدولة لهم وضموه مع القاضي العويرس وأولئك السبعة الذين صلبوا وما يبعد أن القاضي الفاضل تمالأ عليه واختار هلاكه لانه لما استشاره صلاح الدين في ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال الملوك اذا أرادوا شيئا فعلوه ونهض فأمر بصلبه مع الجماعة فلما أمسكوه قال مروا بي على باب القاضي الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل وأغلق الباب فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

وذكر القاضي جمال الدين بن واصل في مفرج الكروب ان القاضي العويرس رأى في منامه المسيح عليه السلام وهو مظل عليه من السماء فقال له الصليب حق قال نعم فقصه على العابر

فقال له أنت تصلب قال لاى معنى قال لان المسيح لم يصلب وقد قال وهو صادق انه حق فما بقى الصلب الا فى حقك فصلب بعد أيام أو كما قال وأما القصيدة التى رثى بها أبو الحسن محمد بن يعقوب الانبارى الوزير بن بقية فما احدث لها ولم يكن الا أولها الكفى به حسنا وهو

علو فى الحياة وفى الممات * لحق انت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيها خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا * كذلك يا اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة

وهى مشهورة فلا فائدة فى اثباتها ويقال ان الشاعر كتب بها نسخا ورماها فى شوارع بغداد الى أن تداولها الناس وبلغت عضد الدولة بن بويه فتمنى أنه المصلوب ولم يزل مصلوبا الى أن توفى عضد الدولة فانزل ودفن وقيل ان بعض المغفلين وقف على قاص وهو يذكر ضغطة القبر ويبالغ فى هولها فقال يا قوم كم لنا فى الصلب من الفرج العظيم ونحن لا ندرى فقال مغفل آخر الى جنبه فانا نطلب الصلب منه (ذكر جماعة من أعيان المصلوبين) أول مصلوب صلب فى الاسلام عقبة بن أبى معيط قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق الظبية منصرفه من بدر وأمر بصلبه ومنهم خبيب بن عدى وابن الدثنة الانصاريان أسرتهما هذيل يوم الرجيع ولهما حديث طويل فصلبوهما بالتنعيم وخبيب هذا أول من سن الركعتين قبل القتل وعقبة بن هيثم بن هلال النميرى صلبه خالد بن الوليد وهانئ بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل بن أبى طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوسا وقال لا أنزله حتى تشفع فيه أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلم تتكلم فيه فيقال انه بقى سنة حتى مرت به بعد ذلك فقالت أما آن لراكب هذه المطية أن ينزل فأنزل فيقال انه لما أتى اليها بأشلائه وضعتها فى حجرها فحاضت وجرى اللبن فى ثديها فقالت حنت اليه مواضعه ودرت عليه مراضعه ومنهم يزيد بن المهلب بن أبى صفرة صلبه مسلمة ابن عبد الملك بحسر بابل وعلق معه خنزيرا وسمكة وزق خمر وزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم صلبه يوسف بن عمر فى خلافة هشام وبقى معلقا أربعة أعوام ثم أنزل وأحرق ولا حول ولا قوة الا بالله ويحيى بن زيد بن على المذكور صلب فى أيام الوليد بن يزيد بالجوزجان ولم يزل مصلوبا حتى جاء أبو مسلم الخراسانى فأنزله ووارا ه وصلى عليه وأخذ كل من خرج الى قتاله بعد ان تصفح الديوان فقتل كل من كان فى جيشه الا من أعجزه وسود أهل خراسان ثيابهم اذ ذاك فصار شعارا لبنى العباس وأمر باقامة المأتم عليه ببلخ ومرو سبعة أيام وناح عليه النساء وكل من ولد فى تلك السنة من أولاد الاعيان سموه يحيى وخالد بن عبد الله القسرى صلبه مروان الحمار على باب القواديس بدمشق وجعفر بن يحيى البرمكى صلبه هرون الرشيد وقطعه ثلاث قطع ثم أحرقه (رجع) الى ذكر التمطى وما ألطف ما استعمل ابن سناء الملك التمطى فى قوله

ياهذه لا تستحى * منى فقد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تثا * ب فان ايرى قد تمطى

ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت لحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وتركت المحاجاة * ومن أسجاعها قيل لها أى الخيل أحب اليك قالت ذو المعية الضنيع السليط التليع الأبد الضليع الملهب السريع فقيل لها أى الغيوث أحب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الاضخم المؤتلق الصحب المنبثق فقيل لها أى الابور أحب اليك فقالت الذى اذا حفر حفر واذا أخطأ قشر واذا خرج عقر وقيل لها ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن قالت قرية لا حى لها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى من كانت له ولا يوجد قيل فما مائة من الحمر قالت عارية الليل وخزى الجلاس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدنى وان ترك ولى وقيل لها من أعظم الناس فى عينك قالت من كانت لى اليه حاجة ومن شعرها

واستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات قال ابن جبارة أنشدنى ابن سناء الملك هذا وزاد فى الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزأ من البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى فوجدت فيه أن بغداديه قالت لاخرى أخرجت يوم العيد قالت لها أنى وحيالك قالت فما رأيت قالت أحراجا تتثاءب وأبوارا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عثرت على الكنز الذى انتهيته وحكيت له الحكاية فقال سيدنا يفتش عن أمرى ومما اتفق لى نظمه فى الصبر أن قلت

اذا أنشب الدهر ظفرا ونابا * وصال على الحر منا ونابا
صبرنا ولم نشك احداثه * لانا نعاف التشكى ونابى

وقلت أيضا

لو يعلم الدهر منى ان مصطبرى * يغتال صرف الليالى ثم يفترس
كانت جياد الرزايا كلما اطردت * تحوم حول ربوعى ثم تنعكس

وقلت أيضا

بالله لا تأس على فائت * مضى ولا تيأس من اللطف
فقد يجئ الدهر مع قسوة * فيه بوقت ابن العطف

وقلت أيضا

ما أبصر الناس صبرى * على عنائى وكربى
الصمت دأب لسانى * وقد تكلم قلبى

وقلت أيضا

لزمت بيتى مثل ما قيل لى * ولم أعاند حادث الدهر
وليس لى درع يرد الردى * استغفر الله سوى صبرى
علما بأن البؤس رهن الرخا * وغاية العسر الى اليسر
فقد يسل السيف من غمده * ويخرج الدر من البحر
وتبرز الصهباء من دنها * ويرجع النور الى البدر

وقلت أيضا

قد أنزل الدهر حظى بالحضيض الى * ان اغتديت بما ألقاه منه لقا
يضوع عرف اصطبارى اذ يضيعنى * والعود يزداد طيبا كلما احترقا

(اعدى عدوك ادنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل)

(اللغة) أعدى افعل تفضيل من العداوة العدو ضد الولى وجمعه أعداء وهو عدو بين العداوة والمعاداة والانثى عدوة وفعول اذا كان فى تأويل فاعل كان مؤنثه بغير هاء نحو رجل صبور وامرأة صبور الا حرفا واحدا جاء نادرا قالوا هذه عدوة الله قال الفراء انما أدخلوا فيها الهاء تشبيها بصديقة لان الشئ قد يبنى على ضده أدنى هنا أقرب وثقت به بالكسر اذا ائتمنته والميثاق العهد صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها والموثق والميثاق والوثيق الشئ المحكم حاذر أمر من المحاذرة وهى التحرز ويقال الحذر رجل حذر وحذرون وحذارى وأنشد سيبويه فى تعدية حذر

أنم كنصل السيف جعد مرجل
شغفت به لو كان شئ مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه
وبين أبى لاخترت أن لا أباليا
(وهل فقدت الاراقم فأنكح فى جنب)

(الاراقم) حى من تغلب (وجنب) حى من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر لهم لهل التغلبى وقد تقدم ذكره كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من أجل حرب البسوس فنزل فى طريقه على حى من اليمن فخطبوا اليه ابنته فابى فساقوا المهر وهو جلود من أدم وغصبوه على الزواج فقال

أعزز على تغلب بما لقيت
أخت بنى الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم من
جنب وكان الحباء من أدم
لوبا بانين جاء خاطبها
رمل ما أيف خاطب بدم
(أو عضلنى همام بن مرة
فاقول زوج من عود خير من
قعود)

(عضل) الولى المرأة اذا منعها من النكاح والعضل المنع الشديد مأخوذ من عضل اللحم (وزوج من عود خير من قعود) قول احدى بنات همام بن مرة ابن ثعلبة كان له أربع بنات وكن يخطبن اليه فيعرض ذلك عليهن

حذر أمورا لا تخاف وآمن * ما ليس منجيه من الاقدار

وهو نادر لان النعت اذا جاء على فعل لا يتعدى واصحبهم أمر من المصاحبة وهى المعاشرة على دخل الدخل المكر والخديعة قال الله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم (الاعراب أعدى) أفعل تفضيل من العداوة وهذه الصيغة لا تبنى الا مما يجوز أن يبنى منه فعل التعجب وله شروط ذكرت هناك فى شرح قوله أعال النفس بالآمال البيت فلا يبنى أفعل تفضيل الا من ثلاثى ليس بلون ولا عاهة فلا تقل هذا أحمر من ذا ولا هذا أعور من ذا بل هذا أشد عورا وأحسن حمرة فان قلت قوله تعالى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا وقول أبى الطيب

أبعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت أسود فى عينى من الظلم

قلت أجابوا عن الآية بأنه مأخوذ من عمى البصيرة لا عمى البصر فليس بعاهة وعن البيت بأن أسود فاعل وليس بأفعل تفضيل فهو أسود الذى مؤنثه سوداء ومن الظلم صفة له غير متصل به اتصال من فى قولك زيد خير من عمرو وبقية الشروط المذكورة فى أفعل التفضيل مذكورة فى فعل التعجب فى ذلك البيت المذكور قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأفعل التفضيل يأتى فى الكلام على ثلاثة أضرب مضافا ومعرفا بالالف واللام ومجردا من الاضافة وأداة التعريف فان جرد منهما لزم اتصاله بمن جارة للمفضل عليه كقوله زيد أكرم من عمرو وقد يستغنى بتقدير من عن ذكرها ويكثر ذلك اذا كان أفعل التفضيل خبرا كقوله تعالى والآخرة خير وأبقى ويقل اذا كان صفة أو حالا كقول الراجز * تروحى أجدر ان تقيلى * أى تروحى وائتى مكانا أجدر أن تقيلى فيه من غيره وان كان أفعل مضافا فنحو زيد أفضل القوم أو معرفا فنحو زيد الافضل لم يجز اتصاله بمن فأما قوله

ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر

ففيه ثلاثة أوجه احدها ان من ليست لابتداء الغاية بل لبيان الجنس كما فى قولهم أنت منهم الفارس الشجاع أى من بينهم الثانى انها متعلقة بمحذوف دل عليه المذكور الثالث ان الالف واللام زائدتان فلم يمنعا من وجود من كما لم يمنعا من الاضافة فى قوله

تولى الضجيع اذا تنبه موهنا * كالاقحوان من الرشاش المستقى

قال أبو على أراد رشاش المستقى اه قلت اذا تقرر هذا فى أفعل التفضيل فقوله أعدى عدوك ليس مبنيا من ثلاثى اذ الفعل منه عاداه فهو رباعى لا يبنى منه أفعل التفضيل فلا يقال هو أعدى عدو ولا أصدق صديق من المصادقة أما من الصدق فنعم ولهذا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وما بقى فيه الا أن يقال هو على لغة من قال هو أعطاهم للدرهم وأولاهم للمعروف (وجمع) اعدى مرفوع بالابتداء ولم يظهر الرفع لانه مقصور (عدوك) مجرور بالاضافة الى ما قبله والكاف ضمير المخاطب فهى فى موضع جر بالاضافة أيضا الى عدو (أدنى) أفعل تفضيل آخر من الدنو وهو القرب من دنا يدنو فأصله ثلاثى بخلاف الاول وهو مرفوع لانه خبر المبتدا المتقدم ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور فالضمة مقدرة (من) هذه فى موضع جر لانها مضافة الى أدنى وهى نكرة موصوفة والتقدير أدنى رجل أو أدنى صاحب موثوق به (وثقت) فعل ماض والتاء ضمير المخاطب فهى فاعلة الفعل وموضعها الرفع (به) جار ومجرور والباء للتعدية وهذه الجملة فى موضع جر صفة لمن (فحاذر)

فيستحيين فلا يزوجهن وكانت أمهن تقول له زوجهن فلا يفعل فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقال تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

ألا ليت زوجى من أناس ذوى غنى
حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كأنه
خليفة جان لا يبيت على وتر

فقال لها أنت تجبين رجلا ليس من قومك ثم قالت الثانية وهى الوسطى * الا هل أراها ثم ضجيعها
أشم كنصل السيف غير مهند
لصوق بأكباد النساء وربما
اذا ما انتمى من أهل بيتى ومحتدى

فقالت الثالثة

ألا ليته يعلى الجفان بديهة
له جفنة يسقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة
تشين فلا الفانى ولا الضرع الغمر

فقال لها أنت تجبين رجلا شريفا قال وقال للرابعة وهى الصغرى تمنى فقالت زوج من عود خير من قعود فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم اجتمعن عنده فقالت الكبرى يا أبت سل

الفاء للتعقيب وحاذر فعل أمر وهو والفاعله من الحذر والامر مبنى على السكون وانما تحركت هنا لالتقاء الساكنين وهما الراء واللام و(الناس) مفعول به والفاعل ضمير استتر فى فعل الامر والتقدير فحاذر أنت الناس (واصحبهم) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر والهاء والميم ضمير يرجع الى الناس وهو فى موضع نصب لانه مفعول به لاصحب (على دخل) جار ومجرور على للاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال أى واصحبهم مخادعا (المعنى) اشد الناس عداوة لك أقرب رجل وثقت به فخذ حذرك من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه أشد لك عداوة من كل عدو وقرأت على الشيخ الامام العلامة الحجة الحافظ القدوة جمال الدين ابى الحجاج يوسف المزنى بدمشق اخبرنا المشايخ الثلاثة فخر الدين ابو الحسن على بن البخارى وكمال الدين ابو محمد عبد الرحيم ابن عبد الملك المقدسيان بدمشق وكمال الدين أبو العباس احمد بن محمد بن عبد القاهر النصيبى بحلب قال المقدسيان اخبرنا ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندى وقال ابن النصيبى اخبرنا افتخار الدين الهاشمى بحلب سنة اثنتى عشرة وستمائة اخبرنا ابو شجاع عمر ابن محمد البسطامى وابو الفتح عبد الرشيد بن النعمان الولوالجى وابو حفص عمر بن على الكرابيسى وابو على الحسين بن بشير النقاش قالوا اخبرنا ابو القاسم احمد بن ابى منصور محمد ابن عبد الله الزيادالخليلى قال حدثنا أبو القاسم على بن احمد بن محمد بن عبد الله الخزاعى البخارى المعروف بابن المراغى سنة ثمان واربعمائة قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى الاديب ببخارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الحافظ الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جميع بن عمرو بن عبد الرحمن العجلى قال اخبرنا رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة يكنى اباعبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال سألت خالى هند بن ابى هالة وكان وصافا عن حلية النبى صلى الله عليه وسلم وانا اشتهى ان يصف لى شيأ منها فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث بطوله قال الحسن فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه وفى الحديث طول اه وعن ربيعة بن ماجد قيل لمعاوية بن ابى سفيان ما بلغ من عقلك قال ما وثقت باحد قط قلت نعم الحزم سوء الظن بالناس وقيل

من احسن الظن باعدائه * تجرع الهم بلا كاس

ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت من احسن الظن باحبابه ولا اقول باعدائه ولله در القائل

جزى الله خيرا كل من ليس بيننا * ولا بينه ودولا متعرف

فما انا فى ضيم ولا مسنى اذى * من الناس الا من فتى كنت اعرف

ويقال ان رجلا كان على عهد كسرى يقول من يشترى ثلاث كلمات بالف دينار فيطلب منه الى أن اتصل بكسرى فاحضره وساله عنها فقال ليس فى الناس كلهم خير فقال صدقت ثم ماذا قال ولا بد منهم فقال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت

عنا قال يا بنية ما ما لكم قالت الابل قال كيف تجدونها قالت خير مال نأكل نجمانها مرعا ونشرب البانها جرعا وتحملنا وضيفنا معا قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم خليله ويعطى الوسيله قال مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية ما ما لكم قالت البقر قال كيف تجدونها قالت خير مال نألف الفناء ونملأ الاناء وتولدك السقاء ونساء مع نساء قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال حظيت ورضيت ثم قال للثالثة ما ما لكم قالت المعز قال فكيف تجدونها قالت لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال جدوى مغنية قال فكيف تجدين زوجك قالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر ثم قال للرابعة يا بنية ما ما لكم قالت الضأن قال فكيف تجدونها قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن قال فكيف تجدين زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرؤ بعض بزه وبعض الرواة يعزى هذه الحكاية الى ذى الاصبع العدوانى وبناته (ولعمرى لو بلغت هذا المبلغ

المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت ان أرى من يشترى الحكمة بالمال وقال أبو الطيب

وصرت أشك فيمن اصطفيه * لعلمي انه بعض الانام
وأنف من أخي لأبي وامي * اذا مالم أجده في الكرام
أرى الاجداد يغلبها كثيرا * على الاخلاق أولاد اللئام

وقال ابن سناء الملك

أبى الدهر الا ضدما انا طالب * فيا ليت مني مكن الله ضده
يعد الفتى اخوانه لزمانه * واعدى له من صرفه من أعده

وقال أبو العلاء المعرى

جربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ودا مرئ غرضا

وقال أيضا

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى * لما طلعت مخافة ان تكادا
فأى الناس أجعله صديقا * وأى الارض أسلكه ارتيادا

وقال ابن نباتة السعدى

وخلنى وبنى الدنيا فان لهم * يوما أصوغ له ليلا من المدر
لم يبق فيهم خفى لست أعرفه * وكيف لا أعرف الصافى من الكدر

وقال ابن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال المغزى

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم * بعدى عن الناس فى هذا الزمان نجا
لولا التباعد بين الحاجبين به * بان افتراقهما لم نعرف الملعا

وقال الارجانى

جربت دهرى وأهليه بيادرتى * من قبل أن نجرتنى فيهم المحنك
فلا حسائك فى صدرى على أحد * منهم ولا لهم فى مضجعى حسك
ولا أغر ببشر فى وجوههم * وربما غر بحر تحته شبك

وقال ابن قلاقس

اعلق باطراف الوداد فانه * من دافع الامواج مات غريقا
واذا انتهى الاخلاص أوجب ضده * ان التجمع يورث التفريقا

وقال الارجانى

أسفت على عمر تصرم ضائعا * وجدت بدمع يستهل هتون
وآنسنى بعدى عن الناس جانبا * وان هم على أحداقهم جلونى
ولما غدا عبأ على جفن ناظرى * لقاء الورى من صاحب وخدين
ألفت القلى مستوطنا ظهر ناقتى * تلف سهولا دائما بحزون

(لارتفعت عن هذه الحطة) ولا رضيت بهذه الحطة الحط انزال الشئ من العلو (والحطة) الحدرة من الارض وهو المكان المنخفض (والحطة) الامر والمقصد قال تأبط شرا

هما خطتا اما أسار ومنة * واما دم والقتل بالحر أجدر

أراد خطتان فحذف النون استخفافا والمعنى أنه لو عضانى هما مر وفقدت الاراقم وكنت كابنة الخس لما رضيت لنفسى بك ولرفعت قدرى عنك ولست أعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك

(فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثديها)

هذه أمثال تضرب لمن يختار التلف على قبح الاحدوثة وجاء قولهم النار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب أى أختار النار والمنية وبالرفع أى النار والمنية أحب الى وقال العسكرى فى قولهم الحرة تجوع ولا تأكل بثديها يعنون لا تكون الحرة ظئرا لقوم على جعل تأخذه منهم فيلحقها عيب وكان أهل بيت زرارة حضان الملوك وفى ذلك يقول حاجب

* حضنا ابن ماء المزن وابنى محرق * فعا به الناس بذلك

وقالوا مارأينا من يفتخر بالمعاب غيره وذلك أن الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع والمثل للحرث بن سليل الازدى أتى علقمة الطائى يخطب ابنته ريا فقال لامها أبينى عمن فى نفسها فقالت لها يابنية أى الرجال احب اليك الكهل المباح أم الفتى الطماح قالت بل الفتى الوضاح قالت ان الشيخ يعيرك والفتى يغيرك قالت يا أماه أخشى من الشيخ ان يبلى شبابى ويشمت اترابى فلم تزل امها بها حتى زوجتها من الحرث فرحل بها الى قومه فبينا هو جالس بفنائه وهى الى جانبه اذ اقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست صعداء فقال لها مالك فقالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها أما وابيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها ألحقى باهلك فلا حاجة لى فيك قال العسكرى وليس هذا الحديث موافقا للمثل وقال ابو عبيد أصله ولا تأكل بثديها أى من الحسرة وليس هذا بموافق ايضا ولكنه حكى على ماقيل والله تعالى اعلم

(فكيف وفى أبناء قومى منكح
وفتيان هزان الطوال الغرانقة
يعنى كيف أرضى بهذا وفى

وما سرت الا فى الهواجر وحدها * كراهة ظلى ان يكون قرينى

وقال عبيد بن أيوب العنبرى أحد اللصوص

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليعة معشر
وخفت خليلى ذا الصفاء ورابنى * وقيل فلان أو فلانة فاحذر
اذا قيل خير قلت هذى خديعة * وان قيل شر قلت حق فشمر

وقد بالغ بشار فى الحذر حيث قال

يروعه السرار بكل شئ * مخافة ان يكون به الشرار

وقيل له من أين أخذت هذا قال من أشعب الطماع وقد قيل له ما بلغ من طمعك قال ما كنت فى جنازة فرأيت اثنين يتساران الا قلت هما يتحدثان فى شئ أوصى لى به الميت وأخذه أبو نواس أيضا فقال

تركتنى الوشاة نصب المشيرين وأحدوثة بكل مكان
ما أرى خاليين فى الناس الا * قلت ما يخلوان الا لشانى

وأخذه بعده أبو الطيب فقال

لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لأغرته بفدائه

وأخذه منه ابن الخياط الدمشقى فقال

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقد تقدما وأما نوادر أشعب فكثيرة مشهورة ومن أحسنها أنه قيل له ما بلغ من طمعك قال لمن قال له ذلك ما قلت لى هذا الكلام الا وقد أخبأت لى شيأ تعطينى اياه وقيل له أيضا ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا بالمدينة ترفت قط الا كنت بنى ورشته طمعا فى ان ترف الى ووقف على رجل خيزرانى وهو يعمل طبقا فقال لو سعه قليلا قال الخيزرانى وما تريد بذلك كانك تريد أن تشترية قال لا ولكن يشتريه بعض الاشراف فيهدى لى شيأ فيه وقيل له هل رأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لى فنزلنا بعض الاديار فقلا حينا فقلت ايرهذا الراهب فى حرام الكاذب فلم نشعر بالراهب الا وقد طلع وهو منعظ ويقول أيكم الكاذب وقيل له أيضا هل رأيت أحدا أطمع منك قال نعم كلب أم حوملى يتبعنى فرسخين وأنا أمضغ كمندرا ويقال انه مر يوما بحفل الصبيان يعبثون به فقال لهم ويلكم سالم بن عبد الله يفرق تمرا من صدقة عمر فخرج الصبيان يعدون الى دار سالم وعدا أشعب معهم وقال ما يدرينى لعله يكون حقا ويقال ان بعضهم اجتاز بدار فسمع صاحبها يقول لزوجته ان لم أحمل عليك ألف رجل فما أنا برجل فجلس على الباب الى أن أصباء ثم قام وضرب الباب وقال تحمل على هذه القعبة أحدا والانض ومن الحكايات الموضوعة على ألسنة البهائم قالوا رأت الضبع ظبية على حمار فقالت أردفينى على حمارك فأردفتها فقالت لها ما أفره حمارك ثم سارت يسيرا فقالت ما أفره حمارنا فقالت لها الظبية انزلى قبل أن تقولى ما أفره حمارى فما رأيت أطمع منك وأتى بعض الفقراء الى خياط فى يوم برد ولم يكن عليه غير قميص واحد فنزعه ودفعه الى الخياط ليخيط فتقا كان فيه ووقف المسكين مقرقفا من البرد ينتظر فراغه فلما فرغ منه طواه وجعله تحته وأطال فى ذلك فقال أجير عنده أما تدفعه اليه فقال اسكت عساه ينساه ويروح وقيل ان بعضهم تمنى فى

منزله .

منزله فقال لبيت لنا الحافنطبخ سكباجا فغالبت أن جاءه ابن جاره بصحفة وقال اغرفوا لنا فيها قليلا من المرق فقال الرجل جيرانا يشمون رائحة الامانى (رجع الى الحذر واليقظة) قال مسلم ابن الوليد من قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمس عينيه من الكحل

وهذه القصيدة من القصائد المشهورة وفيها الابيات النادرة ويقال ان هرون الرشيد لما سمع البيت الاول فى ليلة من مغنية فى داره وسأل عنه وعمن قيل فيه فقيل له لمسلم بن الوليد فى يزيد ابن مزيد الشيبانى وكان يزيد يقول والله يا أمير المؤمنين لأحرصن على أن لا أكذب شعراءى فيما يمدحونى به فامر الرشيد باحضار يزيد على الحالة التى يصادف عليها فاحضروه وعليه ثياب خلوته ملونة ممصرة فلما نظر اليه الرشيد فى تلك الحالة قال أكذبت شاعرك يا يزيد قال فيم يا أمير المؤمنين قال فى قوله تراه فى الامن البيت فقال يزيد لا والله يا أمير المؤمنين ما أكذبته وان الدرع على ما فارقتنى وكشف ثيابه واذا عليه درع مظاهرة فامر الرشيد بحمل خمسين ألف دينار ليزيد وخمسة آلاف دينار لمسلم وحكى الخالديان فى اختيار شعر مسلم عن مسلم من جملة خبره فى وصوله الى يزيد قال فلما صرت الى الرقة دخلت على يزيد بن مزيد وبين يديه وصيفة بيدها المرآة وهى تريه وجهه ويديه مشط يسرح به لحيته فقال ما الذى أبطأ بك عنى قلت أيها الامير ضيق اليد وقصور الحال قال انشدنى فانشدته أجود ت حبل خليع فى الصبا غزل القصيدة فلما بلغت قولى لا يعبق الطيب خديه ومفرقه البيت وضع المرآة من يده ورد المشط وقال للجارية انصرفى فقد حرم مسلم علينا الطيب ويقال انه لما سمع هذا البيت قال منعتنى الطيب وأمرهتنى باقى عمرى فما رؤى بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكتحلا ويقال انه كان أعطر أهل زمانه وكان يقول الله بينى وبين مسلم حرم على أحب الاشياء الى قلت

يا بيت شعرى أين كنت من الدنا * والناس ناس والزمان زمان

فنى مثل هذا الزمان كان الادب فى عنفوانه والشعر فى ابانه والمدح اذا أتى تلقاه الممدوح باحسانه لا كالزمان الذى قال فيه لآخر

وقالوا فى الهجاء عليك اثم * وليس الاثم الا فى المديح
لانى ان مدحت مدحت كذبا * وأهجوحين أهجو بالصحيح

(رجع) وقال مجير الدين محمد بن تميم

من كان يرغب فى حياة فؤاده * وصفائه فلينأ عن هذا الورى
فالماء يصفو ان نأى واذا دنا * منهم تغير لونه وتكدرى

وقالوا أبو العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقد أخذه من عمارة بن عقيل حيث قال

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وقال أبو الطيب

كلام أكثر من تلقى ومنظره * مما يشق على الآذان والحدق

قومى كثير من أكفائى

(وهزان) اسم قبيلة (والغرانقة) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو أعشى بنى قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين وكان يقال أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء يقول الاعشى أشعر الاربعة فقيل له فاين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك انه ما من حامل لواء الا على رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى الامير وكان الاصمعى يقول ما مدح الاعشى أحدا الا رفعه ولا هجاه الا وضعه فمن ذلك انه مر بالمامة على المحلق بن جشم الكلابى وكان خامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنده فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمرا فلما أصبح قال له الاعشى ألك حاجة قال تشيد ذكرى فلعلى أشهر فتخطب بناتى فنهض الاعشى الى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التى يمدح بها المحلق ويقول فيها

وقال أيضا

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقيل ان أبا الطيب لما ادعى النبوة قيل له ما معجزتك قال قولي ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى البيت وأما أبو العلاء المعري فقد سلى نفسه عن عماه بقوله

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدانكم يهون

والله ما في الوجود شئ * تأسى على فقده العيون

وما هذه النفس قوية وهمة عن أدنى الناس الوجود عليه على ان عدم رؤية الناس مما يخفف بعض الباس لان وقوع الناظر على ما يكره مما يجعل الجفن أمره

واحتمال الاذى ورؤية جانيه * غذاء تضوى به الاجسام

وعلى ذكر العمى فقد حضرني لابن قزل أبيات عملها في عماه أشهى من الشفة اللماء وهي

علقتها عميا مثل المها * قد خان فيها الزمن الغادر

أذهب عينيها فانسانها * في ظلمة لا يهتدي حائر

تجرح قلبي وهي مكفوفة * وهكذا قد يفعل الباتر

ونرجس اللحظ غداذابلا * واحسرتا لو أنه ناضر

يكاد هذا الرابع يختم لنفسه على الحسن بطابع وما أرشق نظامه وأنفذ في القلوب سهمه ولقد أحسن من قال وان لم يكن من زنة ذلك المثقال

قالوا تعشقتها عميا قلت لهم * ما شأنها ذاك في عيني ولا قدحا

بل زاد وجدي فيها انها أبدا * لا تعرف الشيب في فودي اذا وضحا

ان يجرح السيف مسلولا فلا عجب * وانما أعجب السيف مغمدا جرحا

كأنما هي بستان خلوت به * ونام ناطوره سكران قد طفحا

تفتح الورد فيه من كمائمه * والنرجس الغض فيه بعدما انفتحا

ولابن سناء الملك مقاطيع في عماء تروى غلة الكبد الظمياء منها

شمس بغير الليل لم تحتجب * وفي سوى العينين لم تكسف

مغمدة المرهف لكنها * تقتل في الغمد بلا مرهف

رأيت منها الخلد في جؤذر * وناظري يعقوب في يوسف

وهذا البيت الثالث ماله في الحسن وارث ولقد تلطف فيما تخيل واختلس رقة المعنى وتحيل وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ولكنه استعمل الخلد مورى ودخل الدار من دربه وغيره برا وان كان قد سرقه من ابن سناء الملك فقد استرقه وجعله بالزيادة حرا وهو

قديت اعمى مغمد الحظه * انرهتي في خده الوردي

تمكنت عيناي من وجهه * فقلت هذي جنة الخلد

وقلت أنا في ذلك

أيا حسن أعمى لم يجد حد طرفه * محب غدا سكران فيه وما صحا

اذا طار قلب بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
فما أتت على المحلق سنة حتى
زوج البنات على مئين ألوف
ومن ذلك أنه امتدح الاسود العنسي فأعطاه ذهبا وحللا فلما مر ببلاد عامر خافهم على ما معه فاتى علقمة بن علاثة فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن قال نعم قال ومن الموت قال لا فاتى عامر بن الطفيل فقال أجرني فقال اجرتك قال من الانس والجن والموت قال نعم قال كيف تجيرني من الموت قال ان مت في جواري بعثت الى اهلك بالدية قال الآن علمت انك أجرتني ثم مدح عامرا وهجا علقمة فكان علقمة يبكي اذا ذكر قوله تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
ويدعو عليه ان كان كاذبا ويقول أنحن نفعل بجاراتنا هذا وما زال منكسر البال من هذا البيت وحكى ابن خلاد قال كان الاعشى كثير التطواف فاصبح ليلة بابيات علقمة بن علاثة فلما نظر قائده الى قباب الادم قال ياسوء صباحاه هذه والله أبيات علقمة فلما مثل بين

وقلت فيه أيضا

ورب أعمى وجهه روضة * تنزهى فيها كثير الديون
فى خده ورد فغنبنابه * من نرجس ما فتحته العيون

ولابن سناء الملك أيضا

فتنتنى مكفوفة ناظراها * كتبالى من الجراح أمانا
فهى لم تسأل الجفون حساما * لاولم تحمل الفتور سنانا
وهى بكر العينين محصنة الاجـ * ـفان ما اقتض مقلها الاجفانا
قصرت عشقها على فلم تعـ * ـشق فلانا اذلم تعاين فلانا
عميت من هواى وارتحل الانـ * ـسان من عينها وأخلى المكانا
علمت غيرتى عليها فخافت * ان يسمى غيرى لها انسانا

وله أيضا فيها

ان الكمال أصاب فى محبوبتى * لما أصاب بعينه عينيها
زادت حلاوتها فصرت تخالها * وسنى وقد أسر الكرى جفنيها
وكما علمت وللدبيب حلاوة * فكأننى أبدا أدب عليها

وقد اختلس النور الاسعردى هذا المعنى ونقله الى غير هذا المبنى وأنزله فى غير هذا المغنى فقال

ألذ نيك الملاح سرا * لاجل ذا أستعذب الدبيب
عجبت من نايك الاثنى * عليها من وجهها رقيب

وعلى ذكر حلاوة الدبيب فلا بأس بايراد بعض رسالة كتبها الشريف أبو يعلى بن الهبارية الى الاستاذ الخطيرى أبى منصور وهى أسعد الله سيدنا الاستاذ الخطيرى الرئيس الاثير النفيس بهذا اليوم السعيد وعرفه بركات هذا الشهر الجديد نعم أسعده الله بهذا اليوم وعرفه بركات هذا الصوم وحشره فى زمرة القوم وأعاد جده السعيد وأمره الجديد من النوم فان من أصعب الامور نوم الابور لاسيما عند مغالطة الرقيب ومخالسته ومسامحة الحبيب ومساعدته فى دهليز مظلم أو حمام معتم أو طريق له وقل سائره أو مجلس أنس نام سامره أو ضرورة داعسة الى الدبيب أو حاجة حاملة على خيانة الحبيب يقضى بها الوطر من غير علمه ويبلغ بها القصد منه على رغمه وقد اختلف فى ذلك أئمة الظرف وحكماء اللطف فمنهم من أباحه تجوزا ومنهم من حظره تحرزا ومنهم من عده جناية وخساره ومنهم من رآه عيارة وجساره قال بعضهم

خرق سراويلاتهم * لاتنتظر حل التكك
وافتك بهم انى ظفر * ت من الشوارع والسكك

وقال الآخر

لا أبيح الدبيب الا اذا كا * ن حبيبى بما أروم بخيلا
فأحث الكؤس حرصا عليه * جاعلا سكره اليه سبيلا
فاذا نام قمت بالرفق واللطـ * ـف وأدخلته قليلا قليلا

ومنهم من وصفه بالخلو عن اللذة المطلوبه والتجرد عن الشهوة المحبوبه فقال حد النيك ان

يديه قال له أتدرى لم أظفر فى
الله بك بغير دية ولا عقل قال
لا قال لتقولك على الباطل
من غير جرم قال الاعشى لا
ولكن ليبلو الله قدر
حلمك فى فأطرق علقمة
فاندفع الاعشى يقول
أعلقم قد صيرتنى الامور
البك وما كان لى منكص
فهب لى نفسى فدتك النفوس
ولازالت تمنى ولا تنقص
فقال قد فعلت والله لو قلت
فى ما قلت فى ابن عمى عامر
لاغنيتك ولو قلت فى عامر
ما قلت فى ما اذا قلك برد الحياة
(وحكى الاصمعى) قال وفد
الاعشى على كسرى فأنشده
من شعره فسأله عن معنى قوله
أرقت وما هذا السهاد المؤرق
ومالى من سقم ومالى تعشق
فقيل انه سهر ومابه عشق
ولامرض فقال كسرى هذا
لص فأخرجوه (ورحل)
الاعشى آخر عمره الى النبى
صلى الله عليه وسلم طالبا
للاسلام وقد مدحه بقصيدته
التى يقول فيها

فآليت لا أرثى لها من كلالة
ولا من رجى حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن
هاشم
تراحى وتلقى من فواضله ندى
تبى يرى مالا ترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

فبلغ قريشا خبره فقالوا هذا

يكون مفاعله أعني لامناغصة ولامبادله فان ذلك من شيم الوزراء وخلائق الكبراء فاما نحن معاشر الشحاذين وجيل عباس أجمعين فاننا أدنى محلا من ان ندعى فيه فيه حظا أو نعد له لحظا أو نختلط بأهله أو ننسب الى حزبه وما كل من تعاطاه كان له أهلا ولا كل من داناه سوح بكونه له محلا وقال ابن البياضى فى القاضى أبى محمد بن السماك

وقال قوم به ابتـــــــة * ومازلت أنقض ماشيدوا
ومن ذلك الكلم حتى يكو * ن له فى البغاة قوم أويد

والمصريون يتنافسون فيه ويتفاخرون بدو يعدونه منقبة سامية ومرتبة عالية واذا ادعاه مدع ومن لا يعترى الى مجد شريف ولا ينتمى الى منصب منيف دفعوه عنه وأنفوا له منه وقالوا باى أبوة استحق هذه المنزلة أم باى رياسة وصل الى هذه المرتبة واذا وصفوا انسانا برقة الخاطر قالوا فلان يوسى ملتقطا فاخذه المتنبى وقال

ويغير فى جذب الزمام لقلبها * فعها اليك كطالب تقبيلا

وانما قصدت بالمفاعلة ان تكون بين اثنين متفقى الشهوة متقاربى الرغبة متالفى الحالة اذا رهز هذا جزداك واذا خضع هذا رحم راكبه وناك واختال اختيال الطرف راكبه وهملج هملجة الرهوان بجاذبه وكثير من اللاطة يعتذرون عن ميلهم الى الغلمان الصغار ورغبتهم فى العلوج الكبار بانهم يعلمون مايراد منهم وفى علمهم لذة عارضة وشهوة داخلة غير الطبيعية والشهوات تتغير بتغير الاسباب حتى ان منهم من يتمنى نيك الوزير وان كان شيخا ويعشق الامير وان كان كهلا ويتمنى امرأة الرئيس وان كانت عجوزا هرمة ويقال فلان يعشق لحشمته وفلان يناك لنعمته وفلان يستجاد لرياسته وشرف بيته ولقد سمعت ان رجلا دب على أبى عمرو بن العلاء فلما شعر به قال ويلك ما حملك على هذا وأنا شيخ قال ولم لا أنيكك وأنا أوجح منك فى شحم ولحم وعلم ضخم واست رجل ذى فهم ولقد كنا ليلة باصبهان فى دار الوزارة فى جماعة من الرؤساء وعصبة من الفضلاء وعدة جماعة باسمائهم فلما هدأت العيون واستولى على الحركات السكون سمعنا صراخا عاليا وصوتا مرتفعا وولولة واستغاثة فقمنا واذا الشيخ الاديب أبو جعفر القصاص ينيك أباه على الحسن بن جعفر البندنيجى الشاعر الضرير وذلك يستغيث ويقول انى شيخ أعمى فما يحملك على نيكى وذلك لا يلتفت اليه الى ان أفرغ فيه وسل منه كذراع البكر وقام قائلا انى كنت أتمنى ان أنيك أبا العلاء المعرى لكفره والحاده ففاتنى ذلك فلما رأيتك شيخا أعمى فاضلا نكتك لاجله وقال

أنيك الشيوخ نيكة عاهر * مغيظ على أعمى المعرة أحدا

فقال البندنيجى قصيدة يشكو ماجرى عليه فيها

وقد كنت دبابا على كل نائم * فها أنا مدبوب على أنات
وقدمات شيطانى وابرى مقلص * ضعيف القوى لم يبق فيه حراك

وحدثنى القاضى أبو الحسين الاسعاندانى المحلمى قال حدثنى أبو القاسم المغربى الوزير ببغداد أن غلامه نسيما استشعر به انه دب عليه فى سكره فانتبه مغضبا وصدمعاتبا فقال الوزير فى ذلك أبياتا يعتذر اليه فيها من جملتها

سيان عندى ميت فى قبره * يجنى عليه وناثم فى سكره

صناجة العرب مامدح أحدا
الا ارتفع فرصدوه على
طريقه فقالوا له يا أبا نصير أين
أردت قال صاحبكم لأسلم
قالوا انه ينهى على خلال كلها
لك موافق قال وماهى قالوا
الزنا قال لقد تركنى الزنا وما
تركته قالوا والقمار قال لعلى
أصيب منه عوضا قالوا والخمر
قال أوه أرجع الى صبابة لى
فى المهراس فأشربها ثم أرجع
فعاد الى رحله فلبث أياما ثم
رمى به بعيره فقتله وزعم
بعض الرواة أن الذى أمره
بالرجوع أبو جهل وهو غلط
فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة
بعد ان مضت بدر والصحيح
أن القائل عامر بن الطفيل
وأما قوله

أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
فقال المعرى حكى الفراء
وحده أغار فى معنى غار اذا أتى
الغور واذا صح هذا البيت
من الاعشى فلم يرد بالاغارة
الاضداد الانجاد وروى
الاصمعى روايتين احداهما
أن أغار فى معنى عدا عدوا
شديدا والاخرى انه كان يقدم
ويؤخر فيقول لعمرى أغار
فى البلاد وأنجدا فيأتى به
على زحاف القبض وكان ابن
مسعدة يقول غار لعمرى
فيأتى به على استعمال الخرم
فى النصف الثانى ويروى
أن الاعشى كان يؤمن

رزق الله وليه عقلا يعقله من هذه الحماقات وروعا يحجزه وهيهات فانه اراد ان يعرق فأشأم وعزم أن يجد فاتهم فافتتح كلامه بالدعاء الصالح ثم عقبه بكلام الماجن المازح لكنه رأى نوم الايوريورث فتره ويعقب حسره ويبقى خجله ويعيروجله وحكى عن المبرد انه قال عشقت جارية من قصر المعتز بالله فلحقني بها ما خفت عاقبته على نفسي وطال شوطه طالها وانا أقوت نفسي بترجي وصالها فلما رحمت عبدها وأنجزت وعدها وحضرتني زائرة نام ايري لشؤم طيري فاجتهدت ان يقوم فابى فتحيرت خجلا وتلذذت وجلا خوفا ان تظن تلك السيره ولا تعرف السريره فاخذت سكين الدواة فقالت ما تصنع فقلت أقطعه فقالت دعه تبول منه فكان ذلك أشد على من صفع اخدعي فانصرفت وأنا أقول

الشان في ايري يقوم * فالتفتت الي وقالت مجيزة * وهوى بلا نيك يدوم

فقلت ايري على مع الزما * نفن أذم ومن ألوم

وأنشدني الرئيس أبو الفضل محمد بن محمد بن عيسون المنجم الموصلي لبعضهم في مثل هذا الحال

لو نصر الله على ايري * شددته الجنون في الدير

ان قلت نم قام وان قلت قم * نام على فخذي كالسير

يبغي خلافي أبدا جاهدا * كأنما صاحبه غيري

اه ما اخترته من كلام بن الهبارية وأما أبيات أبي العز الضرير فان الفرزدق يعدو في اثرها وهو جرير لانه اعتذر لعشقه وهو أعمى وأوضح دليله الذي صدق حسا ووهما وهي

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف الى

وحلاه ما عاينته * وتقول قد شغلتك وهما

وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للمؤا * د وأنت لم تنظر سهما

فاجبت اني موسوى * العشق انصاتا وفهما

أهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

والذي سبق الى هذا سبق المطهمة الجرداء وهو بشار بن برد حيث يقول

ياقوم اذني لبعض الحي عاشقة * والاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وحيث يقول أيضا

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبي فاضحى به من حبها اثر

اني ولم ترها تهوى فقلت لهم * ان الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

وحيث يقول أيضا

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فما القلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * بر الثقلي وان غيبت عن بصري

العين تبصر من تهوى وتفقده * وناظر القلب لا يخلو من النظر

بالبعث والحساب ولذلك كان يقول

فما معتل بي على هيكل * بناه وصلب فيه وخارا

بأعظم منك يقين في الحساب * اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدليا وأنشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وأنشد للاعشى

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للامر الذي كان أرصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولو ان عز الناس في رأس صخرة * سلمى لمة تعيي الاريح الخدما

لاعطاه رب الناس مفتاح بابها * ولو لم يكن باب لاعطاه سلما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

رب خرق من دونها يخرق الـ * ـرو ميل يفضي الى أميال

وقال فى هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى

ان تغيبوا عن العيان فانتم * فى قلوب حضوركم مستمر
مثلما تثبت الحقائق فى الذهـ * ـن وفى خارج لها مستقر

وابن حزم لم يرض بهذا المعنى بل قال

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى * فقلبى عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

وذكرت بالعمى هنا قول شهاب الدين أحمد بن جلنك

معكوس نصف مفرج * تصحيفه ضد المتمى
جارت على عشاقه * عيناه طول الدهر ظلما
فغدا يعاقبه الزما * ن بأعور فى وسط أعمى

ويقال ان أبا العيناء لقى جده الاكبر على بن أبى طالب رضى الله عنه فاساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب وزعم المنجمون ان المولود اذا ولد وأحد النيرين فى الخسوف أو الكسوف فانه يولد أعمى والله أعلم وأشراف العميان شعيب النبى عليه السلام ويعقوب صلوات الله عليه قبل ان يجىء اليه قميص يوسف عليه السلام وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن كعب بن عبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب والحكم بن أبى العاص وأبو سفيان بن حرب والحرث بن عباس بن عبد المطلب ومطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة

وعتبة بن مسعود الهذلى وعبد الله بن عبيد الله ابن عتبة وابو أحمد بن جحش بن مسعود الاسدى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبد الله بن أرقم والبراء بن عازب وحسان بن ثابت الانصارى وابو أسيد الساعدى وقتادة بن دعامة ودريد بن الصمة الجشمى ومخرمة بن نوفل الزهرى والفاكه بن المغيرة المخزومى وخزيمة بن حازم النهشلى وأبو العباس الشاعر وعلى ابن زيد بن جدعان والمغيرة بن مقسم الضبى والترمذى الحافظ الكبير والفقيه منصور الشاعر المصرى وابن سيده اللغوى وأبو العلاء المعرى وبشار بن برد وأبو البقاء العكبرى وأبو العيناء وهشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى صاحب الكسائى له عدة تصانيف والسهيلى صاحب الروض الانف والشاطبى والصرصرى وأبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى وأبو عبد الله بن خلصة المغربى النحوى وأبو عبد الله بن الخياط وقال بعضهم لبشار بن برد ما أذهب الله كريمتى مؤمن الا عوضه خيرا منهما فيم عوضك قال بعدم رؤية الثقلاء مثلك وسمع بن مكرم رجلا يقول من كف بصره قلت حيلته فقال ما أغفلك عن أبى العيناء وخاصم أبو العيناء أحد العميان رجلا وفخر عليه فقال ذلك الرجل ماذا أقول فيك وموضع الحياء منك خراب ونظمه ابن البناء فى أبى العباس الاندلسى فقال

كيف يرجو الحياء منك صديق * ومكان الحياء منك خراب

وما أحسن ما أنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى ظهير الدين ابراهيم البارزى الحموى لنفسه

تعجبت والدنيا كثير عجيبها * لشخص تلاقى عنده الخبث والريا

وقليب أجن كأن من الريـ ـش بارجائه سقوط نصال
لاتشكى الى وانتجى الاسـ ـود أهل الندى وأهل الفعال
أريحى صلت يظل اذا القو م ركودا قيامهم للهلال
فرع تبع يهتز فى غصن المجـ ـد غزير اللهاء عظيم الجمال
عنده الحزم والتقى وأسا الصد ع وحمل المغرم الاثقال
وهوان النفس العزيزة للذ كر اذا ما التقت صدورا العوالى
فاذا من عداك أصبح محرو ما وكعب الذى يطيعك عال
وقوله يمدح المحاق

اذا حاجة ولتك لاتستطيعها * فخذ طرفا من غير هاحين تسبق
فذلك أدنى أن تنال جسيمها * وللقصد أبقى فى الامور وأرفق
أيا مالك سار الذى قد صنعتم * وأنجد أقوام لذلك وأعرقوا
وان عناق العيس سوف تزوركم * ثناء على اعجازهن معلق

* يعنى ان الحداة تحدوا الابل بثناء الممدوحين فكأنه معلق على اعجازها ومنها أيضا

بداسبل فى عينه وهو مخصب * ولم أرها يوما ألم بها حيا

ويقال ان جائزة الرشيد كانت تأخرت عن أبى نواس فقال

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع عقد على خالصه

فاتصل ذلك بخالصة وكانت أحظى جواريه عنده وأعزهن فاحضره وقال ما حملك يا فاسق على هذا فقال الغلط من الراوى ظن ان الهمزة عينا فاظهر الرضا منخدعا له طالبا للتكرم ويقال ان بعض الادباء ذكر البيت والواقعة بحضرة القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فقال للفور وهذا بيت قلعت عيناه فابصر وهذا من محاسن ما اتفق له وقد عكس هذا الذى قال

كان بلا ناظر بصيرا * فصار يا الناظرين أعمى

ويقال انه كان بحرم الخليل عليه السلام شخصان أعميان أحدهما ناظر الحرم والآخر شيخه فرام الناظر عزل الخطيب فعارضه الشيخ ومنعه فقال له الناظر كأنك قد شاركتنى فى النظر فقال لا بل فى العمى فاضحى واستمر الخطيب وقال بعضهم أكثر أهل هيت عور فرأيت رجلا منهم صحيح العينين فقلت ان هذا الغريب فقال لى ياسيدى ان لى أخا أعمى قد أخذ نصيبى ونصيبه فضحكت منه ويقال ان رجلا أعمى تزوج امرأة قبيحة فقالت له رزقت أحسن الناس وأنت لا تدرى فقال يا بطراء أين كان البصر اعندك قبلى وقال بعضهم نزلت بعض القرى وخرجت فى الليل لحاجة فاذا أنا باعمى على عاتقه جرة ومعه سراج فقلت له ياهذا أنت أعمى والليل والنهار عندك واحد فما معنى السراج فقال يا فضولى حتى معى لا عمى البصيرة مثلك يستضىء به فلا يعثر بى فى الظلمة فأقع أنا وتنكسر الجرة ويقال ان المؤمل بن أميل لما قال

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

رأى فى منامه كأن رجلا أدخل أصبعيه فى عينيه وقال هذا ما تمنيت فاصبح أعمى وقال الخزيمى

فان تك عينى خبأت نورها * فكم قبلها نور عين خبا

فلم يعم قلبى ولكنما * أرى نور عينى لقلبى سبى

ومثله قول بن العلاء المعرى

سواد العين زار سواد قلبى * ليتفقا على فهم الامور

وقال بعض القدماء لو ان العين كلها تكون نقرا لنقص ابصارها وانما أبصرت باجتماعها سوادا فى انسان الانسان

* (فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل) *

(اللغة) الرجل خلاف المرأة والجمع رجال ورجالات مثل جمل وجمال وجمالات وأراجل أيضا ويقال للمرأة رجلة قال الشاعر

مرقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا حرمة الرجله

الدنيا هى هذه الدار التى نحن فيها وسميت الدنيا لدنوها والجمع دنا مثل كبرى وكبر والنسبة اليها دنياوى ودنيوى ودنيى وواحدها الواحد أول العدد والمراد به هنا الفرد الذى لا ثانى له فى الرجال والوحدة الانفراد يقال فلان واحد دهره أى لا نظير له ولا يقال للانثى وحدى وزعم بعضهم ان أحدا لا يكون الا لمن يعقل يعول عوّلت عليه أذللت عليه دالة وحملت عليه ويقال

وكم دون ليلى من عدو وبلدة
وسهب به مستوضح الآل يبرق

وان امرأ أسرى اليك ودونه
سهوب وموماة وبيداء سملق

لحقوقة ان تستجيبى لصوته
وان تعلمى ان المعان موفق

يعنى ان الموفق معان وهذا الغالب المستعمل فى كلام العرب مثل قول الآخر

أو بلغت سوآتهم هجر وعلى ذلك قد فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل أى خلق العجل من الانسان ومنها

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا
بأسحم داج عوض لا يتفرق

يعنى ان المحلق والندى حليفان لا يفترقان كأنهما تحالفا على ذلك عند النار وكذا كانت العرب من عادتها تحلف عند النار وفى قوله أسحم داج سبعة أقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون أيديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الندى وقيل دماء الذبائح

عول على بما شئت أى استعن بى كأنه يقول احمل على ما شئت (الاعراب فانما) الفاء للاتباع وانما كلمة تقتضى الحصر وقال قوم انها وضعت كذا وقال قوم هى مركبة من ان وما فاذا قلت انما قام زيد كأنك قلت ما قام الا زيد ففى الكلام نفى واثبات والصحيح أنها للحصر وقال بعضهم ليست له واحتج بقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالاجماع أنه من لم يكن كذلك فانه مؤمن والجواب أن هذا محمول على المبالغة وقال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى فى قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اذا ثبت انها للحصر فتارة تقتضى الحصر المطلق وتارة تقتضى حصر المخصوص وافهم ذلك بالقرائن والسياق كقوله تعالى انما أنت منذر وذلك ظاهر الحصر للرسول فى النذارة والرسول لا ينحصر فى ذلك بل له أوصاف جميلة كالبشارة وغيرها لكن مفهوم الكلام يقتضى حصره فى النذارة لمن لا يؤمن ونفى كونه قادرا على انزال ما يشاء على الكافر من الآيات وكذلك حديث انما أنا بشر وانكم تختصمون الى معنى حصره فى البشرية بالنسبة الى الاطلاع على بواطن الخصوم لا بالنسبة الى كل شئ فان للرسول أوصافا أخر كثيرة وكذلك قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو يقتضى والله أعلم الحصر باعتبار من آثرها وأما بالنسبة الى ما فى نفس الامر فقد تكون سببا للخيرات ويكون ذلك من باب تغليب الاكثر فى الحكم على الاقل فاذا وردت لفظة انما فاعتبرها فان ذلك السياق والمقصود من الكلام على الحصر فى شئ مخصوص فقل به وان لم يدل على الحصر فى شئ مخصوص فاحمل الحصر على الاطلاق اه قلت ومن الدليل على انها للحصر أن ان تقتضى الاثبات وما تقتضى النفى فعند تركبهما وجب أن يبقى كل واحد على الاصل لان الاصل عدم التغير فاما ان تقول كلمة ان تقتضى ثبوت غير المذكور وكلمة ما تقتضى نفى المذكور وهو باطل أو تقول كلمة ان تقتضى ثبوت المذكور وما تقتضى نفى غير المذكور وهذا هو الحصر وهى ههنا للحصر كأنه قال ما رجل الدنيا وواحدها الا الذى لا يعول على أحد وفى انما مباحث أخر أضربت عنها خوف الاطالة وحاصل الامر أنك اذا أردت قصر الموصوف على الصفة قلت انما زيد كاتب لمن يعتقده كاتبا وشاعرا واذا أردت قصر الصفة على الموصوف قلت انما الكاتب زيد لمن يعتقد الكاتب زيدا وعمرا وغيرهما (رجع رجل الدنيا) مرفوع على انه مبتدأ والدنيا مجرور على الاضافة ولم يظهر الجر لانه مقصور وهو بكسرة مقدرة على الالف (وواحدها) الواو عاطفة وواحد مرفوع لانه معطوف على المبتدأ والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو يرجع الى الدنيا (من) اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد وموضعه الرفع لانه خبر للمبتدأ الذى تقدم وان أردت فاجعله نكرة موصوفة بما بعدها تقديره رجل غير معول على أحد والمحصور هنا من (لا يعول) لا حرف نفى يعول فعل مضارع من عول يعول وهو مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والفاعل ضمير يرجع الى من والجملة فى موضع رفع صفة لمن (فى الدنيا) فى هنا للظرف والدنيا مجرور بفى ولم يظهر الجر لانه مقصور وهو موضع الجار والمجرور النصب لانه مفعول فيه (على رجل) على للاستعلاء ورجل مجرور به وموضعهما النصب على المفعولية به ليعول (المعنى) ما أرى رجل الدنيا وواحدها الذى تفرد فيها بالحزم ولم يكن له فيها ثان الا رجلا ساء ظنه بالناس وتجنبهم فلم يعول فى دنياه على رجل يريد أن الرجولية لا تحصر الا فيمن اتصف بهذه الصفة واضاف الرجل الى الدنيا بمعنى انه اذا كان كذلك لم يكن للدنيا رجل غيره فهو

للاصنام وقيل الرحم وقوله رضيعى لبان ثدى أم واحدة مبالغة فى الوصف بالكرم وعوض اسم صنم لبكر بن وائل وقيل من أسماء الدهر وأصله أن يكون ظرفا تقول لا أفعله عوض العائضين ودهر الداهرين ثم كبروه حتى أحلوه محل ما يقسم به ومن جعل عوض اسم صنم كأنه قال عوض قسمنا الذى نقسم به ومنها

ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه
كما زان ضوء الهندوانى رونق

نفى الذم عن آل المحلق جفنة كعابية الشيخ العراقى تدهق

يروى جابية الشيخ العراقى يعنى ان العراقى الذى يتعود الحضر ويسلك البادية يكون حريصا على مائه لانه لا يعرف مواقع المياه فتكون جابيته التى هى من أوانى الماء ملآنة أبدا ويروى السيح بالسين والحاء المهملتين تعنى الماء السائح من العراق ومنها

كذلك فافعل ما حييت اذا شتوا
وأقدم اذا ما أعين الناس تفرق

واما الشعر الذى ذكر بسببه فيحكى انه تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها فطلقها وقال

أحق بالاضافة اليها من كل من عداه ومن كلام ابن سناء الملك اياك أن تغتر بخلب لسان أو تثق بقلب انسان أو تركن الى صداقة صديق أو تأمن من شقاق شقيق أو يروقك ملق ملق أو بشر بشر أو تشيم صفو محائب الاخلاء فانها تهمى بكدر أو تنخدع بنسيم انفاس الأعداء فانها ترمى بشر وعليك بالاحتراز من أبناء جنسك والاحتراس حتى من نفسك فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدهر بالدهر الذى كنت تعرف اه وقيل ان انسانا صدم ابا العيناء فقال ماهذا فقال ابن آدم فضحه أبو العيناء اليه وقال تعال تعال لا اله الا الله ما ظننت أنه بقى أحد من هذا النوع وقال أبو الطيب

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودهم الاخداعا * ولم أر دينهم الا نفاقا

فعطف قوله وذاقا على قوله جربهم واعترض بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله فانى قد أكلتهم والمعنى مليح لانه يقول اذا ما جرب الناس لبيب وذاقهم فانى قد أكلتهم ومن أتى على الشئ أكل اعرفه أكثر ممن جربه ذواقا وقال أيضا

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

وقال السميسر الالبيرى

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وميز عن زمانك كل حين * ونافر اهله تسد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال أبو فراس بن حمدان

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للعز الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على اجسادهن ثياب

وقال ابن حديس الصقلى

من سالم الضعفاء راموا حربه * فالبس لكل الناس شوك مجرب
كل لا شراك التحيل ناصب * فاخاب بنى دنياك ان لم تغلب
لا يكذب الانسان رائد عقله * فاصرم تمح وكن عذوبا تشرب

*(وحسن ظنك بالايام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل)*

(اللغة) الظن عدم الجزم بالامر هل هو كذا أو كذا وقد يأتى بمعنى العلم قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

أى استيقنوا وانما يخوف عدوه باليقين لا بالشك وما أحسن قول أبى البركات بن بنت العصار يرثى المعظم عيسى

أظن قدمات الندى بعده * والظن قد يأتى بمعنى اليقين

معجزة مثل مبخلة ومجبنة ومجهدة مصدر من العجز والعجز ضد القدرة الوجل الخوف تقول

بديهة * ايا جارتى بينى فانك طالقه
كذلك أمور الناس غاد وطارقه
وبينى حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة فينا كذلك وامقه
وبينى فان البين خير من العصى
والا تبينى فوق رأسك بارقه
وذوقى فتى قوم فانى ذائق
فتاة أناس مثل ما انت ذائقه
وكيف وفى ابناء قومك منكح
وفتيان هزان الطوال الغرانقه

وبهذه الابيات استدل قوم على أن الطلاق فى الجاهلية كان ثلاثا لانه كرر قول بينى فى ثلاثة أبيات وتمثل ابن زيدون فى هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك بفعلها قومى

(ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد
ولا امتطى الثور بعد الجواد)

يعنى ما كنت لأدع الفتيان من قومى لارغب اليك وأنت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله أشار بذلك الى رسالة لابى عثمان الجاحظ فى ذكر الرماد والمسك وأما قوله أمتطى الثور بعد الجواد فهو قول المتنبى فى قصيدة من قصائده يقول فيها

وما الاقى بلد بعدكم
وما اعتضت من رب نعماى
رب

وجـل يوجل ويأجل ويجل بكسر الياء فمن قال ياجل جعل الواو ألفا لفتحة ماقبلها ومن قال يجل بكسر الياء فعلى لغة بني أسد فانهم يقولون انا ايجل ونحن نجل وانت تجل ومن قال يجل بناه على هـذه اللغة ولكنه فتح الياء مثـل قولهم يعلم والامر منه ايجل صارت الواو ياء لكسرة ماقبلها وتقول انى لا أوجل ولا يقال للؤنث وجلاء (الاعراب وحسـن) مرفوع على الابتداء وهو مصـدر وسيأتى الكلام على اعراب ذلك بعد الفراغ من مفردات الكلام (ظنك) مجرور بالاضافة الى حسن وظن مصدر ظن يظن ظنا وظن واخواتها من نواسخ الابتـداء تدخل على المبتـدا والخبر فتنصبهما مفعولين والكاف فى موضع جر بالاضـافة (بالايام) جار ومجرور متعلق بظنك والباء للتعدية أو للالصاق ٣ والايام مفعول أول لظن والمفعول الثانى محذوف دل عليه حسن كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وسيأتى الكلام عـلى حذف أحد مفعولى ظننت فى قوله فظن شرا (معجزة) مرفوع على انه خبر المبتدا وهذه الصيغة صيغة اسم المصـدر قال الشيخ بدر الدين بن مالك اعلم ان اسم المعنى الصادر عن الفاعل كالضرب او القائم بذاته كالعـلم ينقسم الى مصـدر والى اسم مصدر فان كان أوله ميم مزيدة لغير مفـاعلة كالمضربة والمحمدة أو كان لغير ثلاثى كالغسل والوضوء فهو اسم المصدر والافهو المصدر اهـ قلت فمعجزة اوله ميم مزيدة لغير المفاعلة لان أصله العجز وليس فيه ميم وهى لغير المفـاعلة فتعين ان يكون اسما للمصدر الذى هو العجز (فظن) الفاء للتعقيب وظن فعل أمر من الظن ولك فى مثـل هذا ضم آخره وفتحه وجره فان ضممت كنت قـد تبعتـه حركة ماقبـله لان أوله مضموم وان فتحت كنت قد طلبت الاخف وان جررت كنت على قاعدة الساكن اذا حرك (شرا) هـذا منصوب على انه مفعول ثان لظن والاول محذوف تقديره ظن بالايام شرا وقد منع النحاة من مثـل هذا وقالوا اما أن يحذف مفعولا ظن واما أن يثبتا قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله الاصل أن لا يقتصر على أحد المفعولين فى هـذا الباب لانهما مخبر عنه ومخبر به فلو حذف الاول بقى الخبر دون مخبر عنه ولو حذف الثانى بقى المخبر عنه دون خبر فان دل دليل على المحذوف منهما جاز الحذف كقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم أى لا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون هو خيرا لهم وحذف المفعولين أسهل من حذف أحدهما لكن بشرط الفائدة فلو قال القائل دون تقدم كلام ولا ما يقوم مقامه ظننت مقتصرا لم يجز لعدم الفائدة نص عـلى ذلك سيبويه اذ لا يخلو أحدهما من ظن فلو قارنه سبب يقتضى تجـدده ظنون جاز ذلك لحصول الفائدة كقوله تعالى ان هم الا يظنون وكقول بعض العرب من سمع يخل اه قلت وهنا دل على المفعول الاول دليل فجاز حذفه لانه مفهوم من سياق الكلام اذ هو قد قال أولا وحسن ظنك بالايام معجزة فاذا قال فيما بعد فظن شرا علم انه أراد فظن بها شرا أى بالايام وكذا فى قوله وحسن ظنك بالايام حذف المفعول الثانى كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وقد تقـدم (وكن) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر وكن فعـل أمر من كان فهى ترفع الاسم وتنصب الخبر واسمها مستتر فيها تقديره أنت (منها) من هنا لبيان الجنس والضمير يرجع الى الايام وهو فى موضع جر ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والجار متعلق بوجل (عـلى وجل) على للاستعلاء معنى ووجل مجرور به والجار والمجرور متعلق بخبر كان المقدر تقـديره وكن أنت مستقرا على وجـل منها واما قوله فى أول البيت وحسـن ظنك بالايام معجزة فحسن مصـدر

ومن ركب الثور بعد الجوا
د أنكر أظلافه والعبب
(فاقنا يتيم من لم يجد ماء ويرعى
الهشيم من عدم الجميم ويركب
الصعب من لا ذلول له)
الهشيم من النبات اليابس المتكسر والجميم النبت المقتبل الذى طال ولم يبلغ النهاية والصعب مالا يطيع والذلول ضـده ومثلت بهذا القول عدم حاجتها اليه واستغنائها عنه بمن هو خير منه
(ولعلك انما غرك من علمت
صبوتى اليه وشهدت
مساعفتى له من أقفار العصر)
وريحان المصر الذين هـم الكواكب علو هـمم والرياض طيب شيم العصر الدهر والمصر وكل بلد مصور أى محدود والمراد بالاقفار هنا والريحان وصف قـوم بحسن الوجوه والاخـلاق ومرادها بهـذه الصـفات

٣ قوله والايام مفعول أول الخ الظاهـر ان مفـعولى المصدر هنا وهو قوله ظنك محذوفان وتقديرهما وفاءها حاصـلا مثـلا وكذلك مفعولا فعـل الامر الآتى وهو ظن أيضا وتقـديرهما غدرها حاصل مثلا وأما قوله بالايام فتعلق بظنك المذكور وقوله شرا ففـعول مطلق لفعل الامر المذكور أيضا اه

اضيف

أضيف الى فاعله وهو ظنك والمفعول الاول للمصدر وهو ظن انما هو الايام والثانى ما قدرته من خبر المفهوم من سياق الكلام فهنا مصدر أول يحتاج الى فاعل وهو حسن وفاعله ظنك المضاف اليه ومصدر ثان يحتاج الى فاعل ومفعولين وهو ظن فالكاف التى أضيف اليها فاعل أضيف الى مصدره والمفعولان هما الايام وخيرا المفهوم من سياق الكلام فتدبره (المعنى) حسن ظنك أن فى الايام خيرا عجز منك لانك لم تخبر الايام ولا أهلها ولا جربتهما التعلم ما هما عليه وهذا عجز ظاهر وهو أن يصحف الانسان غيره مدة العمر وهو به جاهل والحزم انك تظن الشر بالايام وتكون منها على وجل فلا تأمن اليها وكن منها خائفا ولا تركن الى مسالمتها وسكونها فى وقت ما ومما أحسن قول ابن عبدون فى قصيدته المشهورة وهى التى رثى بها بنى المظفر

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور
أنهالك أنهالك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ما الليالى أقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
تسر بالشئ لكن كى تغرّبه * كالايم ثارالى الجانى من الزهر

قيل ان الرشيد كان اذا ذكر قول جعفر بن يحيى البرمكى

فاغتبق واصطبح فقد صافتنى اللـ * ـه اذا صافتنى من الحدثان

قال ما صانه الله بنى من الحدثان ولقد كنت له كدون الافعى فى أصول الريحان حتى اذا جاءه بالسم تلقاه بالسم وحديث قيصر بن الطرطبس لما خطب قيلا قطرة اليونانية ودخل اليها ووضعت الحية التى تقتل بالنظر بين الرياحين له ودخوله هو عليها وعبثه بالريحان مشهور فلا فائدة فى ذكره وقصيدة ابن عبدون هذه من أحسن القصائد لانها اشتملت على تواريخ جماعة من اعيان الاسلام وغيرهم من الطوائف ومن أحسن ما فيها قوله

وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحى من عمر
وليتها اذ فقدت عمرا بخارجه * فدت عليا بما شاءت من البشر

وقد شرح هذه القصيدة ابن بدرون وغيره من الفضلاء وقصيدة عدى بن زيد الرائية مشهورة وقد عدد فيها جماعة من الملوك الاول وندب فيها من درج من الامم وهى مليحة وعظ فيها الزهاد والملوك واستعمل الكتاب ابياتها فى رسائلهم تضمينا وتداولها الناس واستشهدوا بابياتها كثيرا ومنها

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان ام اين قبله سابور

ومنها

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور
ثم اضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

ويحكى ان المامون أو الرشيد قال لو وصفت الدنيا نفسها ما زادت على ما قال أبو نواس شيأ وهو قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال أبو الطيب

فذى الدار أخدع من مومس * وأمكر من كفة الحابل

التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله من تضجرهم وشكاية المكتوب اليه بمدحهم ومدحه بهذه الالفاظ والتهكم عليه

*(من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم *مثل النجوم التى يسرى بها الساري)*

يعنى هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب يسمى العرندس ويقال انه أحد بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين وكان أبو عبيدة اذا أنشدوها يقول هذا والله محال كلابى يمدح غنويا يعنى عداوة الحيين وهى هذه هينون لينون أيسارا ذوو كرم سوّاس مكرمة أبناء ايسار

ان يسألوا الخير أعطوه وان صبروا فى الجهد أدرك منهم طيب أخبار

وان تودتهم لاذوا ان شهمو كشفت أذمار شر أى أذمار فيهم ومنهم يعد المجد متلدا

ولا يعد تناخزى ولا عار

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ولا يمارون ان مارو ابا كبار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها الساري

تفانى الرجال على حبها * ومايحصلون على طائل

وقال أيضا

ومايسع الازمان علمى بامرها * وماتحسن الايام تكتب ما أملى
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النذل

وقد لمح هذا المعنى أبو العلاء المعرى فقال

بنت من الدنيا ولابنت لى * فيها ولاعرس ولا أخت

ويقال انه كتب على قبره هذا البيت

هذا جناه أبى على * وماجنيت على احد

قال علاء الدين الوداعى ومن خطه نقلت زرت قبره بالمعرة رحمه الله تعالى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين وستمائة ولم أر عليه شيئا من ذلك وقد دثر وألحق بالارض وعملت هذين البيتين

قد زرت قبر أبى العلاء المرتضى * لما أتيت معرة النعمان
وسألت من غفر الخطايا انه * يهدى اليه رسالة الغفران

وبالغ أبو العلاء المعرى فى ذم الاولاد فمن ذلك قوله

أرى ولد الفتى عبأ عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوا * واما أن يخلفه يتيما
واما أن يصادفه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

وقال الامير أبو الفتح بن أبى حصينة

وفى الدار خلفى صبية قد تركتهم * يطلون أطلال الفراخ من الوكر
جنيت على روحى بروحى جناية * فاثقلت ظهرى بالذى خف من ظهرى

وقال الباخرزى

القبر أخفى ستره للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وقال صالح بن صالح التشبتريني

تحاذر احداث الليالى وقلما * خلا من توقيهن قلب لبيب
وترتاب بالايام عند سكونها * وما ارتاب بالايام غير أريب
وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وعلى ذكر فساد الزمان فلله در البديع الهمدانى حيث يقول فى رسالة أجاب بها استاذه أبا الحسين بن فارس صاحب المجمل فى اللغة عن رسالة كتبها اليه فى ذم الزمان نعم أطال الله بقاء الشيخ أنه الحما المسنون وان ظنت الظنون والناس لآدم وان كان العهد قد تقادم فالاستاذ يقول فساد الزمان ولا يقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها لاتكسع السول باغبارها أم فى السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلام والحرتان وكربلا أم البيعة الهاشمية والعشرة براس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والبعوث على الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد الطلوع الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو

(نحن قدح ليس منها ما أنت
وهم وانى تقع منهم)

قوله نحن قدح مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال نحن قدحا على التمييز وقدح على انه الفاعل والقدح أحد قداح الميسر وهى السهام التى توضع فى خريطة ويقترع بها فاذا كان أحد القداح من غير جوهر اخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر رضى الله عنه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبى عمرو بن أمية يوم بدر فقال أبو عمرو اقتل من بين قريش صبرا فقال عمر رضى الله عنه نحن قدح ليس منها يعنى انك لست من قريش ويروى ان أبا عمرو كان عبدا وكان أمية قد عمى وكان يقوده فتبناه قلت كذا روى (وهل أنت الا واو عمرو فيهم
وكالوشيظة فى العظم بينهم)

يعنى انك مستلحق بهم ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه وليست منه وأول من أفاد هذا المعنى أبو نواس فى أشجع السلمى

أيها المدعى سليمى سفاها
لست منها ولا كلامة ظفر
انما أنت من سليمى كواو
ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

يقول

يقول طوبى لمن مات في نأنأت الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قبل اسكتي يافلانه فقد ذهبت الامانه أم في الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك واخو عاد يقول

بلادبها كنا ونحن من أهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ما فسد الناس وانما اطرد القياس ولا أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا عن صلاح ويمسي المرء الا عن صباح انتهى قلت استدل بعضهم بهذه الآية الكريمة على انه كان قبل خلق آدم خلق آخر في الارض وانهم أفسدوا فيها وأهلكهم الله تعالى لان الملائكة قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وقال آخرون لم يسكن الارض قبل آدم خلق آخر غيره وانما الملائكة علموا ان ذرية آدم يفسدون في الارض من قوله تعالى خليفة قالوا الخليفة الذي يحكم بين الخصوم والخصم اما ان يكون ظالما أو مظلوما ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد في الارض فلهذا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (رجع) قال أبو اسحق الغزي في حسن الظن

دع ما تناسب في الابصار ظاهره * ولا تقل بقياس غير مطرد

فهيئة المتنافي لا اعتداد بها * شتان ما بين مهتز ومرتعد

وقال أبو العلاء المعري

قد يعدل الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء في الزرق

وقال أبو الطيب وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول المعري فيما أظن

الناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر

والا يك مشتبهات في منابتها * وانما يقع التفضيل في الثمر

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

فاقت بسيوفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك في نشر لها أرج

فان يشاركه في اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومن الكلام النوابغ الناس أجناس وأكثرهم انجاس وقال ابن اللبانة

وقد يسمى سماء كل مرتفع * وانما الفضل حيث الشمس والقمر

ونقلت من خط السراج الوراق له

قد تشبه الحالة الاخرى وبينهما * اذا تأملت فرق عن سواك خفي

فربما صفق المسرور من طرب * وربما صفق المحزون من أسف

وقال ابن سراج انما تكون أصوات الحمام على قضية ما في نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماه غناء واذا سمعها من يحزن سماه بكاء وقال ابن قاضي ميلة

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا

وزأى انسان في النوم كأنه يكتب على ظفره ووقص رؤياه على معبر فقال رأى هذا المنام دعي في نسبه وأنشد هذا الشعر من قول أبي فراس وكالوشيظة وهي قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة في قومه أي هو حشو فيهم وتمثل به الحسن بن علي صلوات الله عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه أليس من وهن الدين وامانة السنة أن يكون معاوية رئيسا وهو الطليق ابن الطليق ويكون مثلك لي خصما وأنت شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وغلت في قريش وانما أنت منها كالوشيظة في العظم (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت اردانك وجررت هميانك واختلت في مشيتك وحذفت فضول لحيتك)

يعني لازمت منزلك وأظهرت الغنى والقرى بما تستفضله من قوتك وعطرت أكمام ثيابك وجررت هميانك وأسرولك وما أشبه ذلك قال الشاعر

يشد هميانه على عدم
وذاك من حمقه ومن تيهه

والهميان غير عربي واختلت

زها قلب الخلى فقال غنى * وبرح بالشجى فقال ناحا

وقال ابن المعتز

بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعدما انتصفا
مذكرا بالصبوح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحة لسنا الصبح واما على الدجى أسفا

وقال العماد الكاتب

وأترجة صفراء لم أدر لونها * أمن فرق الساكين أم فرقة السكن
بحق عرتها صفرة بعد خضرة * فمن شجر بانت وصارت الى شجن

وقال غيره

أمست أرحم أترجا وأحسبه * في صفرة اللون من بعض المساكين
عجبت منه فما أدري أصفرته * من فرقة الغصن أم خوف السكاكين

وقال الغزى

كالشمع يبكي ولا يدري أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

(غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت * مسافة الخلف بين القول والعمل)

(اللغة) غاض الماء يغيض غيضا أى قل ونضب وغيض الماء فعل به ذلك وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وأغاضه الله وغاض ثمن السلعة أى نقص الوفاء ضد الغدر يقال وفى بعهده وأوفى بمعنى ووفى الشئ وفيا على فعول اى تم وفاض الخبر والحديث واستفاض أى شاع وهو مستفيض ولا يقال مستفاض وفاض الماء أى كثر حتى سال على جانب الوادى الغدر ضد الوفاء انفرجت الفرجة فى الحائط طاقة تفتح ويقال رجل أفرج للذى لا تلتقى اليتاه والمراد بالانفراج ههنا التباعد فيما بين الطرفين مسافة المسافة البعد وأصلها من الشم لان الدليل اذا كان فى فلاة أخذ التراب فاستنافه اى شمه ليعلم أين هو ومن بقاع الارض الخلف بالضم الاسم من الاخلاف وهو فى المستقبل كالكذب فى الماضى (الاعراب غاض) فعل ماض و(الوفاء) فاعله (وفاض) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وفاض فعل ماض أيضا (الغدر) فاعله (وانفرجت) الواو عاطفة انفرجت فعل ماض فيه انفعل من الفرجة وهو من افعال المطاوعة كما تقول كسرته فانكسر وفرجته فانفرج والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتى (مسافة) فاعل انفرجت (الخلف) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام (بين) منصوب على انه ظرف مكان فهو مفعول فيه فعل فيه الانفراج ولفظة بين تقتضى الاشتراك فلا تدخل الا على مثنى أو مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة قال الحريرى فى درة الغواص فاما قوله تعالى مذبذبين بين ذلك فان لفظة ذلك تؤدى عن شيئين ألا ترى انك تقول ظننت ذلك فتقيم ذلك مقام مفعولى ظننت وكان تقدير الكلام فى الآية مذبذبين بين الفريقين وكشف هذا بقوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ونظيره لا نفرق بين أحد من رسله وذلك ان لفظة أحد فى قوله تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع بعضد ذلك قوله تعالى يا نساء النبى لستن كأحد من النساء وكذلك اذا قلت ما جاءنى من أحد فقد شمل هذا النفى استغراق الجنس فان اعترض معترض بقول امرئ القيس بين الدخول فحومل فالجواب ان الدخول اسم واقع على عدة أمكنة فلهذا جاز أن يعقب بالفاء كما تقول المال بين الاخوة فزيد ومثله قوله تعالى يزجى سحابا ثم يؤلف بينه اه ما اخترته من كلامه فى هذا

الفصل

أى أظهرت الخيلاء والكبر وقصصت ما استطال من لحيتك معتمدا على الوضاءة والنظافة

وأصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك واستأنفت عقد ازارك رجاء الاكتنان فيهم وطمعا فى الاعتداد منهم

فظننت عجزا)

الخ المذكانه اذا تخايل مدهما والازار الطيلسان وما أشبهه والمعنى انك ان كنت تصنع هذه الاشياء لتعد من هؤلاء القوم وتكن بهم والاكتنان ستر الشئ بثوب أو غيره فقد خبت وظننت ظنا عاجزا وهذا اللفظ منظوم من قول الخنساء حيث تقول

ومن ظن ممن يلاقى الحروب
بان لا يصاب فقد ظن عجزا

واسم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى كانت من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم حكى الاصمعى قال كان النابغة الجعدى و يجلس فى الموسم بعكاظ وتتحاكم اليه الشعراء فدخلت اليه الخنساء فأنشدته من قولها فى أخيها وان صخرا لتأتم الهداة به

كانه علم فى رأسه نار

فقال انت أشعر من كل ذات ثديين فقالت ومن كل ذى

الفصل (القول) مخفوض بالاضافة الى الظرف المكانى (العمل) معطوف عليه (المعنى) ان الوفاء نقص أوغاب أوذهب من بين الناس والغدر اشتهر وزاد وشاع واتسعت مسافة ما بين القول والعمل فى الوعود أخذ يوضح الدلالة على عدم حسن الظن بالايام وتحقيق ما ادعاه من الحزم فى ذلك وان الانسان لا يعول على أحد لان الوفاء ذهب والغدر ظهر والخلف فى الوعد زاد وهذه موجبات تقتضى التأدب بما وعظوا والاخذ بما أمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان وفى رواية يعرف به وفى رواية لكل غادر لواء عند أسه يوم القيامة وفى رواية لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير وهذه عادة العرب كانت تنصب الالوية فى الاسواق الحفلة بغدرة الغادر لتشهره بذلك قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى هذه الاحاديث بيان تغليظ تحريم الغدر لاسيما من صاحب الالوية العامة لان غدره يتعدى ضرره الى خلق كثير اهـ ويقال ان أعرق الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة غدر عبد الرحمن بالحجاج بن يوسف وغدر محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان زياد بن أبيه ولاه اياها فصالحهم وعقد لهم ثم غدر بهم وغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكرة وفضحوه وغدر الاشعث ببنى الحرث بن كعب وغزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتى قلوص أعطاهم مائة وبقى مائة فلم يؤدها حتى جاء الاسلام فهدم ما كان فى الجاهلية وغدر معدى كرب بهمرة وكان بينهم عقد فغزاهم غادرا فقتلوه وشقوا بطنه وملئوه حصى وكان بين قيس بن معدى كرب وبين مراد ولث عهد الى أجل معلوم فغزاهم فى آخر يوم من الاجل وكان ذلك يوم الجمعة فقالوا له انه بقى من الاجل يوم وكان يهوديا فقال انه لا يحل لى القتال غدا فقاتلهم وقاتلوه وهزموا جيشه وأما الوافون فكثير منهم أوفى بن مطر المازنى كان جاوره رجل ومعه امرأة له فأعجبت أخا أوفى وكان لا يصل اليها مع زوجها فوثب عليه فقتله فبلغ ذلك أوفى فقتل أخاه وقال

سعيت على قيس بذمة جاره * لأمنع عرضى ان عرضى ممنع

والحرث ابن عباد أسر عدى بن ربيعة وهو مهلهل وكان طلبته وهو لا يعرفه فقال له ان دللتنى عليه فأنا آمن فأعطاه ذلك فقال أناه وعدى ابن ربيعة فخلى سبيله والسموءل بن عادياء اليهودى ذبح ابنه وهو ينظر اليه من الحصن ولم يدفع لقاتله دروع امرئ القيس التى عنده وقصته مشهورة وعوف ابن محلم الشيبانى كان من وفائه ان مروان بن زنباع العبسى قد وتر عمرو بن هند اللخمى فجعل على نفسه ان لا يؤمنه حتى يضع يده فى يده ثم ان مروان غرا بكر بن وائل فأسره رجل من بنى تيم الله ولم يكن منيعا فخاف مروان ان يبلغ عمرو بن هند مكانه فبعث اليه من يأخذه فسمع أم أسره وهى تقول لابنها كانك أسرت مروان فقال مروان وما تأملين فى مروان فقالت مائة بعير قال فأنا مروان وهى لك ان أديتنى الى عوف بن محلم قالت ومن لى بالوفاء فأخذ مروان عودا من الارض وقال هذا لك بالوفاء فحمله ابنها الى قبة عوف فلم يجده فاجازته ابنته جماعة وبلغ عمرو بن هند ومكانه فبعث يطلبه فأبى ان يسلمه الا أن يؤمنه فقال قد آليت ان لا أومنه حتى يضع يده فى يدى فقال عوف انى أبر قسمك على ان أجعل يدى بين يديك ويده ففعل وأمن مروان ثم ان مروان وفى بوعده للعجوز مائة ناقة وتشبه هذه القصة

خصيتين وقال بشار لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وأكثر شعرها فى مراثى أخويها معاوية وصخر وأدركت الخنساء الاسلام وأسلمت حكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نظر اليها وفى وجهها ندوب فقال ما هذا يا خنساء فقالت من طول البكاء على أخوى قال لها أخواك فى النار قالت ذاك أطول لحزنى انى كنت أبكى لهما من النار وانا اليوم أبكى لهما من النار ورأت عائشة رضى الله عنها على جسد الخنساء صدارا من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قالت لم أعلم بنهيه وله سبب فقالت وما هو قالت زوجنى أبى رجلا متلافا لماله فاسرع فيه حتى نفد فقال لى الى أين تذهبين يا خنساء فقلت الى أخى صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته اما كفاك ان تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا امنحها شرارها
وهى حصان قد كفتنى عارها

ولو أموت مزقت خمارها
وجعلت من شعر صدارها
فعلت هذا الصدار تصديقا
لظنه فلا انزعه حتى اموت
وحدث علقمة بن جرير قال
استأذن الجماعة على معاوية
وكنت فيهم فلما دخلنا عليه
اجلسنا واكلنا ثم قال يا علقمة
هل عندك ظريفة تحدثنا بها
قلت نعم اقبلت قبل مخرجي
اليك أسوق شارفا لي اريد
نحرها عند الحي فادركني
الليل بين ابيات بني الشريد
فاذا عمرة ابنة مرداس مروسا
وامها الخنساء بنت عمرو فقلت
لهم انحروا هذه الجزور
واستعينوا بها وجلست معهم
فلما هيئت اذن لنا فدخلنا
فاذا هي جارية وضيئة يعني
عمرة واذا امها الخنساء
جالسة ملتفة بكساء احمر
وقد هرمت واذا هي تلحظ
الجارية لحظا شديدا فقال
القوم بالله يا عمرة الا تحرشت
بها فانها الآن تعرف بعض
ما انت فيه فقامت الجارية
تريد شيأ فوطئت على قدمها
وطأة أوجعتها فقالت وهي
مغيظة حسن اليك يا حمقاء
والله لكأنما تطئين أمة
ورهاء انا والله كنت اكرم
منك عرسا واطيب ورسا
وذلك زمان اذ كنت فتاة
أعجب الفتيان لا أذيب
الشحم ولا ارعى البهم كالمهرة

قصة حاجب بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم كان قد تدبر هو واهله أرض العراق فانكر ذلك والى الحيرة وكتب الى كسرى بذلك فكتب اليه كسرى ان أرادوا ان يرعوا بأرضنا فليقدم علينا وفدهم ويعطونا رهائن منهم فقدم عليه حاجب بن زرارة فلما وافقه على ما يريده طلب منه الرهائن فقال حاجب ليس معي سوى قوسي هذه فخذها فضحك منه أصحاب كسرى فقال لهم الملك خذوها منه فانه ان يسلمها وذهب فوفى بما وعد فصار ذلك معدودا في ما ٢ ثر بني تميم ولذلك قال أبو تمام الطائي يمدح ابا دلف من قصيدة

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

معناه ان بني عجل كانوا في ذي قار مع بني شيبان ويرون ان العرب كانت تزعم ان الفرس لا يموتون وان حنظلة العجلي حمل على رجل منهم فطعنه فقتله فقال لاصحابه ويلكم انهم يموتون فحملوا عليهم فكان سبب ظفرهم وما أحسن ما نقلت من خط بعض الفضلاء في مليح قرندلي

بدا لي في حلق الحواجب فتنة * فقلت بعقل ذا هلال فيه ذاهب
حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصلي العاشقين تعطفا * فلم يشقوا واسترهنوا قوس حاجبي

وامرأة هدية بن خشرم العذري فانه لما قدم ليقاد رفع رأسه اليها وقال

لا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا
ضروبا بالهبيه على زور صدره * اذا القوم هشوا للنعال تقنعا

فسألت المرأة ان يمهلوه قليلا ثم أتت جزارا فاخذت مدية وجدعت أنفها ثم أتته قبل ان يقتل مجدوعة ليعلم انها لا تتزوج بعده وهذه بخلاف ما يحكى عن بعض الزوجات ان زوجها وقع في السياق وكان يحبها وأهله حوله وهو في كرب الموت فاشار اليها ان تدنو منه فلما فعلت قال لها سرا سألتك بالله لا تتزوجي بعدي أحدا فقال لها أهله ما الذي قال لك قالت انه من حلاوة الروح يخلط وحكي ان عبد الحميد الكاتب قال له مروان حين أيقن بزوال ملكهم قد احتجت ان تكون مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم بآدابك وحاجتهم الى كتابتك يحوجهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أشرت اليه أنفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله وأقتل معك وأنشد

أسروفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرا

ويقال انه كان هو وابن المقنع في بيت لما هجم عليهم العباسيون وهموا بقتل عبد الحميد قال لهم ابن المقنع أنا عبد الحميد فقالوا له أكذلك فقال اتقوا الله في دمه فليس هو بعبد الحميد وأمهلوا حتى تجدوا من يعرفنا فان كنت أنا عبد الحميد قتلتموني عن يقين ولا تقتلوه ظنا اه وما أحر ما وبخ به العتابي المأمون في قوله

ما على ذا كنا افترقنا بغدر * ادولا هكذا عهدنا الاخاء
تطعن الناس بالمثقفة السمـ ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

رجع الى عدم الوفاء والغدر قال أبو الطيب

غاض الوفاء فما تلقاه من أحد * واعوز الصدق فى الاخبار والقسم

وأخذ ابن قلاقس قول الطغرائى فقال

غاض الوفاء وفاض ما * ء الغدر أنهارا وغدرا
وتطابق الاقوام فى * أقوالهم سرا وجهرا
فانظر بعينك هل ترى * عرفا وليس تراه نكرا

ومن كلام الحكماء اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقال محمد بن شرف القيروانى

ولقد يهون ان يخونك ذو هوى * كون الخيانة من أخ وخدين
لقى أخو يعقوب يعقوب الاذى * وهما جميعا فى ثياب جنين
ومضى على عن عقيل خاذلا * ورأى الامين جناية المأمون
فعلى الوفاء سلام غير معاين * شخصاله الاعيان ظنون

وقال ابن قلاقس

وبنوا الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما طووا لك باطنا ممذوقا
دوح تمرت لك الجنى أثماره * ولقد تمر به الرياح وريقا

وقال ابو فراس بن حمدان

مالى أعاتب دهرى أين يذهب بى * قد صرح الدهر لى بالمنع واليأس
أبغى الوفاء بدهر لا وفاء به * كأننى جاهل بالدهر والناس

قال أيضا

أين الخليل الذى يرضيك باطنه * مع الخطوب كما يرضيك ظاهره

وقال ابن الساعاتى

لا يغرنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال القاسم بن عمر بن منصور الواسطى

لا ترد من خيار دهرك خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب خباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

وقال آخر

لا تثـق من آدمى * فى وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا * وهو من طين وماء

وهو كقول القائل

ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أمسيت فى كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

الصنيع لا مضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من ابنتها فوصل معاوية حتى استغنى وماتت الخنساء فى زمنه بالبادية ومن محاسن شعرها قولها فى رثاء اخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل
درك ضيم وطلاب باوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب
مركبا فى نصاب غير خوار
فسوف ابكيك ما ناحت مطوقة
وما اضاءت نجوم الليل للسارى
شدوا المآزر حتى يستقاد لكم
وشمروا انها ايام تشمار
وابكوا فتى الحى لا قته صيته
وكل حى الى وقت ومقدار

وقولها من قصيدة

فاقسمت آسى على هالك
واسال نائحة مالها

ابعد ابن عمر بن آل الشريد
حلت به الارض اثقالها

قولها حلت به الارض اثقالها يحتمل وجهين احدهما ان السيد الشجاع ثقيل على الارض لسودده وسطوته فاذا مات حل بموته ثقل عنها والثانى ان الارض حلت باموالها من الحلية وسميت الموتى ثقلا للارض تشبيها للعمل والحمل يسمى ثقلا وفى قوله تعالى وأخرجت

وقلت أنا
دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من طين وماء * وأى صفا لهاتيك الجبله

وقال العباس بن الاحنف

ما أرانى الاساء هجرمن ليس يرانى أقوى على الهجران
ملنى واثقا بحسن وفائى * ما أضر الوفاء بالانسان

وقال الارجانى
ما يلتقى اثنان منصفان معا * اذا اختبرت الانام كلهم
تنصف مادام يظلمونك أو تنـ * ـصف مادام يظلمون هم

وأخذه مجير الدين محمد بن تميم فقال

لك الخير كم صاحبت فى الناس صاحبا * فما نالنى منه سوى الهم والعنا
وجربت أبناء الزمان فلم أجد * فتى منهم عند المضيق ولا أنا

حكى عن بعض العارفين انه قال طفت زمانا على من ينصفنى فلما أنصفت خنت أنا وقال التهامى

ذهب التكرم والوفاء من الورى * وتصرما الا من الاشعار
وفشت خيانات الثقاة وغيرهم * حتى أتهمنا رؤية الابصار

ونقلت من خط السراج الوراق له

وكان الناس ان مدحوا أثابوا * وللكرماء بالمدح افتخار
وكان العذر فى وقت ووقت * فصرنا الاعطاء ولا اعتذار

ونقلت منه له
رجعت عن التقاضى للتقاضى * ورب رضى بدا من غير راض
وقد غاضت بحار الجود عنا * والجأنا الزمان الى الحياض
وخربة مادر فى كل حوض * فت ظمأ كفى بالموت قاض

قلت فى المثل الاثم من مادر وكان مادر هذا اذا أورد أبله وصدرت عن الحوض الذى شربت منه خرى فى الحوض وقد بقى ماء قليل ومدره به بخلا ان يشرب من فضله قال الشاعر

قد جلبت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر

وقال آخر
كان ميثاقهم ميثاق غانيه * يعطيك منها الرضى ما يسلب الضجر
فلا يغرنك من قول طلاوته * فانما هو نور ولا ثمر
لو ينفق الناس مما فى قلوبهم * فى سوق دعواهم للصدق ما اتجروا

وبالغ عبد المنعم بن عبد المحسن الصورى حيث قال

كيف ترجو الوفاء من نسل من لم * يقف لله فى الجنان بحبه
وعزيز فى العالمين أمين * خان عهدا أبوه فى الخلد به

نسأل الله المغفرة لناظمه ولابى العلاء المعرى فى هذه المادة كثيرا ضربت عن اثباته شئ منه

ونقلت من خط السراج الوراق له

أما السماح فقد مضى وقد انقضى * فسل عنه ولا تسل عن خبره
واسكت اذا خاض الورق فى ذكره * حتى يخوضوا فى حديث غيره

ومما أحسن قوله ومن خطه نقلت

الارض أثقالها قال بعض المفسرين أى موتاها وقال بعضهم كنوزها وقولها

لعمر أبيك لنعم الفتى
تحلى به الحرب أجذالها
وخيل تكدس مشى الوعو
ل نازلات بالسيف ابطالها
لدى مارق بينها خنيق
تجر المنية أذيالها
تهين النفوس وهون النفو
س يوم الكريهة أبقى لها
ومحصنة من بنات الملو
ك تعتعت بالليل خلخالها
وقافية مثل حد السنا
ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فأوضحتها
ولم تنطق الناس أمثالها
فان تك مرة أودت به
فقد كان يكثر تقيالها

وقولها أيضا

وان صخرا لمولانا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
مثل الرديني لم تدنس شبيبته
كأنه تحت طى البرد أسوار

وقولها ايضا

فما بلغت كف امرئ متناولا
من المجد الا والذى نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة
وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل

تنسيك عرقوبا مواعيده له * عن منهج القول الصحيح نكبت
لا تسبن آمالا عليها انها * واهية الاس وقد تعرقبت

وقلت أنافي ملبح ساقي

كاني بساق كل وعد منه لي * مازا لا يخلفه على الاطلاق
حتى قطعت مطامعي من وعده * ونسيت عرقوبا بهذا الساق (ى)

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أنت حر مالم يكن منك وعد * فاذا ما وعدت صرت رقيقا
واذا شئت ان تكون عتيق الشرق من موعد فكن صديقا

وقد اشتهر قول القائل

وان حلفت لا ينقض النأي عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وأنشدت للشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله وان صح ذلك أنه له فهو روايتي عنه بالاجازة

حلفت بان لا تعلو الراح راحتي * لأعلم رشدا المرء كيف يكون
وقد أيقظ الزهر النمام وحليت * رياض باكناف الحمى وغصون
فقلت لساقيها ادرها فقال لي * أمثلك من بعد اليمين يمين
فقلت له في فتية من شعاعها * على ان تركي لو عقلت جنون
ألست ترى منها البنان خضيبة * وليس لمخضوب البنان يمين

وكتبت أنا الى المولى جمال الدين محمد بن نباته

لوان قربك بالنفوس يكون * كان العزيز لمثل ذاك يهون
لكن دهري أنت تعلم انه * ينوي الحبيب وكل مقرون
هذا اذا عاهدته أن تلتقي * ينسى ولو أنصفت قلت يخون
دهر له في كل يوم خطبة * بأهيله ما عند ذاك يمين

وقيل ان بعضهم قال لآخر أتشاركني على شرط أن لا تحلف قال اي والله قال قد حلفت قال لا والله قال له حلفت وحلفت انك لم تحلف وما اشتركنا الى الآن وما أحلى قول ابن سناء الملك

ماذا لقيت من الصدود لاني * ألقى خشونته بقلب مترف
والقلب يحلف ان سيسلو ثم لا * لا يسلو ويحلف انه لم يحلف

وقال جمال الدين ابراهيم بن النجار

ما لهذي العيون قاتلها الله تسمى لواحظا وهي نبل
ولهذا الذي يسمونه العشق مجازا وفي الحقيقة قتل
ولقلبي يقول أسلو فان قلت نعم قال لست والله أسلو

وأخبرني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان سماعا من كتابه المسمى بمجاني العصر في ترجمة جمال الدين ابراهيم الوراق الكتبي عرف بالوطواط انه كان بينه وبين بعض القضاة مودة فلما تولى ذلك القاضي قضاء الديار المصرية توهم جمال الدين انه يحسن اليه ويبره فسأله فلم يجبه الى شئ من مقصوده فاستفتى عليه فضلاء الديار المصرية فكتبوا على فتياه

أخو الجود معروف له الفضل والندا
حليف ان ما دامت تعاور يذبل
وقولها تمدح آخاها وأباها
جارى أباه فاقبلا وهما
يتعاورا رن ملاءة الحضر
حتى اذا بدت القلوب وقد
لزت هنالك القدر بالقدر
برقت صحيفة وجهه والده
ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى أن يساويه
لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا
صقران قد حطا الى وكر
يعني انه انما أفرج له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه وقيل لابي عبيد ان هذه الابيات ليست في مجموع شعر الخنساء فقال العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا ومن الشعر الذي ذكرت بسببه قولها هذه الابيات

تعرفني الدهر نهسا وحزا
وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا
فأصبح قلبي بهم مستفزا
كان لم يكونوا حمى يتقى
اذا الناس في ذاك من عزبزا
وخيل تكدس بالدارعين
وتحت العجاجة يحمزن حمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح
فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصي فرسانها
وكانوا يظنون أن لا يجزا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب
بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(وأخطأ أستك الحفرة)

هذا مثل يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ولا يناله حكى أن المختار بن أبي عبيد قال وهو بالكوفة والله لأدخلن البصرة ولا أرمي دونها بكتاب ثم لأملكن الهند والسند والبند أراد ابلبند العلم أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء والمسجد الذي ينبع منه الماء فلما بلغ هذا الحجاج بن يوسف قال أخطأت استه ابن أبي عبيد الحفرة أنا والله صاحب ذلك كان الحجاج يمثل بذلك

(والله لوكساك محرق البردين)

(محرق) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند وكان يعرف بأمه هند بنت الحرث بن جبر آكل المرار الكندي وكان يقال لعمرو مضرط الحجارة لشدة بأسه وسمي محرقا لقصة استوفى أبو الفرج شرحها في كتاب الأغاني فقال كان قد عاقد حيا طيء على أن لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ثم انه غزا اليمامة ورجع مغتبطا ومر بطي فقال له زرارة بن عدس التميمي وكان من خواصه أبيت اللعن اصب من هذا الحي شيأ فقال ويلك

باجوبة مختلفة وصير ذلك كتابا وسماه فتوى القوة ومرآة المروة وقد راحت به نعجة الى المغرب قلت سألت أنا الشيخ أثير الدين أبا حيان عن ذلك القاضي فيما بيني وبينه فاخبرني أنه شهاب الدين محمد الخوئي وقد وقفت أنا على ذلك الكتاب وتقلته بخطي وهو في الجزء الثاني عشر من التذكرة والفتيا نثر حسن وأجوبة الجماعة أهل عصره نثر ونظم ومعنى الفتيا أيجوز لمن حسنت حاله وارتفعت منزلته أن لا يحسن الى صاحبه ولا يبقى له بشيء من دنياه

*(وشان صدقك عند الناس كذبهم * وهل يطابق معوج بمعتدل)*

(اللغة) شان الشين ضد الزين تقول شانه يشينه والشائن المعايب الصدق خلاف الكذب وهو الاخبار بما يطابق الواقع في نفس الامر وقد تقدم الكلام عليه كذبهم الكذب خلاف الصدق وهو الاخبار بما يخالف الواقع في نفس الامر واستشكل بعضهم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال كيف يكونون كاذبين وقد شهدوا بالرسالة وصدقهم الله بقوله والله يعلم انك لرسوله والجواب انه انما كذبهم في خبرهم لمخالفته اعتقادهم ولتوجيه الكذب الى ما تضمنته جملة خبرهم من التوكيد بادخال ان على أحد جزئيها وبادخال اللام على الجزء الآخر وهما الثبوت التوكيد وزيادته فحمل ذلك على انه ادعاء عن صميم القلب لكنه غير مطابق للواقع عندهم في نفس الامر لان الواقع عندهم خلافه فتوجه التكذيب الى ما تضمنه نفس الادعاء لا الى معنى الامر من حيث هو وله سذا واسط والله يعلم انك لرسوله بين جملة الادعاء وجملة التكذيب دفعا لرجوع الذهن اذا توهم ان التكذيب عائد الى معنى الخبر فكان المعنى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ادعوه من مواطأة قلوبهم لألسنتهم أو ان التكذيب يرجع الى الشهادة لانه اذا لم تواطئ القلوب فيه الألسنة لم تكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسمية ذلك شهادة والمراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر والمنافقون هم الجلاس بن سويد بن الصامت وهو الذي تخلف عن تبوك وأخوه الحرث بن سويد ونجاد بن عمرو بن عامر وعبد الله بن نفيل وهو الذي كان ينقل حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقيس بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر وهو ممن بنى مسجد الضرار وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله الآية ومعتب القائل يوم أحد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وهو القائل يوم الاحزاب يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته الى الغائط ما يعدنا الله ورسوله الا غرورا ورافع بن زيد وفيه وفي معتب بن قشير ونفر نزلت ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الآية وعباد ابن حنيف بن راهب ممن بنى مسجد الضرار وقيس بن رفاعة الشاعر وقرمان حليف لبني ظفر ومن الخزرج سعد بن زرارة وكان يدخن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر وعقبة بن كريم وزيد بن عمرو وقيس بن عمرو بن سهل جد يحيى بن سعيد الانصاري والحر ابن قيس وعدي بن ربيعة وهو الذي رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذرة وابنه سويد بن عدي وعبد الله بن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين ومالك بن أبي نوفل وسويد داعس من يهود بني قينقاع (رجع) يطابق المطابقة الموافقة طابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو

واحد

واحدوا لصفتهما ومطابقة الفرس فى جريه وضع رجليه مكان يديه معوج أعوج الشئ اعوجاجا وعصا معوجة ولا يقال معوّجة فالشدة على الجيم لا على الواو يعتدل اعتدل الشئ اذا استقام فالمعتدل المستقيم (الاعراب وشان) الواو عاطفة عطفت شان على قوله وانفرجت فى البيت الذى تقدم شان فعل ماض (صدقك) منصوب على انه مفعول والكاف فى موضع جر بالاضافة (عند) منصوب بالظرفية والعامل فيه شان (الناس) مخفوض باضافته الى الظرف (كذبهم) مرفوع على انه فاعل شان ، وانما تأخر عن المفعول به للضرورة فى الوزن والهاء والميم ضمير جمع عاقل يرجع الى الناس وهو فى موضع جر بالاضافة (وهل) الواو للابتداء وهل تقدم الكلام عليها فى قوله فهل تعين على غى البيت وهى هنا للاستفهام (يطابق) فعل مضارع مغير ما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة فى قوله ناء عن الاهل البيت وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم (معوج) مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله (بمعتدل) الباء حرف جر وهى للاستعانة ومعتدل مجرور بها (المعنى) وشان كذب الناس صدقك عندهم لانك تلبست بما لم يتلبسوا به وخالفتهم فى حالهم لانك واياهم فى طرفى نقيض كما ان المعوج والمعتدل طرفا نقيض فلا تلمهم اذا باعدوك وهجروك ونفروا منك لانك لست منهم فى شئ ثم أخذ يستفهمه فقال وهل يطابق المعوج بالمعتدل والمعوج الناس والمعتدل أنت ضرب له بذلك مثلا لا يعترف له ويقول لا ما يحصل بينهما تطابق وهذا عند أهل البديع يسمى حسن التعليل لانه علل شين صدقه عند الناس وكذبهم بأن قال وهل يطابق المعوج وهو الكذب بالمعتدل وهو الصدق ومن حسن التعليل قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وأهوى الذى أهوى له اليد ساجدا * ألست ترى فى وجهه أثر الترب

وقول أبى هفان

ولولم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدرى علة للتيمم

أخذه الآخر فقال

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غيرنا طقسة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقال أبو تمام الطائى

رمى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيا فما ترقى لهن مدامع

وقال آخر

لولم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وقال مسلم بن الوليد

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

وقال الآخر

ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة * وعلو مرتبة وعز مكان
فالنار يعلوها الدخان وربما * يعلو الغبار عمائم الفرسان

وقال ابن الساعاتى

أن لهم عقدا قال وان كان لهم
فلم يزل به حتى أصاب نسوة
واذوادا فقال فى ذلك قيس
ابن وجزة الطائى
أراك ابن هند لم تعقل أمانة
وما المرء الا عهده وموائقه
فاقسمت جهدى بالاباطح من منى
وماخب فى بطحائهن دراذقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلته
لانتحين للاعظم ذوانت عارقه
سمى عارقا بهذا البيت وبلغ
الشعر عمرو بن هند فقال له
زرارة بن عدس أبيت اللعن
أيتوعدك فقال عمرو لميلة
ابن شعار الطائى أيعدونى
ابن عمك ويتوعدنى قال لا
والله ما هجاك ولكنه قال
والله لو كان ابن جفنة جاركم
ما ان كساكم ضيعة وهوانا
وأراد ميلة أن يسل سخيمته
فقال والله لاقتلنه فبلغ ذلك
عارقا فقال منشدا
أيوعدنى والرمل بينى وبينه
تبين رويدا ما امامة من هند
غدرت بعهد كنت أنت أخذتنا
عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

(١) قوله وانما تأخر الخ الصواب ان تأخير الفاعل هنا لكونه متصلا بضمير يعود على ما يتعلق بالمفعول فلو قدمه لادى الى اعادة الضمير على متأخر لفظا ورتبة وذلك لا يجوز فى فصيح الكلام اه

لاتعجبن لطالب بلغ المنى * كلا وأخفق فى الشباب المقبل
فالخمر تحكم فى العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

وما أحسن عصرها فى هذا الموضع وقال التهامى

لولم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وقال محمد بن هانئ

قد طيب الافواه طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقال آخر

قد قلت اذ أبصرته احاسرا * عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها * لاحترقت من نار خلخالها

وقال ابن قاضى ميلة

وكيف لا تدركه نشوة * واللحظ راح وجنى الريق راح
لو لم تكن ريقته خمرة * لما ثنى عطفه وهو صاح

وقال ابن سناء الملك

علمتنى بهجرها الصبر عنها * فهى مشكورة على التقبيح

وقال آخر

اعتقنى سوء ما صنعت من الر ق فيا برد ها على كبدى
فصرت عبد اللسوء منك وما * أحسن سوء قبلى الى أحد

(رجع) الى قول الطغرائى أقول سبحان الله العظيم ولا أنت يا مؤيد الدين ما طابقت بين المعوج والمعتدل لان المعوج انما يطابقه المستقيم والمعتدل يطابقه المماثل وقد اتفق له ما اتفق لابى الطيب فى قوله

نظرت الى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وحكى ان أبا الطيب قيل له هذا الايراد فى مجلس سيف الدولة وان الحال لا يطابق الاستقامة ولكن القافية أبحأتك الى ذلك ولكن لو فرض أنك قلت كأنك مستقيم فى اعوجاج كيف كنت تصنع فى البيت الثانى فقال ولم يتوقف * فان البيض بعض دم الدجاج * فاستحسن هذا من بديهته قلت انما يستحسن هذا فى سرعة البديهة والا أين قوله فان المسك بعض دم الغزال من قوله فان البيض بعض دم الدجاج وكذا حكاية خلف الاحمر مع أصحابه فى قول النمر بن تولب العكلى وتقدما فى مقدمة هذا الكتاب

ألم يحزنك وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

فقال لهم لو قال أم حفص فى البيت الاول ما كنتم تقولون فى الثانى فسكتوا فقال وحوارى بلمص والملص الفالوذج قلت ولكن أين لفظ السمن وعذوبته من اللص وقول أبى الطيب هذا فى سيف الدولة يشبه قوله فى عضد الدولة أيضا

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هراء كالكلام بلا معانى

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه
اذا هو أمسى جله من دم الفصد
فبلغ عمرو بن هند قوله فغزا طيأ فأسر أسرى من بنى عدى ابن أخزم رهط حاتم فوفد حاتم عليه وسأله فى الاسرى فاطلقهم له وكان المنذر بن ماء السماء ابو عمرو قد وضع ابنا له صغيرا يقال له مالك عند زرارة بن عدس وان مالكا خرج يوما يتصيد فاخفق ولم يجد شيأ فرجع فر بابل لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سويد وكان عند سويد ابنة زرارة فولدت له سبعة غلمة فامر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد عليه مالك بعصى فضربه فأمته فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وكانت طى تطلب غرة ابن زرارة وبنى أبيه حتى بلغهم ما صنعوا باخى الملك فقال ثعلبة ابن عمرو الطائى

من مبلغ عمرو وأبان
المرء لم يخلق صباره
وهو ادن الايام لا
تبقى لها الا الحجارة
ان ابن عمرو أمته
بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشحـ
ـيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا أرى
فى القوم أوفى من زراره

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن

وقول

وقول يحيى بن بقى مما تصطفيه وتنتقى وهو

هل يستوى الناس قالوا كلنا بشر * فالمقل الرطب والطرفاء أعواد

وبيت الحصرى أحق بالتقدم وأولى بالترنم وهو

أبابكران أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالى بعضها ليلة القدر

وصاحب الذوق لا يمترى فى أن هذا من قول البحترى

فان قصرت أكفاؤه عن محله * فان يمين المرء فوق شماله

ما أثقل قول الغزى فى هذا المعنى وأوهى وأوهن ماشاد فى هذا المبنى وهو

ولا غر وأن كنت بعض الورى * فان البلنجوج بعض الحطب

ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله وأسره بتقصيرى عن مداه فما كان هذا عهدى بوده فقال أرسل نفسك على سجيتها وأسر فى البلنسك على دجوجيتها وتعرض لنفحات صديق فما يخل عليك بالبلنجوجية فقلت نعم على تفيهقكما فى النسبة الى البلنجوج وعلى كون حروفها أطول فى هجائها من عوج وقال فى المعنى الاول عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك الفاخرون فاحجموا * وخيل المعالى غير خيل المراكب

فان زعم الاملاك انك منهم * فخارا فان الشمس بعض الكواكب

وقال خلف بن عبد العزيز الجزورى النحوى

ما أنت بعض الناس الا مثلما * بعض الحصى الياقوتة الحمراء

وقلت أنا فى هذه المادة

مولى تفرع من كرام وجوههم * وبناتهم للمجتلى والمجتنى

فاقوا الانام علاوهم من جنسهم * ومن الحجارة أعمد فى الاعين

وأما عدم المطابقة فى شعر أبى الطيب فكثير جدا من ذلك قوله

ولكل عين قرة فى قربه * حتى كأن مغيبه الاقذاء

القرة ضدها السخنة والقذاء ضد الجلاء وقوله أيضا

ولم يعظم لنقص كان فيه * ولم يزل الاميرون يزالا

العظم ضد الحقارة والنقص ضد الكمال فلو قال ولم يكمل لنقص كان فيه لكان أصنع وكذا قوله وان لم يكن من هذا الباب

لم نقتقدبك من مزن سوى لثق * ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره * ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

كان الذى ينبغى له أن يقول ولا من البحر غير الجزر والغرق لانهما من معايب البحر والريح والسفن من محاسنه وكذا قوله

لمن تطلب الدنيا اذا لم تردبها * سرورا محب أو اساءة مجرم

وليس المجرم ضد المحب ولا السرور ضد الاساءة وانما المجرم ضد المحسن والمحب ضد المبغض والسرور ضد الحزن والاساءة ضد الاحسان وكذا قوله

وانه المشير عليك فى بضده * فالحر ممتحن بأولاد الزنا

والحر ضد اللئيم وقوله

هند بكى وفاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو فى طلبه فلم يقدر عليه فاخذ امرأته وهى حبلى فقال أذكر فى بطنك أم أنثى قالت لا علم لى بذلك فبقر بطنها فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخا الملك فأته فأصدقه الخبر فاتاه فتنصل اليه فقال على بسويد فقال انه لحق بمكة قال فعلى بنيه فاتاه بنيه السبعة وأمهم بنت زرارة علسه بعضهم فوق بعض فامر بقتلهم فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يا بعضى أرسل بعضى فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو بن هند اليمة ليحرقن من بنى حنظلة مائة رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائى فوجد القوم قد أنذروا فاخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضربت رقبته وأمر لهم بأخدود ثم أضرم فيه نارا فلما احتدمت وتاظت قذف بهم فيه فاحترقوا فاقبل راكب من البراجم وهم بطن من بنى حنظلة لا يدرى بشئ مما كان يصنع بغيره فأخذوا ألقى فى النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا فقيل له لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة

كم قتيل كما قتلت شهيد * بياض الطلى وورد الخدود

وكان ينبغي أن يقول ببياض الطلى وحمرة الخدود (رجع) حكى المفضل ان رجلا من العرب كان له عبد لم يكذب قط فباعه رجل ليكذبه وجعل الخطر بينهما أهلهما وماله فقال الرجل لسيد العبد دعه يبيت الليلة عندي فقعل فأطعمه الرجل لحم حوار وسقاه لبنا حليبا كان في انا خاذر فلما أصبحوا تحملوا وقالوا للعبد الحق بأهلك فلما توارى عنهم نزلوا فأتى العبد سيده فقال أطعموني لحما الاغناما ولا سيئا وسقوني لبنا الا مخيضا ولا حقينا وتركتهم وقد ظعنوا واستقلوا فلا أدري أساروا بعدي أو حلوا وفي النوى يكذبك الصادق فأرسلها مثلا وحاز مولاه مال الذي باعه وأهله وقال بعضهم أنا لا أكذب ولو أعطيت ألف درهم فقال صاحبه هذه واحدة بالدرهم وقال آخر ما كذبت عمري فقال صاحبه هذه واحدة وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

أمستوفي قلوب * الى كم هكذا تكذب
من الصبح الى الظهر * الى العصر الى المغرب

(ان كان ينجع شئ في نباتهم * على العهود فسبق السيف للعذل)

(اللغة) ينجع نجع في فلان الوعظ أي دخل وأثر ونجع الدواء اذا أفاد نباتهم الثبات ضد الزوال العهود جمع عهد وهو اليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية السبق المبادرة والوصول الى الغاية قبل شئ آخر العذل بالسكون الملام وبالتحريك الاسم وهذا أصله مثل من أمثال العرب وصيغته سبق السيف العذل يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد وكان ضبة اذا رأى شخصا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسايره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث ذو شجون ثم ضربه به فعذل فقال سبق السيف العذل وقال جرير

يكلفني رد الغرائب بعدما * سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

وقال رؤبة بن العجاج

والصادق السابق يوم العذل * كسبق صمصامة زجر المهل

(الاعراب ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها في قوله فان جنحت اليه السلم (كان) تقدم الكلام على كان وعملها وهي فعل الشرط هنا (ينجع) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن ناصب وجازم وهو في موضع نصب لانه خبر كان ولكنه تقدم على الاسم تقديره ان كان شئ ناجعا والاصل تأخير الخبر ولكنه يجوز تقدمه في باب كان وأخواتها وتوسط الخبر جائز في جميع الباب كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقول الشاعر

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

وقال الآخر

لا طيب للعيش ما دامت منغصة * لذاته باذكار الموت والهرم

وأما تقديم الخبر على كان وبابها فجائز أيضا الا مع دام وزال وبرح وفتئ وانفك فان الخبر

وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها من أنت قالت الحمراء بنت ضمرة فقال اني لا أظنك أعجمية فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم اني لبنت ضمرة بن جابر

سادا معدا كابرا عن كابر

فقال عمرو أما والله لولا مخافتي أن تأدى مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما والذي أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ما تقتل الانساء أعاليها اندى وأسفلها اعلا قال اقذفوها في النار فالتفتت وقالت الا فتى يكون مكان عجوز فلما انطوى عليها قالت هيهات صار الفتيان حمما وسمي من ذلك اليوم محرقا ومن ملوك جفنة ايضا المحرق لكنه غير صاحب البردين فأما امر البردين فحكي ان الوفود اجتمعت عند محرق فخرج بردين من لباسه يبلو الوفود وقال ليقم اعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فائتزر بالواحد وارتدى بالاخرى فقال له انت اعز العرب قبيلة قال العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة فمن انكر هذا فليناوئني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك

لا يتقدم عليهن لان كلامنها لا يستعمل الا بحرف النفي والنفي له صدر الكلام وكذا اذا اقترنت كان وأخواتها بحرف مصدري لا يجوز ان يتقدم الخبر كقولك أريد ان تكون فاضلا وأما ليس فقد تقدم الكلام عليها (شئ) مرفوع على أنه اسم كان (في ثباتهم) في حرف جر معناه الظرفية هنا وهو متعلق بقوله يجمع ثباتهم مجرور بفي والضمير يرجع الى الناس وهو في موضع جر بالاضافة (على العهود) على للاستعلاء معنى والعهود مجرور به والالف واللام للجنس والجار والمجرور متعلق بثبات لانه مصدر وهو يعمل عمل الفعل وقد أضيف الى فاعله وهو الهاء والميم وعلى العهود مفعوله فهو في موضع نصب (فسبق) ١ الفاء جواب الشرط وسبق مرفوع على انه مبتدا (السيف) مجرور بالاضافة (للعذل) اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف تقديره فسبق السيف مستقر للعذل (المعنى) ان كان شئ من الاشياء نافعا في ثبات الناس على العهود وذلك الشئ مثل اللوم والعذل أو التعنيف على ما ارتكبوه من نقض الوفاء واظهار الغدر فان السيف سبق العذل في ذلك يعني ان هذا الامر فات وما بقي يفيد فيهم العذل شيئا كما أن السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت في كفه بعد ما يمضي ومن وضع المثل في الاصل يظهر هذا وخلاصة الحال أن رعيهم للعهود وثباتهم عليها أمر فرغ الله منه فلا تطمع في عوده كما ان المقتول لا يطمع في حياته وهيهات ما جرح بميت ايلام لقد أسمعت لو ناديت حيا وأقول ان العذل مما يغري واللوم مما يحرض والعتاب مما يزيد في الاعراض والتعنيف مما يحسن المنهي عنه وأما رعي العهود فأمر حض الله عليه ومدح من تلبس به فقال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقد روى مسلم في صحيحه بسنده والى حذيفة بن اليمان قال خرجت أنا وأبو حسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا انكم تريدون محمدا فقلنا ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه الخبر فقال انصرفا اليهم بعهدهم ونستعين الله عليهم فامرهما صلى الله عليه وسلم بوفاء عهدهم الكفار حضا منه صلى الله عليه وسلم على الاتصاف بالاخلاق الحميدة لانه كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال مالك رحمه الله يلزم الاسير الوفاء بالعهد وقال الشافعي وأبو حنيفة والكوفيون رحمهم الله تعالى في الاسير يعاهد الكفار لا يهرب منهم لا يلزمه الوفاء بذلك ومتى أمكنه الهرب هرب منهم واتفقوا على انهم لو أكرهوه فحلف لا يهرب فله ان يهرب ولا يمين عليه وأما العذل فما يفيدا الا الاغراء قال ابن سناء الملك رحمه الله تعالى من رسالة وما أتعب معاتب الايام فانه يضرب في حديد بارد وما ألام ظفر الهموم فانها كثيرة تتساعد على قلب واحد وما الطف قول القائل

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وانشدني جمال الدين محمود بن طي المعروف بالحافي قال انشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه من أبيات

ولي على عاذلي حقوق هوى * عليه شكري ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه أنا السبب

١ قوله الفاء جواب الشرط تقدم له رحمه الله تعالى نظيره وسبق بالهامش أن الصواب جعل الفاء رابطة للجواب وأن الجملة بعدها هي الجواب اه وقوله فيما بعد اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف الظاهر جعل اللام للتقوية وهي متعلقة بسبق وسبق اما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر لمبتدا محذوف والدال عليه في الصورتين الكلام السابق والتقدير ان كان شئ نافعا في ثباتهم على العهود فسبق السيف لعذلهم نافع أو فالنافع سبق السيف لعذلهم اه

واصل بيتك قال انا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها انا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه احد وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وببرديه

* (وحلتك مارية بالقرطين) * القرط نوع مما تحلى به المرأة اذنها ومارية هي ابنة ظالم ابن وهب الكندي زوجة الحرث الاكبر الغساني احد ملوك العرب بالشام وهي ام الحرث الاصغر وامها هند

وما أرق قول قرهب بن جابر الخزاعي

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى * أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وقال ابن وكيع أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لي لو هويت هذا * ما لام فيك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شمس الدين محمد بن التلمساني

أسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

ومنه قول آخر

قد قمر اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زور الكلام بعينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وما أحسن قول القائل

وما عذولي ناهيا عنكم * لكنه بالصبر أمار
قال أسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

أعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عدلي
مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على ولي

وقال شيخ الشيوخ أيضا

من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نحكمك الا اذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال أيضا ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

وقال أيضا

زعموا أني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال شهاب الدين بن الخيمي

وعذول رابني في نصحه * كلما زادت ابا زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل وداجا

وأخذت أنا هذا المعنى فقلت

تداهى عذولي في الغرام ولم تكن * مقاصده تخفى على عاشق مثلي
أحب فلما غار مني وخاف أن * أفاتحه في ذاك سابق بالعذل

الهنود امرأة آكل المرار وكان في قرطبة اللؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتها الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما ولي عمر الخلافة قال لها ان احببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولي يزيد ابن عبد الملك ارسل اليها يقول خذي القرطين والحلي من بيت مال المسلمين فقالت لا والله ما اوافقه في حال حياته واخالفه بعد وفاته وروى الميداني ان مارية اهدت قرطبة الى الكعبة وهما درتان كبيضتي الحمام لم ير في عصرهما ولا قبله مثلهما هكذا روى الميداني والله اعلم بحقيقتهما

(وقلدك عمرو الصمصامة)

هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي وكنيته ابو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة في الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة قال عمر وقدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى عليه وسلم قافلا من تبوك فاردت أن أدنو اليه فمنعني من حوله

وقلت .

وقلت يا قومي سالتكم خبروني * هكذا كل من أحب حبيبه
سقم زائد ودمع وسهد * ويحي عاذلي تمام المصيبه

وقلت ياحسرة فيه على سلوة * ليستريح القلب من عاذلي
فان عمري بين ذل الهوى * وصدله قد ضاع في الباطل

وقلت تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما
فان كان عذالي عموا عن جماله * فلي اذن عن كل ما نقلوا صما

وقلت ألح عذولي في هواه وزادني * ملامي فقلت احتل على غير مسهمي
فلم يدر من فرط الولوع بذكره * مصيبته حتى تعشقه معي

وقلت بي غزال لما أطاعت هواه * أخذ القلب والتصبر غصبا
ما أفاق العذول من سكرة العذ * ل عليه حتى غدا فيه صبا

والعلم المشهور في هذا كله قول أبي نواس

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

وقال محمد بن شرف القيرواني

قل للعذول لو أطلعت على الذي * عاينته لعذلك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك لي ولا لك ديني

وحكي ان المفضل الضبي قال له الرشيد دلني على بيت أوله أكثم بن صيفي في اصالة الرأي وجودة الموعظة وآخره بقراط في معرفة الدواء فقال يا أمير المؤمنين لقد هولت علي فقال هذا قول أبي نواس دع عنك لومي البيت وذكرت ههنا ما ذكره صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح ابن حسان يوما تم نصف بيت كأنه اعرابي في شملة والآخر كأنه مخنث يتفكك قلت لا أدري قال أجلتك حولا قلت لو أجلتني عشرا ما عرفته قال أفلك قد كنت أحسبك أجود ذهنا من هذا قلت فما هو قال قول جميل

ألا أيها النوام ويحكموهبوا * هذا الكلام اعرابي

ثم قال نسائلكم هل يقتل الرجل الحب * كأنه والله من مخنثي العقيق

قلت علم الله لولا ايراد النادرة لاستحييت ان أكتب النصف الثاني لانه محمول الى الغاية والناس ينظرون به قول الآخر

مات الخليفة أيها الثقلان * فكأنما افطرت في رمضان

و يقولون في الاول عزى الثقلين ثم انه حل في الثاني وأقول انه ليس بينهما نسبة في الانحلال وقول جميل انما يحسن من مثل فريدة جارية الواثق فانها صنعت فيه لحنا وغنت به وكانت بارعة الجمال فاذا سمع منها كان مناسبا والى بيت جميل أشار ابن نقادة في قوله

أهجر وصدوا غراب وفرقة * وبين فبالله كم يحمل الصب
فقل لمحب نبه الركب سائلا * ونام نعم قد يقتل الرجل الحب

ويقال اغنج بيت قالته العرب قول الاعشى

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلي عليك وويلي منك يا رجل

فقال دعوه فدنوت منه فقلت أنعم صباحا أبيت اللعن فقال يا عمرو أسلم تسلم ويؤمنك الله من الفزع الاكبر فاسلمت وعاش عمرو الى أيام عثمان وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك خرج له علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له اسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو ابن معدي كرب وحدث ابن أبي حاتم قال مر بنا يوم القادسية بعمرو بن معدي كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول أيها الناس كونوا أشد منا شانا ان هذا الرجل من الاعاجم اذا التقى مزراقا فانما هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سيئة قوس كان متنكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا كسر

وقيل ان عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه تعلمون ان النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أما سمعتم قوله

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

والله لا يعرف هذه الاشارة الا مخنث قلت لو كان أحد من الجلساء انتصر للنابغة لقال فمن أين ظهر لمولانا أمير المؤمنين هذا ومعرفته بذلك مما يريب ولكن حرمة الخلافة ومهابتها يمنعان المعارضة وذكر صاحب الاغانى أن المأمون قال لمن حضر من جلسائه أنشدونى بيتا لملك بدل البيت وان لم يعرف قائله انه لملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل اعرابية حل أهلها * جنوب الملا عينالك تنهدران

قال وما فى هذا ما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ثم قال الشعر الذى يدل على أن قائله ملك قول الوليد بن يزيد

اسقنى من سلاف ريق سليمى * واسق هذا النديم كاسا عقارا

أما ترى الى اشارته وقوله هذا النديم فانها اشارة ملك ومثل هذا قوله

لى المحض من ودهم * ويغمرهم نائلى

وهذا قول من يقدر بالمال على طويات الرجال يبذل المعروف فيهم ويمكنه استخلاصها لنفسه وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان الاندلسى للسلطان أبى عبد الله محمد بن السلطان الغالب بأمر الله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجى يعرف بابن الاحمر ملك الاندلس قال رأيته مرارا بغرناطة وأنشدته شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر وكان رجلا جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين

أيا ربة القرط التى حسنت هتكى * على أى حال كان لابد لى منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعزوهو أليق بالملك

انتهى وقلت أنا رادا عليه

تملك بذل فهو أليق بالهوى * لتنظم مع أهل المحبة فى سلك

متى لاق بالعشاق عزوسطوة * كأنك من ذل المحبة فى شك

وممن قال الشعر فى محبوبه من الخلفاء والملوك هرون الرشيد فانه قال فى هذه المادة

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحلان من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه غلبن أعز من سلطانى

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموى أحد خلفاء المغرب

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان

وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران

وتملكت نفسى ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان

حاكمت فيهن الصدود الى الصبى * فقضى بسلطان على سلطانى

فأبحن من قلبى الحمى وتركننى * فى عز ملكى كالاسير العانى

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثان

منقه ثم أمر الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنطقته وألقاه وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع وحكى أبو عبيدة قال لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبى وقاص الخمس ثم قسم البقية فاصاب الفارس ستة آلاف وبقى مال كثير فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه أن رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه كذلك فكتب اليه أن أعط ما بقى حملة القرآن فاتاه عمرو بن معدى كرب فقال ما معك من حفظ القرآن قال انى أسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن وقيل أتاه بشر بن ربيعة فقال له ما معك من حفظ القرآن قال معى بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم فقال سعد ما لك فى هذا المال من شئ ولا من نصيب فقال عمرو منشدا

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير

تعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبيات فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه أعطهما على بلائهما فاعطاهما

ماضر أنى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى

وقال الملك تميم بن المعز بن باديس

بالله جد لى بوعد صدق * وحل هذا الدلال عنكا
ولا تدعنى أظل أشكو * مثل محياك ليس يشكى

وقال القائم بأمر الله العباسى

جمعت على من الغرام عجائب * خلفن قلبى فى أسار موحش
خيل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذى ونمام يشى

وقال ابن منقذ

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من * كفى غلهما غيظا الى عنقى
واستعير اذا عاتبته حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحمق

وقال الظاهر غازى فى مملوكه أيبك الجمدار

أنا مالك مملوك ظبى أغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وأنا الغنى وانى من وصله * بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفى عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك

(رجع الى العذل) أخذ ابن قلاقس قول أبى نواس فقال

فدعى الملامة فى التصابى واعلمى * أن الملامة ربما تغرينى

وما أحسن قول ابن سناء الملك

وصفتك واللاحى يعاند بالعذل * فكنت أبا ذر وكان أبا جهل
له شاهدا زور من النهى والنهى * عليك ومن عينيك لى شاهدا عدل

وقال شرف الدين على بن جبارة هذا البيت نادرة قصيدته وعين قريدته وقد أخذه أخذا وفلذه فلذا من قول شاعر متقدم

ولى عاذل يعزى الى الجهل لم يخل * بأنى فى دعوى الغرام أبو ذر

قلت لكنه أخذه وقف عاج وأعاده درة تاج ألا ترى الى أنه قابل فيه بين أبى ذر وبين أبى جهل فزاده حسنا وكان فيه ليلى فضم اليها لبنى وكرر ابن سناء الملك هذا فى شعره فقال

أيا عاذلى فيه لما رآه * لئن كنت أعمى فانى أصم
وهبك أبا ذر هذا الملام * فانى أبو جهل هذا الصنم

ومن أبيات المعانى

وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومنى العاذل فى حبه * وما درى شعبان أنى رجب

قلت العرب كانت تسمى المحرم المؤتمر وصفر ناجرا وربيعا الاول خواناو ربيعا الآخر بصانا وجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخرة الرنى ورجب الاصم وشعبان العاذل ورمضان الناتق وشوالا الوعل وذا القعدة برنة وذا الحجة برکا وأبو العلاء المعرى ممن أكثر من هذا النوع فقال

هزت اليك من القدا بن ذى يزن * ولاحظتك بهاروت على عجل
أرتك عم رسول الله منتقبا * أبا حذيفة يحكى أو أبا جهل

أربعة آلاف درهم وحكى المدائنى قال كان عمرو بن معدى كرب فى سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل فر عمرو على فرس له فقال سلمان هذا هجين فقال عمرو وعتيق قال فأمر به فعطش ثم دعا بترس فقلبت فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين فقال له الا ترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغنى ما قلت لامير ك وبلغنى أن لك سيفا تسميه الصمصامة وعندى سيف مصمم بالله لئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به شراسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوما فقال ما تقول فى الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن ضعف تلف قال فما تقول فى الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال عبدك ثكلتك أمك قال عمر بل أمك فقال الحمى أصرعتنى فاغلظ له عمر فى الكلام فقال

ابن ذى يزن هو سيف ملك مشهور وروها روت ملك ساحر والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة وحملهما ابنا بدر وقال أيضا

نهارهم ابن يعفر فى ضحاه * وليلة جارهم بنت المخلق

ابن يعفر هو الاسود وبنت المخلق هى ليلى أى ليلة مظلمة وقال آخر

على أبوابه فى كل وقت * لسائله أخو عمرو بن أد

أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد

وقد ألقى كساء أبى عبيد * عليك فصرت أكسى أهل نجد

أراد أبوك أمك حين زفت * فلم يوجد لامك بنت سعد

أرانى الله عينك فى الجعبا * وعينك مثل بشار بن برد

أخو عمرو وضبة وأخو لخم جذام وأبو عبيد الابرص وبنت سعد عذرة وبشار بن برد أعمى وقال محمد بن عبدون يصف خمرا عادت خلا

ألا فى سبيل الله هوكاس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت

أتت بنت بسطام بن قيس عشية * وراحة كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام هى صهباء وجسم الشنفرى عنى به قوله

فاسقنيها أباسواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل

وذكرت هنا ما اتفق للشريف أبى الحسن على بن اسمعيل الزيدى لانه عمد الى شراب اعتصره فى جرتين فوجد احداهما خلا فقال

رب اختين أمستا طوع ملكى * نجل أم تصببوا اليها الرجال

هذه حسنها مقيم وهذى * غيرت حسن حالها الاحوال

فاقتضاض الحسناء سهل حرام * واقتضاض السوآء صعب حلال

قال ابن رشيق أخذ البيت الاخير من قول ابن هرمة وقد توعده الحسن بن زيد فى شرب الخمر

أرى طيب الحلال على خبثا * وطيب النفس فى خبث الحرام

قلت ومن هنا ولد ابن حجاج فيما أظن قوله

كيف لا أشرب من صالحها * وعلى فاسدها فطر الصيام

واما ابن هرمة فكان منهوما فى الشراب لا يصبر عنه قال مرة للمنصور فيما أظن يا أمير المؤمنين اكتب الى عامل المدينة ان لا يحدنى فى الخمر اذا أتى بى اليه فقال ويحك هذا حد كيف أكتب باسقاطه عنك قال يا أمير المؤمنين تحيل لى فى ذلك قال فكتب الى عامل المدينة اذا أتى اليك ابن هرمة وهو سكران فحده ثمانين واجلد من حمله مائة فكان العسس يمرون به وهو ملقى على الطريق فلا يتعرضون له ويقول أحدهم من يشترى ثمانين بمائة وسئل بعضهم عن معشوق له فقال هو أبو سفيان فقيل له استعن عليه ببنت بسطام أراد انه صخر والآخر أراد ان يسقيه صهباء فنظم ذلك بعض الشعراء فقال

ولم أنسه اذ زار بعد ازورار * فبت نديم البدر فى ليلة البدر

وكان أبو سفيان حتى تولعت * به بنت بسطام فبتنا الى الفجر

خليفة بغداد الموفى ثلاثة * وعشرين والموفى الثلاثة فى مصر

أتوعدنى كأنك ذو رعين
بأنقم عيشة أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك
يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص منى قال بل أعفو يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها منك لجالتك بالسيف أخذ منك أم ترك قال وما هى قال سمعتك تقرأ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والله لو علمت انى اذا دخلتها مت لفعلت وحكى أن عيينة بن حصن لما قدم الكوفة أقام أياما ثم قال والله مالى بابى ثور عهد ثم ركب فرسا وسأل عن محله بنى فزيد فأرشدا اليها وسأل عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا أبا ثور أخرج الينا فخرج مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال له أنعم صباحا أبا مالك فقال او ليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندى كبشا سمينا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم ألقاه فى قدر وطبخه وجلس يتحدث الى ان أدرك فثرد فى جفنة عظيمة وألقى القدر عليها وقعدا فأكلا منها ثم قال أى الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية فقال اولس حرمها الله تعالى فى الاسلام

أراد المطيع والحاكم وقال أبو الحسين الجزار

يا أخا مالك ويا من له الخنساء أخت ويا أبا المعاذ

أراد متمما وصخرا وجبلا (رجع) وأما هذا المثل أعني سبق السيف العذل فقد استعمله الشعراء كثيرا وأحسن ما فيه ما نقلته من خط السراج الوراق له

قلت اذ جرد لحظا * حده بدني الاجل
ياعذولي كف عني * سبق السيف العذل

وقول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

ياغصنا قد طاب لي منه الجنى * ويا غزالا الذلي فيه الغزل
طرفك قبل العذل قد بادني * فما احتيالي سبق السيف العذل

وقال أبو الطيب

ترابه في كلاب كحل أعينها * وسيفه في جناب يسبق العذلا

قال بن وكيع لو قال

احسانه في كلاب غيث مجدبها * وسيفه في جناب يسبق العذلا

لصح التقسيم اذ ليس التراب ضد السيف وقال بن الحاجب القديم

وحاولت بالعذل ان ترشدني * فقلت مهلا سبق السيف العذل

وقال بن نباتة السعدي

يا أهل بابل عزمي قبله فكري * في النائبات وسيفي يسبق العذلا

(يا وارد اسؤر عيش كله كدر * أنفقت صفوك في أيامك الاول)

(اللغة) الوارد الذي يرد الماء ليشربه سؤر السؤر البقية يقال اذا شربت فاسئر أي أبق شيئا من الشراب في قعر الاناء والنعت سائر على غير قياس لان قياسه مسئر ونظيره أجير فهو جبار وبهذا استدل على ان سائرا بمعنى الباقي وليس هو بمعنى الجميع وقد تقدم الكلام في هذا عيش العيش تقدم الكلام عليه كله بمعنى جميعه وكل لا يدخله الالف واللام في كلام العرب لانه وضع في الاصل للشيوع ولكن أرباب المعقول غيروا هذا الاصل فقالوا الكل والجزء وكل لا يؤكد به الا ما يبعض فتقول ذهب المال كله ولا تقول جاء زيد كله وتقول اشتريت العبد كله ويؤتى باجمع بعد كل في التأكيد قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون قال الشيخ الامام جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى وأغفل أكثر النحويين جميعا وتبعه سيبويه على انها بمنزلة كل معنى واستعمالا ولم يذكر شاهدا من كلام العرب وقد ظفرت له بشاهد وهو قول امرأة من العرب ترقص ابنها

فداك حي خولان * جميعهم وهمدان
وكل آل قحطان * والاكرمون عدنان

والكليات الخمس عند أرباب المنطق هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس كالحيوانية والنوع كالانسانية والفصل كالناطقية ولا يريدون بالناطقية ما يفهمه عوام الناس من أنه النطق بالكلام لانه ينتقض بالدرة وهي البيغاء اذا حاكت شيأ من ألفاظ الناس يلزم ان تكون انسانا لانها بهذا الاعتبار حيوان ناطق وينتقض بالاخرس والطفل الذي

فقال انت أقدم اسلاما أم أنا قال انت قال فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريما الا انه قال فهل أنتم منتهون فقلت الا نتم جاءنا بنبيذ وجلسنا نشربان ونتحدث ان ويذكر ان ايام الجاهلية حتى أمسينا فلما اراد عيينة الانصراف قال عمرو ان انصرف ابو مالك بغير حبانها لوصمة فأمر له بناقة ارحبية وحمله عليها ثم اتى بمزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه فقال اما المال فوالله لا آخذه ولا ألمسه فانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة * فنعم الفتى أنت المزور المضيف

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة الا الكذب حكى أبو عمرو بن العلاء قال وقف عمرو يوما بالمربد يتحدث على عادتهم فقال غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مستر فعين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فاخذت رأسه وكان خالد بن الصقعب حاضرا فقال بعض الجماعة مهلا لا أبا ثور قتلك يسمع كلامك وأشار اليه فقال اسكت انما أنت محدث فاسمع أو قم ثم التفت الى خالد وقال انما نرهب هذه

لا يتكلم انهما ليسا من الناسي لانهما غير ناطقين وانما يريدون بالناطقية القوة المفكرة فعلى هذا دخل الاخرس والطفل في حد الانسان وخرج عنه البغاء والناطق هو فصل الانسان عن سائر الحيوان والخاصة كالكتابة لانها تختص ببعض النوع ولم تعمه والعرض العام كالضاحكية لانها عامة لجميع النوع ولهذا كان التعريف في الحدود بالجنس القريب والفصل مطردا منعكسا والتعريف بالجنس القريب والخاصة مطردا غير منعكس ولقد زلت هذه الجماعة فلم يعرفوه حتى مثلته بأمثلة كثيرة منها قول النحاة في الاسم انه كلمة تدل على معنى غير مقترنة بأحد الازمنة الثلاثة ولهم في الاسم أيضا انه كلمة تدخلها حروف الجر أو الالف واللام أو التنوين فالتعريف الاول بالجنس القريب والفصل لاجرم أنه مطرد منعكس حيث وجد الحد وجد المحدود وحيث وجد المحدود صدق الحد لان كل اسم هو كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان وكل كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان فهي اسم والتعريف الثاني بالجنس والخاصة لاجرم أنه مطرد غير منعكس لان كل كلمة دخلها الجر أو الالف واللام أو التنوين فهي اسم وليس كل اسم يدخلها الجر كباب مالا ينصرف والمبنيات ومالا يدخله الالف واللام مثل كل وغيرو ذكاء ودجلة وغير ذلك ولا التنوين مثل الاسماء المؤنثة المقصورة كحبلى ودنيا وبابهما فأنت ترى كيف اطرد وما انعكس بخلاف الاول فتنبه لهذه القاعدة فانها فائدة جليلة (رجع) كدر الكدر ضد الصفاء قال أصحاب التجارب ان الخيل لا تشرب الماء اذا كان صافيا ولهذا تضربه بأيديها حتى يتعكر وعال بعضهم هذا بأن الخيل ترى خيالها في الماء الصافي فلهذا تكدره وهذا تعليل عليل لا يشفي به غليل وذكرت بالعكر هنا قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر لما كانوا في حصن عكار وهو

حصن عكار ماصفا * قط يوما من الكدر
كيف يصفو الذي ثلا * ثة أرباعه عكر

وقال لما فتح ومن خطه نقلت

يا مليك الارض بشراك فقد نالت اراده
ان عكار يقينا * هي عكار زياده

ومن هذه المادة قوله ومن خطه نقلت

قولهم عني صبيغ * لي في ذاك اراده
ليس الا ليقولوا * ذا صبي وزياده

وذكرت بالاول ما حكي عن القاضي الفاضل رحمه الله وقد ركب القاضي المكين بن خيوس ولم يكن معه مقرعة فأعطاه القاضي الفاضل مقرعة فرماها ثم ردفي طلبها عجلا فاوجدها فعاد بسكينة لخيبته فأنشدها الفاضل رحمه الله تعالى

يا غاديا شبه السفيه وعائدا مثل الحليم
ضيعت مقرعة وعد * ت بغيرها من غير ميم

وما أحسن قوله وقد ورد نعي الملك الناصر من الشرق ولم يصح ذلك

نعي زاد فيه الدهر مما * فأصبح بعد بؤساه نعيما
وما صدق النذير به لاني * رأيت الشمس والنجوما

المعدية بهذه الاخبار ومضى في حديثه فلم يقطعه فقال له رجل انك لشجاع في الحرب والكذب فقال اني كذلك وحكي أبو عمرو بن العلاء قال جاء رجل الى عمرو وهو واقف بالمربد على فرس له وقد أسن فقال لا تظن ما بقي من قوة أبي ثور فادخل يده بين ساقه وجنب الفرس فقطن عمرو لذلك فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه صاح به فقال يا ابن أخي مالك قال يدي تحت ساقك فخلى عنه وقال ان في عملك بقية بعد ومن كلامه حكي أنه أتى مجاشع ابن مسعود فقال أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فمر ببني حنظلة فقالوا يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك فقال لله بنو مجاشع ما أشد في الحروب لقاءها وأجزل في اللزبات عطاءها وأحسن في المكرمات بناءها والله لقد قاتلتها فما أجبنتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما ألحمتها ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زورا كأنها * جداول ماء أرسلت فاستطرت

ويقال ان ابن عمار دخل يوما الى مجلس فيه ابن اللبانة الدانى ولم يكن ابن عمار يومئذ قد رأس فقال له اجلس يا ابن عمار بغير ميم فقال له نعم يا دانى بغير ألف وقال أبو تمام الطائى

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أخذه ابن الرقاق فنقله الى وصف قوس فقال

أفديك من ظبية زوراء * مشغوفة بمقاتل الاعداء

ألفت حمام الأيك وهى نضيرة * والآن يألفها بكسر الحاء

ولكنه نقص المعنى الذى حاوله بزيادة الأيك لان الحمام بكسر الحاء لا يضاف الى الأيك ولو قال ألفت الحمام وسكت لكان أحسن وأتم وقال ابن وضاح المرسى فى ذلك

عجبى من القوس الكريمة انها * لم ترع حق حمائم الاغصان

أضحت لها حتفا وكاتب مألفا * وكذاك حكم تصرف الازمان

وقال المحصرى المكفوف فى موت المعتضد ولاية ابنه المعتمد

مات عباد ولكن * بقى الفرع الكريم

فكأن الميت حى * غير أن الضاد ميم

وقال ابن سناء الملك

لم أنس اذ زرانى كالبدر مكتملا * بالحسن مشتملا بالسحر مكتحلا

رنا الى بعينيه فقلت طلا * حتى اذا كسر الاجفان قلت طلا

وحكى لى ان أبا الحسين الجزار أو السراج الوراق شكا فى طريق الجزيرة الخضراء الى أبى الوصف له بعض الاطباء سفوفا فلما تناوله أفرط به الاسهال فقال

فتحت على بابا بالسفوف * وصلت به الى الامر المخوف

ولكن الحكيم أراد خيرا * فجاء بغير ياء فى الحروف

ونقلت من خط السراج الوراق له

قلت له مسليا * عن حالة ماشاءها

لعل فيها خيرة * فقال أخر يا ءها

ونقلت منه أيضا له

قالوا وقد سمعوا مدحى له ورأوا * حالا باعقاب ذاك المدح مجهوده

ما كان رأيك محمودا بمدحته * فقلت كلا ولكن كان محموده

ووجهه شاهد ينبيك عن خبرى * والباء فى خبرى ليست بموجوده

وقال بعضهم من طين طوبى خلقت فذا * فأنت فى ذا الورى غريب

بدلت النون فيك باء * فالناس طين وأنت طيب

وقال أبو الحسين الجزار

ومحبة خالفت النفس من * عنفها فيها ومن لامها

قد صح عندى انها حلية * وانما هم قدموا لامها

وقال ابن دانيال فى الفخر الصائغ

قد كنت بالغمر ذا ضلال * انجبته مخلص الوفاء

وحاشت الى النفس أول فكرة

فزدت على مكروهها فاستقرت

ظللت كأنى للرماح دريئة

أقاتل عن احساب جرم وفرت

ولو أن قومى انطقتنى رماحهم

نطقت ولكن الرماح أجرت

قوله أقاتل عن احساب جرم من الهجاء المحض وذلك أنه ذكر أن قومه فروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غضبا لهم وعصبة وقوله ولو أن قومى أنطقتنى يعنى لو قاتلوا وطاعنوا نطقت بمدحهم ولكنهم فروا فاسكتونى عن المدح والاصل فى الاجارة أن الفصيل اذا أراد وافطامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضاع وقوله فى القصيدة التى أولها

أمن ريحانة الداعى السميع

وقد عجبت امامة ان رأتنى

تفرع لمتى شيب فظيع

أشاب الرأس أيام طوال

وهم ما بلغه الضلوع

وزحف كتيبة لقاء أخرى

كان زهاءها رأس صليع

واسناد الاسنة نحو نحرى

وهز المشرفية والوقوع

فان تنب النوائب آل عصم

تجد حكامهم فيها رفوع

اذا لم تستطع شيأ فدعه

وجاوزه الى ما تستطيع

وصله بالتروع فكل شئ

سمالك أو سموت له نزوع

وقوله أيضا

يا أيها المغتابنا
جهلا بنا وولدت عبدا
ليس الجمال بمئزر
فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن
ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا
بغة وعداء علندى
وحسام ذا شطب يقد
البيض والابدان قدا
كل امرئ يجرى الى
يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا
يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت محاسنها التى
تخفى وعاد الامر جدا
نازلت كبشهم ولم
أر من نزال الكبش بدا
كم ينذرون دمى وانذر
ان لقيت بأن أشدا
كم من أخ لى صالح
بوأته بيدى لحدا
ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فردا

قلت لو لم يكن له الا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير وأما الصمصامة فهى سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمير أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهى ذوالفقار وذو النون ومجذوب ورسوب والصمامة فأما ذوالفقار فكان لرسول

حققته اذ دعواه نخسرا * فكان نخرا بغير فاه

وقال أيضا

عوادنا علق الفصيح امرؤ * ينبح أى قد صار هباء
كأنه اذ سقطت داله * فأصبح العواد عواء

(رجع) أنفقت أذهبت صفوك الصفو ضد الكدر الاول جمع أولى مثل كبرى وكبر (الاعراب يا) حرف نداء وحروف النداء خمسة وهى الهمزة وأى ويا وأيا وهيا اما الهمزة فانها للقريب مثل الذى يليك وأى لا بعد منه كالذى تراه قريبا ويا وأيا للبعيد قليلا وأيا لا بعد منه وهيا للبعيد الذى يحتاج الى مد الصوت ويا تستعمل للجميع وقد ينزل البعيد قريبا والقريب بعيدا لفوائد يعرفها أرباب المعانى وقد اعترض على النحاة أجمع فى قولهم الكلام لا يتركب من اسم وحرف بمثل يا زيد فانه بالاجماع منهم كلام وقد تركب من اسم وحرف والجواب ان هذه أسماء أفعال لان يا معناه أقبل كما ان صه معناه اسكت ومن قال انها أسماء أفعال خلص من هذا الايراد ولكن تعكر عليه الهمزة فانها لم تأت اسم فعل من حرف واحد ومن قال انها حروف أجاب عن هذا الايراد بأن التقدير فى يا فلان أدعو فلانا وأورد عليه ان يا زيد صيغة انشاء ومتى قدر أدعو زيدا انقلب من الانشاء الى الاخبار واحتمل الصدق والكذب وهذا باطل فان من قال يا زيد لا يقال له صدقت ولا كذبت والجواب ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار لان المتكلم اذا قال بعت فهذا مشترك بين الانشاء والاخبار اذ يحتمل ان يكون قد أخبر بأنه وقع منه بيع فى زمن ماض فيقال له كذبت ما وقع منك بيع أو صدقت وقع منك ذلك وما يصرف هذه الصيغة الى الانشاء أو الى الاخبار الا القرينة مثل ما اذا كان انسان قد ساومه آخر وطلب منه البيع فيقول بعت فهنا تعينت الصيغة بالقرينة الى الانشاء قالوا وسلمنا ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار ولكن قولنا يا زيد خطاب مع زيد ومتى قدر أدعو زيدا انقلب الخطاب لغيره وهذا مشكل وقد استوفيت البحث فيه فى أول التعليقة على الحاجبية (رجع) المنادى منصوب الموضع واللفظ اما اذا كان علما مفردا مثل يا آدم بنى على الضم أو مفردا ويراد به الافراد هنا أن لا يكون مضافا فان المنادى المضاف منصوب مثل يا عبد الله والافالمجموع والتثنية غير مفرد وهو مرفوع تقول يا زيدون ويا زيدان فهذا منصوب الموضع وأما اذا كان غير مفرد أو علم فانه منصوب اللفظ وانما بنى المفرد على الضم لانه أشبه المضمر والمضمر مبنى ووجه الشبه انه مفرد كما انه مفرد وانه مخاطب كالكاف فى أدعوك وأناديك وانه معرفة كما انه معرفة ولانه صار مع حرف النداء كالاصوات نحو حوب وهيد وهلا وعدس وانما بنى على حركة اشعارا بطرو الحركة وتمييزا له على ما لم يدخله الاعراب نحو ومن وكم واعلما بعدم الثبوت فى بنائه وانما كانت رفعا لانه لو كسر أشبه المضاف الى ياء المتكلم ولو فتح لأشبه المضاف اذا نودى فى يا غلام زيد ولانه أعطى أقوى الحركات جبرا له لما أخذ منه الاعراب فالمنادى ان كان معرفة بنى على الضم نحو يا الله يا محمد يا آدم وما أحلى قول ابن عنين

مال ابن مادة دونه لغفاته * خرط القتادة أو منال الفرقد
مال لزوم الجمع يمنع صرفه * فى راحة مثل المنادى المفرد

وان كان مضافا نصبت فقلت يا عبد الله يا غلام زيد فأما اذا لم يكن معرفة ولا مفردا وهو نكرة

لم يقصد لها معين كقول الاعمى يا رجلا خذ بيدى فانه ينصب وينون فتقول يارا كبا ياساهيا يانائما (رجع الى اعراب البيت واردا) نكرة غير مقصودة فلهذا نصب وهو اسم فاعل من ورد فهو وارد (سؤر) منصوب على انه مفعول به لاسم الفاعل (عيش) مجرور بالاضافة بمعنى اللام (كله) مرفوع على انه مبتدا والهاء فى موضع جر بالاضافة (كدر) مرفوع على انه خبر والجملة فى موضع نصب لانه صفة لسؤر وان شئت فى موضع جر لانه صفة لعيش وهو أحسن (أنفقت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (صفوك) منصوب على انه مفعول به لأنفقت والكاف فى موضع جر بالاضافة (فى أيامك) فى هنا ظرفية متعلقة بأنفق أيامك مجرور بفى والكاف فى موضع جر بالاضافة (الاول) مجرور لانه صفة لايام وقد تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) يامن ورد بقية عيش كله كدر ولاى شئ ترد هذا الكدر والصفو قد أنفقته وأفنيته فى ايامك السالفة وهذا الذى يسميه أرباب البلاغة التجريد وهو أن يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يتجرع بمعاتبته وتعنيفه وتوبيخه وهذه عادة جارية لكل من آخذ نفسه فاخذ يوبخها ويعاتبها فيقول من قال لك تفعلين هذا ولم كنت اعتمدت هذا الامر الفاسد وامثال ذلك (وقد) استعمل الشعراء ذلك كثيرا كقول الحمص بيص

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر
حكمت نصيب الشعر علما وحكمة * ببعضها ينقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الشعالى ومحيى الدارسات الغوابر
فانك أعييت المسامع والنهى * بقولك عنا فى بطون الدفاتر

ومنهم من لا يقصر اسم التجريد على مخاطبة المتكلم غيره مريدا نفسه ولكن يجريه فى كل ما يصح ان يشتق له بان يكون قد جرد فيه شئ من آخر كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد أى الجنة والجنة هى دار الخلد ولكنه جرد من الدار دارا وقوله تعالى وهى قراءة على كرم الله وجهه يرثى وارث وهو الوارث نفسه ولكنه جرد من الوارث وارث وقول الشاعر

وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل البعير المرحل

يريد ويعنى من نفسى بمستلئم فجرد من نفسه مستلئما جعله مصاحبا له (رجع الكلام الى الصفو فى أيام الشباب) نعم ان الصفاء والعذوبة والهناء انما هى معصوبة بالشباب ومنهل الصبى رائق العيش هنى المورد عذب المذاق لذيذ المطعم فاذا اتى زمن المشيب كدر منهل العيش وغصص وارده بكره مذاقه وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ومنكم من يرد الى أرذل العمر وقال تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وقرئ تنكسه بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الكاف قال الشاعر

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

أخذه ابن شرف القيروانى فقال

ومن يطل عمره يفقد أحبته * حتى الجوارح والصبر الذى عيلا

وقال الآخر

ومن يعمر يلاق فى نفسه * ما يتمناه لاعدائه

وقال الآخر

طول حياة ما بها طائل * نقص عندى كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل فى مهده * تشابه المبدأ والمنتهى

الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر وهو مجذوب ورسوب للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب وحكى ان عمر ابن الخطاب قال لعمرو ابعث لى الصمصامة فبعث به اليه فلم يره كما بلغه فقال له فى ذلك فقال انى بعثت اليك الصمصامة ولم أبعث لك باليد التى تضرب به وحكى ابو عبيدة ان الصمصامة انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا بنى زبيد وكان خالد بن سعيد من جملة أمرائه اوقع بهم واسر ريحانة اخت عمرو ابن معدى كرب فقداها خالد واثابه عمرو والصمصامة ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى ان صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط ارسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه فى السيل محبسا فقال خمسون سيفا قاطعا فى السيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا واخذه فلما صار الى الهادى احضره وامر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من أبيات

جاز صمصامة الزبيدى عمرو
من جميع الانام موسى الامين

فلا تسلم سعى اذا خانتى * ان الثمانين وبلغتها

وقال ابن واصلة من شاب قدمات وهو حى * يمشى على الارض وهو هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * كان له شيبه فذالك

وقال أبو العلاء المعرى

وأطربنى الشباب غداة ولى * فليت سنيه صوت يستعاد

وقال التهامى وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى

وقال الارجانى

ارى بين أيامى وشعرى قد بدا * لتجهيل اتلافى خلا فايجدد
فقد أصبحت سودا وشعرى أبيضا * وعهدى بها بيضا وشعرى أسود

وقال ابن افلح يعتذر عن الانحناء

قالوا انحنى كبرا فقلت سفاهة * لمقال من لم يهتد فى قيله
سكن الحبيب شغاف قلبى ثاويا * فحنوت منعطفا على تقبيله

وقال الآخر يعتذر عن اللهو فى المشيب

وقالوا انتبه من رقدة اللهو والصبى * فقد لاح صبح فى دجاك عجيب
فقلت اخلائى دعونى ولذتى * فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال ابن المعتز يعتذر عن المشيب

صدت سريرة ازمعت هجرى * وصفت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر

وقال أبو تمام الطائى

رأت تبسمه فاهتاج هائجها * وقال لاعجها للعبرة انسكبى
فلا يروقنك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الرأى والادب

وما أحسن قول ابى تمام الملقب بالحجام

ليالى كان العيس غضا يظلنى * نضيرا وماء الوعد غير مشوب
وعينى قد نامت بليل شبيبتى * ولم تتنبه الا بضجع مشيب

وقال ابن سناء الملك يعتذر عن شيب الحبيب

ما شاب من كبر ولكن شيبه * من ناء ورد الريق او مسك الما
لا يستوى شيبى وشيب معذبى * هذا عن رى وهذا عن ظما

وقال أيضا فى شيب الحبيب

جاء فى غير وقته ذلك الشيـ * ـب فسماه ثوب لثمى بذيلى
ولقد زاده جمالا وحسنا * زادونى من الغرام وويلى
ولقد طفل المشيب وقلنا * حسن الطفل ذا المشيب الطفيلى

وقال ايضا لقد شيبتنى فى الزمان خطوبة * ولا عجب ان شاب من شابه الخطب
ونور شيب فى عذار معذبى * ولا عجب ان نور الغصن الرطب

وقال ايضا قالوا لقد شاب الحبيب وشاب منه كل عزم

فاجبت

مايبالى من انتضاه اضرب
اشمال سطت به ام يمين

ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى غلامه باغز التركى فقتله به ومن عند باغز انقطع خبره

(وجعل الحرث على العمامة فرس الحرث بن عباد التغلبى اكبر سادات بنى وائل وهو الذى اعتزل حرب البسوس وقال لا ناقة لى فيها ولا جمل فلما قتل ولده نهض حينئذ وقال

قربا مربط النعامة منى
لقحت حرب وائل عن حيال

يعنى هذا الفرس ويكرر قوله قربا مربط النعامة منى فى أبيات كثيرة فى هذه القصيدة وقد تقدم شئ من ذكره ويقال ان هذه الفرس كانت لمحرز بن لوذان وهى التى يقول فيها يخاطب زوجته ان الرجال لهم اليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلى وتخضبى
وأنا امرؤ ان يأخذونى عنوة
أقرن الى سنن الركاب وأجنب

ويكون مركبك القعود وحدجه

واين النعامة يوم ذلك مركبى

يعنى انك ان أسرت كانت لك وسيلة عند الرجال من كحلك وخضابك وأنا ان أسرت جنبت الى جانب فرسى فاكون راكب ظلها قال أبو عبادة النعامة عرق فى باطن القدم ولذلك يقال

فاجبت من شرهي عليه أذوقه في كل طعم

وقال ايضا
يا عجبا مني ومن صبوتي * في أول العمر بشيخ هرم
وحبه والله في مهجتي * كالشيب في لحيته مضطرم

وقال آخر
هذا الذي أعشقه شائبا * يتمنى من قبل ما عذرا
هويته مذلاح لي وردة * حتى غدا ريحانه مزهرا

وقال النور الاسعردي
لام العواذل اذ عشقت فتى له * سبعون عاما غير عام واحد
لا تعذلوني في هواه فانني * عاينت فيه لمحة من والدي

وقيل لبعض أهل المجون علام لا تميل الى النسوان قال أذكر بهزها أمي فاستحى فقيل له هلا تذكر بذكره أباك وهذا الشاعر أخذ هذا المعنى فعكسه وانشدني بعض اشياخي لنفسه وقال لي لا تروها عني

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخو العقل يدري ما يراد من الذي * أمنت عليه من رقيب ومن صد
ألا انني لو كنت أصبو لأمرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فرحت اناصبا بابيضها وحدي

وانشدني الشيخ الامام العلامة بهاء الدين محمد بن سيد الناس اجازة قال انشدني الامام العلامة بهاء الدين بن النحاس لنفسه

قالوا حبيبك قد تبدى شيبه * فالام قلبك في هواه يهيم
قلت أقصروا فالآن تم جماله * وبدا شقاء فتى عليه يلوم
الصبح غرته وشعر عذاره * ليل ونبت الشيب فيه نجوم

وما سمعت في هذه المادة احسن من قول الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل رحمه الله تعالى

شب وجدي بشائب * من سنا البدر أوجه
كلما شاب بعضني * بيض الله وجهه

وقلت أنا
عشقت شيخا بديع حسن * لام على حبه العذول
كأن ياقوت وجنتيه * للشيب فيها حبال لولو

وقال ابن حريق البلنسي في محبوبته
ان ما كان في وجنتها * شربته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أغلها * فاعادته الليالي حشفا

وقلت أنا في مليحة أسنت
قالوا اسلها قد ذوى عناب راحتها * وأنت رهن صبابات وتضليل
فقلت لا بت يسال حبها أبدا * وكلما كرنش العناب يحلولي

وقال أبو نواس في معاجلة الشيب
واذا عددت سني كم هي لم أجد * للشيب عذرا في النزول براسي

وقال أبو فراس الحمداني
عذيري من طوالع في عذاري * ومن رد المشيب المستعار

للبيت شالت نعامته أي ارتفعت رجلاه وقولهم ان فرس الحرث بن عباد هي فرس خرز فيه نظر فقد قيل ان خرز بعد الحرث بزمان

*(ما شككت فيك ولا سترت اباك ولا كنت الا ذاك

يعني لو تجملت بهذه الذخائر لما تدلس على أمرك ولا خفي عني نسبك الذي أعرفه قبل الآن

(وهبك سامیتهم في ذروة الجد والحسب)
(وجاريتهم في غاية الظرف والادب)

المساماة المماثلة في السمو والذروة أعلى الشيء ومنه ذروة السنام والجد التوسع في الكرم والجلالة وأصل الجد من قولهم جدت الابل اذا حصلت في مرعى كبير واسع وأجدها الراعي والحسب ما يعده الانسان من مفاخره ويحسبه من مفاخر آبائه قال ابن الاعرابي الحسب والكرم يكونان في المرء وان لم يكن له آباء لهم شرف والظرف الكيس والادب جمع أنواع من المحاسن مأخوذ من المأدبة وهي الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمي الادب الجامع لفنون كثيرة كالنظم والنثر والعلم والادب

ومازادت على العشرين سنى * فاعذر المشيب الى عذارى

وما أحسن قول مهيار الديلمى

واذا عددت سنى لم أك صاعدا * عدد الاناييب التى فى صعدتى
والام فيك مع المشيب على الصبى * ياجور لائمتى عليك ولمتى

وما أحسن قول القائل

ألا ياساريا فى بطن قفر * ليقطع فى الفلا وعرا وسهلا
قطعت نقا المشيب وبنت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال ابن نقادة

ان كان قد أضحى المشيب ظالمى لاعجبا
أترب رأسى فعلمت أن طيى اقتربا
كذا الكتاب عاجلا * يطوى اذا ما أتربا

(رجع) الى ما يناسب قول الصفرائى قال ابن النبيه

فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما جمت أواخره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت فاه لهذا الدهر آخره

وهو مأخوذ من قول الصابى

والعمر مثل الكاس يرـ * سب فى أواخرها القذى

ولما سمع ابن التعاويذى هذا قال

فمن شبه العمر كاسا يقـ * ـذاه ويرسب فى أسفله
فانى رأيت القذى طافيا * على صفحة الكاس من أوله

وقال القاضى الفاضل

اليك بعد انقضاء اللهو واللعب * عنى فلم أر لى ما يقتضى أربى
والعمر كالكاس والايام تمزجه * والشيب فيه قذى فى موضع الحبب
أقول اذ غاض منى فيض فضته * ياوحشتا لشباب ذاهب الذهب

وقال أبو عثمان الخالدى

لقد فرحت بما عاينت من عدم * خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الاعمى بحالته * لانه قد نجا من طيرة العور
ولست أبكى على شئ مننت به * يبكى على الشيب من يأسى على العمر
وما شكرت زمانى وهو يصعدنى * فكيف أشكره فى حال منحدر

قلت قوله لانه قد نجا من طيرة العور يشبه قول القائل

لم يكفنى فى الرزء خيبة مطلبى * حتى حرمت لذاذة الانياس
كالاعور المسكين أعدم عينه * واعتاض منها بغضه فى الناس

وما أحسن قول الآخر

والاعور المقوت مع قبحه * خير من الاعمى على كل حال

وشبيه هذا قول أبى الطيب

والتفنن فى كل مقولة (ألست تاوى الى بيت قعيدته لكاع اذ كلهم عزب خالى الذراع)

القعيدة امرأة الرجل كأنها مقاعدته ولكاع اللئيمة النفس مبنى على الكسر والعزب البعيد عن الزوجة مأخوذ من العازب فى طلب الكلاء وهو المتباعد وخالى الذراع مثل خالى اليد كناية عن الفراغ والمعنى انك جامع للمحاسن لست مبرزا جاوكل من شئت من هؤلاء القوم الذين يختارون صحبتى عزب فكيف أفضلك عليهم وقوله الى بيت قعيدته لكاع هو نصف بيت من شعر الحطيئة وهو قوله

أطوّف ما أطوّف ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع

واسم الحطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسى والحطيئة لقب وقع عليه قيل لقصره من الارض وقيل لانه ضرط يوما فقيل له ما هذا فقال أغاحطأت حطيئة وكان من اكبر شعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام والغالب على شعره الهجاء وكان دنى النفس واللهمة قدم المدينة فشى اشرافها بعضهم الى بعض وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا * منها رضاك ومن للعور بالحول

ونقلت من خط محيي الدين بن عبد الظاهر له

وأعور العين ظل يكشفها * بلاحيا منه ولاخيفه
وكيف يلقى الحياء عندقتى * عورته لاتزال مكشوفه

وقال أبو علي بن رشيق وكان أحول في نفسه وفي الطوسي الاعمى الشاعر وفي محمد بن شرف الاعور

لابد في العور من تيه ومن صلف * لانهم يبصرون الناس أنصافا
وكل أحول يلقى ذا مكارمة * لانهم ينظرون الناس أضعافا
والعمى أولى بحال العور لو عرفوا * على القياس ولكن خاف من خافا

وما أحسن قول القائل

شمس الضحى يعشى العيون ضياؤها * الا اذا رمقت بعين واحدة
فلذاك تاه العور واحتقروا الورى * فاعرف فضيلتهم وخذها فائده
نقصان جارحة أعانت أختها * فكأنما قويت بعين زائده

وقال محمد بن شرف يهجو حماما

كأنما حمامنا فقحة * النتن والظلمة والضيق
كأننا في وسطها فيشة * ألوطها والعرق الريق

فقال ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

وقد ظرف القاضي الفاضل في قوله

ما كان يكمل حزا الحمام حتى ازداد قبه
فكأنني فيه خرو * ف شواو من فوق مكبه

وما أظن القاضي الفاضل الا قصد هذا التشبيه والسبق اليه دون غيره لئلا يتخيله غيره وينظمه لانه كان أحدب قصيرا أوقص كما كان البهاء زهير يقصد مثل هذه الاشياء لما كان أسود قصيرا شنجا فيندب على نفسه ولا يدع أحدا يسبقه الى مثل ذلك وحكاياته في ذلك مشهورة وحكى القاضي السعيد أبو المكارم أسعد بن خطير بن مماتي قال دخلت يوما على القاضي الفاضل رحمه الله تعالى فوجدت بين يديه أترجة كبيرة مفرطة في الضخامة وهي من الاترج الشمي فلما جلست حدقت اليها واتفق فكر وذهول فأخذ رحمه الله يتبادر على نفسه وقال يا مولاي الاسعد ما هذه الفكرة الطويلة ما أنت مفكر الا في خلق هذه الاترجة وما فيها من التكتيل والتعويج وتعجب من المناسبة لها وكيف اتفق الجمع بينها وبينها فدهشت وانخلع قلبي مني خوفا ثم رجع الى خاطري فقلت لا والله بل أفكر في معنى وقع لي فيها ويسر الله أن نظمت فيها

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

قال فأعجباه واستحسناها وانقطع الحديث قلت ولو صحف الفاضل رحمه الله تعالى قوله هيبة بهيئة بالياء آخر الحروف لتم له الذي أراده من ابن مماتي وتمت له الحجة التي قصد تركيبها

والشاعر يظن فيحقق فيأتي الرجل منكم فان اعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فاجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيأ من بينهم فجمعوا له أربعمائة دينار وأتوه وقالوا هذه صلة آل فلان وآل فلان وآل فلان فاخذها وظنوا انهم كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم وحكى أبو عبيدة قال مضى الحطيئة الى عبيد بن الماس فسأله فقال ما أنا على عمل فأعطيك ولا في مالي فضلة عن قومي فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا الخبيث هجاء قال ردوه فردوه اليه فقال كنتنا نفسك كأنك تريد العلل علينا اجلس ولنا عندك ما يسرك فجلس فقال له من أشعر الناس فقال الذي يقول ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم فقال عبيد هذا والله من مقدمات أفاعيلك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فلا يطلب شيأ الا اشتريته فجعل يعرض عليه الخز والرقيق من الثياب فلا يريدها

وهذا من غريب الاتفاق وقال جبلة بن الايهم في واقعته المشهورة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها الحجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور

قال أبو الحسن بن سيده في المحكم أراد العوراء فوضع المصدر موضع الصفة ولو أراد العور الذي هو العرض لقابل الصحيحة وهو جوهر بالعور وهو عرض وهذا قبيح في الصنعة وقد يريد العين الصحيحة بذات العور فحذف وكل هذا يقابل الجوهر بالجوهر لان مقابلة الشيء بنظيره أذهب في الصنعة وأشرف في الوضع وما أحسن قول بعض المغاربة في مليح أعور

بركات يحكي البدر عند تمامه * حاشاه بل بدر السما يحكيه
لم تذو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك بدائع التشبيه
فكأنه رام يغمض طرفه * ليصيب بالسهم الذي يرميه

ومن نظم أبي الفتح بن جني وكان أعور رحمه الله تعالى

صدودك عني ولا ذنب لي * دليل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيت * خشيت على عيني الواحده
ولولا مخافة ان لا أرا * ك لما كان في تركها فائده

وقال بعضهم وكان أعور من اليمنى فمشى الى جانبه أعور من اليسرى

ألم ترنا اذ سرنا جميعا * الى الحاجات ليس لنا نظير
أساير عن يميني يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

وقال الباخرزي

ولا تحسبوا ابليس علمي الحتا * فاني منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناي لي وهو أعور

(فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل)

(اللغة) فيم تقدم الكلام عليها في قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت اقتحامك قحم الامر قحوما رمى بنفسه من غير رؤية والمقحمة بالضم المهلكة فاقتحم افتعل منه اقتحاما اللج معظم الماء وكذلك اللجة تركبه أي تعلوه يكفيك كفاه يكفيه كفاية أغناه وا كتفيت به واستكفيته الشيء فكفانيه مصة مصصت الشيء أمصه مصا وكذلك امتصصته وهو فعل بالشفتين على مهل وفي الحديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا الوشل بالتحريك الماء القليل وفي المثل وهل في الرمل أوشال (الاعراب فيم) أصله فيما وقد تقدم الكلام عليه في قوله فيم الاقامة البيت (اقتحامك) مصدر اقتحم وهو مرفوع على أنه مبتدأ والخبر تقدم في الجار والمجرور لانه تضمن الاستفهام وله صدر الكلام والكاف في موضع جر بالاضافة في اللفظ وهي في موضع الرفع بالمعنى لانه فاعل المصدر الذي أضيف اليه (لج) منصوب على انه مفعول به للمصدر (البحر) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (تركبه) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والهاء ضمير يعود الى البحر أو الى اللج وهو في موضع نصب لتركبه والفاعل ضمير يرجع الى المخاطب والجملة من الفعل والفاعل والمفعول في موضع نصب على الحال تقديره فيم

فيعرض الاكسية الغلاظ والكرابيس فيشتريها ثم مضى فلما جلس عبيد في نادي قومه أقبل الحطيئة وقال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ثم ركض فرسه وولى وحكي ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات قومه فورد في سنة مجدبة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليؤدي ما اجتمع من الصدقة فلقي الحطيئة ومعه زوجته وبناته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة اين تريد قال العراق فقد حطمتها هذه السنة قال وما تصنع قال وددت ان اصادف بها رجلا يكفيني مؤنة عيالي واصفيه مدحي ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك في من يوسع لبنا وسمنا ويحاورك أحسن جوار فقال الحطيئة هكذا وأبيك العيش فقال قد أصبته قال عند من قال عندي قال من أنت قال الزبرقان ابن بدر قال فاين محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسأل عن القمر يريد الزبرقان فانه من أسماء القمر وسمي به لحسنه وسر الى أم هند بنت صعصعة يعني زوجته ففعل وأكرمته المرأة فبلغ ذلك بغيض بن

اقتحامك لج البحر راكبا له (وأنت) الواو للابتداء وأنت ضمير مرفوع بالابتداء (يكفيك) فعل مضارع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف لا يظهر فيه غير النصب والكاف في موضع نصب على المفعولية ليكفي وهو ضمير المخاطب والجملة في موضع رفع على انها خبر لأنت تقديره وأنت كافيك (منه) من هنا للتبعيض وهي متعلقة بيكفي والهاء مجرورة بها وهذا الضمير يرجع الى البحر فان قلت هل يجوز أن يعود الضمير الى اللج كما قلته في تركبه قلت لا يجوز ذلك لان اللج داخل البحر فلا بد من اقتحام اللج وركوب البحر حتى يصل الى اللج فيناقض هذا الاعراب المراد من البيت وهو يريد الانكار عليه في اقتحامه اللج لان القليل من البحر يكفيه منه المصة وهذا موجود في أقل جزء منه في الساحل (مصة) مرفوع على انه فاعل يكفي (الوشل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام وقوله وأنت يكفيك منه مصة الى آخره جملة حالية (المعنى) لاى شئ تقتحم البحر وتركب لجته وتصبر على أهواله والغرض في الشاطئ لان المقصود شربة تمصها من الماء القليل لتسد عطشك وتروى ظمأك وهذا موجود في أي نهبة تمصها من أي نهر كان يعني فالمراد من الدنيا الاقيام الصورة لا غير وهو ما يقوم بهذا الجسد من المأكل والمشرب والملبس وهذا سهل يحصل بادنى تحمل وأخف تكسب ولا يضطر مع هذا الى ركوب الاخطار ومكابدة الاهوال ومقاساة المشاق ومعاناة المتاعب

ومراد النفوس أحقر من ان * يتعادى له وان يتعانى

قيل ان الخليل بن أحمد رحمه الله أتى اليه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزا يابسا في ماء فاذا انتقع أكله فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له ما دمت أجد هذين فاني لا احتاج اليه وقد أخذ الطغرائي بريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد أن كان قد ثار واحتدم واحتد واضطرم وهذا هو الصحيح لان الامر أقل من هذا العناء كله وما أحق هذا المقام أن ينشد فيه قول القائل

ما الجزع أهل ان تردد نظرة * فيه وتعطف نحوه الاعناق

ومن كلام ابن سناء الملك رحمه الله تعالى سئمت من معانقة الآمال ومضاجعة الامانى وبرمت بمعاناة من عنانى وأعيانى وملت صحبة الانتظار الذى أظمانى وأضنانى ورثيت لعينى من رؤية من يرانى وكأنه ما يرانى وعزمت على ان أتخلى واستريح وأسبر وأسيح وأسكن الى كل راحة وأقلع بكل ريح وأضع يدى في يد الزمان وأطلب منه الامان وأتوب اليه من التحذلق عليه فانه سبب الحرمان فالامور مقدره والدنيا مكدره والاشياء لها غايات وللحاجات أوقات ويعجبنى قوله نظما

تدعى العقل وهو أشرف ما فيك ولم صار داخلا تحت حكمك
وكذا حبك الحياة وقد أصبحت لا تشتهى سوى طول حبسك
طالق النفس فهى أخون عرسيك ألست هى المشير بعرسك
واذا اختال فوق أرضك منك التعطف فاذكر هوانه تحت رمسك
لا تغالط فما تنال رضى الله تعالى الا باغضاب نفسك
ما أهان الورى ولا ملك الدنيا ولا حازها سوى المتنسك

عامر بن شماس وكانوا يناسبون الزبرقان فأرادوه على جوارهم فأبى فدسوا الى امرأة الزبرقان أنه يريد أن يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت في حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى بنى شماس فضربوا له قبة وضربوا له أثاثا وربطوا له بكل طنب حلة وأراحوا عليه ابلهم وكسوه ثم ورد الزبرقان فقال ردوا على جارى فابوا وكاد يكون بينهم حرب فقال اهل الراى منهم خيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضا فصار يمدحهم وهم يطلبون منه هجاء الزبرقان فيمتنع الى أن ارسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضا فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان

وينا ضل عن بغيض
والله ما معشر لاموا امرأ جنبا
في آل لاى بن شماس بن كياس
لما بدا لى منكم غش أنفسكم
ولم يكن بجراحى منكم آسى
ان سمعت ياسا ميينا من نوالكم
ولن ترى طارد اللعنى كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوائزه
ان يذهب العرف عند الله والناس

قلت ما أحلى ما أتى بالمتنبك هنا قافية فسقى الله ضريحه وروّح روحه وما كان ألطف ذوقه وأشب عمره الذى جعل الهلال طوقه وهذه القافية لا يجيزها العروضيون ويحتجون بان الكاف أصلية وليست ضميرا كاخواتها وأنا وغيرى من أئمة الادب الذين لطف ذوقهم يرون ان هذه القافية بين نجوم القوافى كالشمس وهى التى فيها خفة الروح وما عداها فيه ثقل الرمس لانها قليلة الوقوع فى الكلام بخيلة بالزيارة ورد السلام قل أن يظفر الناظم من هذا النوع بقافية ويجد لها ثانية والاستقراء أمامك فاطلب لها أختا واسلك من أرض اللغة عوجا وأمتا فان وجدت فبعد جهد وتعب فى النظم والنثر يؤديانك الى الزهد بخلاف أخواتها البواقى لانك تجد أمثالهن فى منابع اللغة وراقى يعرف هذا القول أربابه ومن بينى وبينه نسبة أو تشابه وقال أبو العز مظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لى أجز هذا النصف قد بلغ الشوق منتهاه

فقلت *ومادرى العاشقون ماهو*
فقال *وانما غرهم دخولى*
فقلت *فيه فهاموا به وتاهوا*
فقال *ولى حبيب يرى هوانى*
فقلت *وما تغيرت عن هواه*
فقال *ياضنة النفس فى احتمالى*
فقلت *وروضة الحسن فى حلاه*
فقال *أسمر لدن القوام أهيف*
فقلت *يعشقه كل من يراه*
فقال *ريقته كلها مدام*
فقلت *ختامها المسك من لماه*
فقال *ليلته كلها رقاد*
فقلت *ولياتى كلها انتباه*

ثم ان مظفرا أكملها مديحا فيه وقد أوردت هذا الشعر لان فيه قافيتين لا يجوزان على رأى أرباب العروض وهما أحسن ما فى هذه القوافى الاولى ماهو والثانية انتباه انظرهما تجدهما أحسن القوافى ولو تركناها والعقل لكان ينبغى ان لا تعد القوافى الا اذا كانت غير متصلات بضمير مخاطب أو غائب أو متكلم لان فى ذلك شيأ من الايطاء وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

فخذ الحديث عن المدا * مع فهى تروى عن قتاده
انى بديهى الدمو * ع وان دمعى لا يباده

وقول ابن بابك من أبيات

هو الربيع يخرس ان شمته * وان سمته خبر اخبرك
فلا ترعدنك دواعى الهوى * فطود المهابة قد وقرك
كأن لسانى قد ساقه * الى الحمد أخذك ما قد ترك

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر للزبرقان ما أرى هجوا ولكن معاتبة فقال الزبرقان أما تبلغ مروءتى الا أن آكل وألبس فقال عمر رضى الله عنه على بحسان نخى به فسأله أهجاه قال لا بل سلح عليه بعد ان أكل الشبرم فامر عمر بقطع لسان الحطيئة ليرهبه فقال يا أمير المؤمنين والله لقد هجوت أبى وأمى وزوجتى ونفسى فضحك عمر وقال ما قلت قال قلت فى أبى وأمى

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى
وأبا بنيك فساءنى فى المجلس

وقلت فى زوجتى

أطوف ما أطوف ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع

وقلت فى نفسى

أرى لى وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

فامر به عمر فحبس فى بئر وغطاه فقال

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألفيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فاخرجه ثم قال اياك وهجاء الناس قال اذا تموت عيالى جوعا فقال اياك والمقذع قال وما هو قال ان تخاير بين الناس قال أنت والله أهجى منى فسلمه الى

غبار تصدع عن فارس * يقطر من قسطل المعترك

نقلت هذه الابيات من ديوان بخط ابن خروف النحوى والقصيدة مثبتة فى حرف الراء وجدت ابن خروف قد كتب على الهامش هذا البيت فى قافية الكاف والذى بعده وترك والمعترك فى قافية الراء وهو غير جائز يجوز الكل فى قافية الكاف وما أحسن قول محاسن الشواء

فضلت الورى فى الحلم والعلم يافعا * ويظهر حسن الشئ مع قبح ضده
فكم من معان مشكلات شرحتها * بلجلج نطق المصقع المتبده

وقال ابن نباتة السعدى

لا سكنن الثرى للعدم معتنقا * وما وجهى به أصفى من المقل
بذلته لنيوب الاسد تأكله * كيما أعيش بعرض غير مبتذل

وقال أبو فراس بن حمدان

ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو أنه عارى المناكب حافى
ما كل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافى

وقال ناصر الدين بن النقيب

ليس من بات معتقا لامانيه * كمن بات للامانى رقا
ان للمرء فى الحياة على اللـ * ـه أن يموت قوتا ورزقا
خلنى من حديث كدوسى * واضطراب فى الارض غربا وشرقا
ما الذى أقتنيه من عرض يفنى اذا كان جوهرى ليس يبقى

وقال الشريف أبو الحسن العقيلى

وقائل ما الملك قلت الغنى * فقال لا بل راحة القلب
وصون ماء الوجه عن بذله * فى نيل ما ينفد عن قرب

(ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول)

(اللغة) القناعة الرضى بالقسم وقد تقدم الكلام عليه فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت يخشى يخاف عليه يحتاج يضطر ويفتقر الانصار الذين ينصرون ويساعدون على الاهوال والانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى وآووه وحاربوا معه أعداءه وآووه الذين هاجروا معه اليهم وآخوهم والمهاجرون الذين هاجروا معه صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وهم الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأولادهم وأهلهم وأموالهم وتغربوا معه وهم بلاشك أفضل والانصار يلونهم فى الفضيلة لانهم تلقوه بالرحب والسعة والبشر والقبول ونصروه وأعانوه على بلوغ ما رامه من ابلاغ الرسالة واظهار الدين القيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى فالانصار لقب يقع على قبيلة الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة العنقاء لقب بذلك لطول عنقه ابن عمرو مزيقيا لقب بذلك لانه كان يمزق عنه كل حلة تلبسها أحد بعده ابن عامر بن ماء السماء لقب بذلك لسماحته وبذله كأنه ناب مناب المطر ابن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق لقب بذلك لانه أول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رجعيم بن سليمان بن داود بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ

الزبرقان فشد فى عنقه حبلا فعارضته غطفان وسألته أن يهبه لهم ففعل ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى ان توفى فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما حضرته الوفاة قالوا له يا أبا ملكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فقالوا له أوص يرحمك الله قال أبلغوا أهل امرئ القيس أن صاحبهم أشعر الناس بقوله فما للساق من ليل فقالوا له أوص فقال الشعر صعب وطويل سلمه اذا رقى فيه الذى لا يعلمه زلت به الى الحضيض قدمه قالوا ألك حاجة قال لا ولكن أخشى على المدح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا توصى للفقراء بشئ فقال يا لالحاح فى المسئلة فانها تحارة لن تبور واستحت السؤل أضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيرا والجزاء يكفه
على خير ما يجزى الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم
وصادف منا فى البلاد عريضا

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستغنى أن يكثر مادحيه وانه لو منع أو أساء اساءة واحدة لكانت له فى البلاد حسنات كثيرة

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وأنشد في بعض الافاضل لقاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى الثعلبي أبياتا منها

ومالي أنصار سوى فيض أدمعي * اذا بات من أهواه وهو مهاجر

و يعجبني قول ابن سناء الملك رحمه الله تعالى

أنا جدا نصار النبي لانني * يا أشهل العينين عبد الاشهلي

(رجع) الخول خول الرجل جمعه الواحد خائل وقد يكون الخول واحدا وهو اسم يقع على العبد والامة قال الفراء جمع خائل وهو الراعي وقال غيره مأخوذ من التخويل وهو التمليك (الاعراب ملك) مرفوع على انه مبتدأ (القناعة) مجرور بالاضافة (لا) حرف نفي وهو ومادخل عليه في موضع الرفع لانه خبر المبتدا تقديره ملك القناعة غير مخشى عليه (يخشى) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم ورفعه ضمة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من خشيت وهو مغير لما لم يسم فاعله (عليه) على للاستعلاء معنى والهاء مجرور به وهو في موضع رفع لانه سد مسد مفعول مالم يسم فاعله (ولا) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها الاحرف نفي (يحتاج) فعل مغير لما لم يسم فاعله والكلام فيه كالكلام في يخشى (فيه) في للظرف والضمير مجرور به وهو راجع الى الملك والجار والمجرور متعلق بالى والكلام في قوله فيه كالكلام في عليه (الى) حرف جر وهو لانتهاء الغاية (الانصار) مجرور بالى (والخول) معطوف على الانصار (المعنى) ان القناعة صاحبها ملك لانه في غنى عن الناس وفي ملكها مزية على ملك ماسواها من أمور الدنيا وهي انها غير محتاجه الى خدم ولا انصار ولا عساكر يحفظونها ولا يخشى عليها من زوال ولا اغتصاب لان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة والحفظ والاحتراز على نفوسهم من الاعداء والى العساكر ليحفظوا ثغور البلاد وحدود الممالك من العدو الذين يتغلبون عليها ويضطرون الى أموال ينفقونها في العساكر ليمونوهم بذلك ثم هم مع ذلك الهم والفكرة في تحصيل الاموال وتدبير الرعايا في خوف وخشية من زوال الملك اما بغلبة العدو واما بخروج أحد من الرعايا من الطاعة واما بوثوب أحد من حشمهم وخدمهم وأقاربهم عليهم أو اطعامهم السم الى غير ذلك من الآفات والمخافات وحكي ان خالد بن برمك جد البرامكة لما طلبه السفاح أو المنصور ليقلده الوزارة دخل عليه فلما وقع نظره عليه قال أخرجوه وغضب عليه وكان كثيرا التطلع الى رؤيته فعجب الحاضرون من ذلك وربما انه أمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين علام تقتلني قال لانك دخلت علي ومعك السم فقال يا أمير المؤمنين حاش لله وانما نحن معتادون بخدم الملوك ونخشى بادرتهم في وقت غضب فيمسك أحدنا ويعذب ونخاف طول العذاب فنضع لاجل ذلك تحت فص الخاتم سما فاذا رأينا ذلك امتص أحدنا ذلك ليموت خوفا من تطويل العذاب فعفا عنه وقلده الوزارة ثم قال له يا أمير المؤمنين من أين علمت ان السم معي قال انه في ساعدي دملجان اذا حصل في المكان الذي أنا فيه سم انتطحا في ساعدي فمن هناك علمت ذلك قلت كذلك وجدتها مسطورة بهذا المعنى وفي انتطاح الدملجين بعد كثير من العقل ولكن قال أصحاب الخواص ان قرن الحية اذا قارب الطعام المسموم عرق والله أعلم (رجع) وملك القناعة منزه عن هذه المشاق المتعددة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا في سربه

تكفيه ولا يصدق هاجيه ومن محاسن شعره قوله

فتى غير مفراح اذا الخير مسه ومن نكبات الدهر غير جزوع
كثير الندى ان تأته بصنيعة الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في أبي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع أرضى العدو بؤس بعد انعام
من كل أجرد كالسرحان أبرزه مسح الاكف وسق بعد اطعام
مستحقبات رواياها حجافلها يسمو بها أشعري طرفه سامي
الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع حجافلها على اعجاز الابل مكان الحقائب لطولها فكأنها مستحقبة لها وكان الحطيئة قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش فقال تمت العدة فمدحه بهذه القصيدة فكتبه فبلغ عمر فلامه على ذلك فقال اشتريت عرضي منه فقال أحسنت وقوله

وفتيان صدق من عدي عليهم صفائح أخرى علقت بالعواتق
اذا امتدعوا لم يسألوا من دعاهم ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

(وقوله)

سيرى أمام فان المال يجمعه سيب الاله واقبالي وادباري

معافى بدنه معه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن أورع الناس ومن كلام ابن المعتز الزهد فى الدنيا الراحة العظمى ومنه طلاق الدنيا مهر الجنة وكان أبو حاتم يقول انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما أمس فلا يجدون لذته وأما اياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فاعمى ان يكون هذا اليوم وأخذ هذا الكلام أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب الايام للحين

وقال أبو الفتح البستى وفيه جناس

قد مر أمس ولم يعبأ به أحد * من التواء وبوس مر أم رغد
وعندى اليوم قوت استعف به * وان بقيت غدا أصلحت أمر غد

وقال ابن عنين

الرزق يأتى وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وذكرت هنا ما ذكره ابن مسدى فى معجمه فى ترجمة أبى طالب محمد بن على بن الخيمى الكاتب قال سمعته يقول وليت حوران فى قديم الزمان وكنت كثير الجوار لقبور بنى أيوب فأصابنى ضيق فرأيت فى النوم كأن فى قبورهم قبر شمس الدولة فقصدت اليه فوجدت قبرا عظيما مفتوح الباب وهو فيه مسجى بكفنه ومعى قصيدة امتدحه بها فأنشدته اياها فلما فرغت من انشادى استرعنى فى زاوية القبر وأخذ كفنه فرمى به الى فرأى فى وجهى أثر الندم والانكسار فعرف ذلك منى فأنشدنى

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا وأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودى شابه بخل * من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى * من كل ما ملكت كفى سوى كفنى

(رجع) قال ابن الساعاتى

كفى بملوك الارض جهلا حذارهم * وان ملكوا أن يسلب الملك عنهم
وهب جعلوا ما فى المعادن جملة * رهائن أكياس تشد وتختم
فلم يبق دينار سوى الشمس لم ينل * ولم يبق غير البدر فى الناس درهم
أليس أخو الطمر ين فى العيش فوقهم * اذا بات لا يخشى ولا يتوهم

وهو مأخوذ من قول محمد بن غالب من رصافة بلنسية

صون الفتى وجهه أبقى لهمته * فما ازال نهانى الموقف الزارى
قنعت فامتد مالى فالسماء يدى * وبدرها درهمى والشمس دينارى

وأخذه شمس الدين بن الآمدى فعكس أصل المعنى وقال

وما يستوى من راح فى الناس سار با * وآخر فى قطع من الليل مظلم
ولم يستقم للمرء يوما وليلة * بلا شمس دينار ولا بدر درهم

نسرى الى ضوء أحساب أضا لها
كما أضاءت نجوم الليل للسارى

(وقوله)

أنت آل شماس بن لاى وانما
أتاهم بها الاحلام والحسب العد
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم
من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جهل حادث
من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
شياطين فى الهيجاء مكاشيف للدجى
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلنى أبناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذى علمت سعد
(وأين من انفرد به ممن لا غلب الاعلى الاقل الاخس منه)
هذا تفسير لما تقدم من الكلام بان الذى تنفرد به العرب والذى يغلب على الاقل منه المتزوج والغلب الاستيلاء على الشئ كانها لا تستولى الا على فضل

وقال أبو اسحق الغزى

لاتحسبن لمن يهوى ويصعد فى * دنياه فالناس فى أرجوحة القدر
واقنع بما قل فالاوشال صافية * ولجة البحر لاتخلو من الكدر

وقال أيضا

ياطالب الرزق فى الدنيا بحيلته * ان القناعة أضحت حلية الجمل
لاتحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الا من الوشل

وقال الحريرى اذا أعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وقال بعض الشعراء

اقنع بأيسر شئ أنت نائله * واصبر ولا تتعرض للولايات
فصافى النيل الا وهو منتقص * ولا تكدر الا فى الزيادات

وقال بن طباطبا العلوى

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عز القنوع المكتفى
ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند الشرف
كسراج دهنه قوت له * فاذا أغرقته فيه طفى

وقال آخر وهو أحسن لاختصاره وجناسه

خذ من العيش ما كفى * فهو ان زاد أتلفا
كسراج منور * ان طفا دهنه انطفا

وقال أمين الملك بن أبى حفص المنشى

لعمرك ان فضول المعاش * بمذموم اعقابها لا يفى
فان تك قد نلت قدر الكفاف * وصرت بيسوره تكتفى
فلا يحسدنك الا المملوك * لان القناعة ملك تحفى

وقال عبد المجيد بن عبدون

يا دهر ان توسع الاحرار مظلمة * فاستغنى ان غيلى غير مغروب
ولا تخل انى القاك منفردا * ان القناعة جيش غير مغلوب

وقال مؤيد الدين الطغرائى

لا تلتمس فضل الغنى انه * متلفة يشقى بها الحر
أما ترى المرء له عبرة * فى صدف أهلكه الدر

قال ابن النحوى لما قدم أبو تمام قال له أبى ما أفدت فى سفرتك هذه قال أربعمائة الف درهم وأربعة أبيات أحب الى من المال قال أنشدنى اياها قال أنشدنى أبو نواس الحسن بن هانئ لنفسه

انى وما جمعت من صفد * وحويت من سبد ومن لبد
هم تصرفت الخطوب بهما * فنزعن من بلد الى بلد
يا ويح من حسمت قناعته * سبب المطامع عن غد فغد

لولم

مابقى من زوجته
(وكم بين من يعتدى بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة الى واللذة الموقوفة على)
كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المحبب للنساء حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال لما فتحنا بلد كذا من الروم سبيت امرأة منهم فواقعتها فى ليلة سبع مرات فقالت أكل العرب تفعل هذا قلت نعم قالت صدقت بهذا العمل تصرعوا علينا
(وبين آخر قد نضب عديره ونزحت بيره
وذهب نشاطه ولم يبق الا اضراطه)
الكلام معطوف على ماقبله وهذه الالفاظ كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من قول بعض العرب وقد أسن وسئل عن حاله فقال والله لقد ذهب منى الاطيبان وهم الجماع والنوم وبقى فى الارطبان وهما السعال والضراط
(وهل يجتمع لى فيك الا الخسف وسوء الكيلة)
يعنى لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل للعرب يضرب فى الخلتين السيئتين يجتمعان ويقال انه لعمرو بن

لولم يكن لله متهما * لم يمس محتاجا الى أحد

ويروى عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

أغن من المخلوق بالخالق * تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله * فليس غير الله بالرازق
من ظن ان الناس يغنونه * فليس من مولاه بالواثق
أوظن ان المال من كسبه * زلت به النعلان من حالق

وقال ابن أبي الصقر الواسطي

كل رزق تر جوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق
وأنا قائل واستغفر الله * مقال انحاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل ابليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق

وحكى ان أبا تمام لما دخل الى الحضرة وأقام بها مدة عزم على الانحدار الى البصرة وقيل الى واسط فورد عليه كتاب عبد الصمد بن المعدل وفيه

أنت بين اثنتين تبرز لنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تفتك راغبا في وصال * من حبيب أو طالب النوال
أي ماء تحرر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فكر راجعا وقال لا أدخل بلدا فيها مثل هذا الشاعر على أن هذه الابيات اختلف الرواة في قائلها وفي أسبابها وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم الاسعردي وان لم يكن من هذا الباب ومن خطه نقلت

أنت بين اثنتين يانجل يعقو * ب وكلتاهما مقر السياده
لست تنفك راكبا عود عبد * مسبطرا أو حاملا لخف غاده
أي ماء تحرر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

وقال قاضي القضاة نجم الدين بن العديم رحمه الله تعالى رأيت في نومي كأني داخل الى بلدة صغيرة فقيل لي ان نجم الدين محمد بن اسرائيل كاتب عندوا ليها فعملت في النوم ارتجالا

الى كم ذا تغرب لك الليالي * وتبدي منك حالا بعد حال
فطورا شيخ زاوية وفقر * وطورا كاتبا في باب وال

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

مالي اذل وللقناعة عزة * أنجو بها من ذلة وهوان
وأصون وجهي أن يذل لاوجه * منحوتة من عالم الصوان

والقوم كالاصنام والاسلام * تزهى عن الاصنام والاوثان

وقال أبو عبد الله الحسين المنعوت بالبارع وقد تقدم

قد تعففت واقتنعت بتدفيع زماني وقلت اني وحدي
لالاني أنفت مع ذا من الكد * بل أين الكرام حتى أكدي

ومن هذه المادة قول عمارة اليمني

وأحق الانام بالذم جيل * بين أبنائه كريم يهان

معدي كرب والمخشف أردى التمر والكيلة فعلة من الكيل وهي تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة فليعلم ذلك

(ويقترن على بك الا الغدة والموت في بيت سلولية)

هذا مثل آخر في معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ماتوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفني عامر اعاشت فظهر في رقبته غدة مات منها في بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وقد تقدم خبره

(تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال)

هذا البيت لابي العتاهية واسمه اسمعيل بن القاسم ابن سويد مولى عنزة ومنشأه

أصبح الجود قصة عند قوم * مستحيل فى حقها الامكان
كذبونى بواحد يهب الالـ * ـف وانى من السماع العيان

قلت هذا على أنه القائل فى رثاء أهل القصر فى قصيدته اللامية أتيت مصر فأولتنى خلائقها البيتين وقد تقدم وقال أبو الرضى الفضل بن منصور الظريف

ياقالة الشعر قد نصحتكم * ولست أدهى الامن النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفى * ذاك أمور طويلة الشرح
صونوا القوافى فما أرى أحدا * يعثر فيه الرجاء بالنجح
وان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

وحكى صاحب الاغانى عن مخارق قال لقيت أبا العتاهية على الجسر فقلت له يا أبا اسحق أنشدنى قولك فى تخيل الناس كلهم فضحك وقال هنا قلت نعم فأنشدنى

ان كنت متخذا خليلا * فاستنق واتخذ الخليلا

وساق الابيات صاحب الاغانى ومنها

فاضرب بطرفك حيث شئـ * ـت فهل ترى الا بخيلا

فقلت له افرطت يا أبا اسحق فقال فديتك فأكذبنى بجواد واحد فأجبت موافقته والتفت يمينا وشمالا فقلت ما أجد أحدا أقبل بين عينى وقال فديتك يا بنى لقد رققت حتى كدت تشرب انتهى ويقال ان بعض السؤال اجتاز بقوم يأكلون فقال السلام عليكم يا بخلاء فقالوا له أتقول انا بخلاء فقال كذبونى بكسرة (رجع) ومما قلت أنا فى القناعة

يقول الزمان ولم يستمع * لمن طلب الرزق أو أمله
أنا حرب من جد فى كسبه * ومن يقتنع تعصبت له

وقلت أيضا

اذا ملك الانسان ثوب قناعة * ترشف كاس العز فى الناس سائغه
ولم يخش من فقر رمته سهامه * لان عليه نعمة الصبر سابغه

وقلت أيضا

لا تسأل الناس فانى امرؤ * ما طاب لى عرف من العرف
واقنع ولا تجمع حطاما فكم * فى الدهر للدينار من صرف

وقلت أيضا

هو الرزق ان وافاك سعيا نهين * وان تأته فى غيضه فعويص
على ان من الغاه نال منال من * يغور على تحصيله ويغوص

وقلت أيضا

تطلبت رزقى بالقناعة فى الورى * ولم ابتذل من أجل قوتى قوتى
ومذ خفت ضيق السبل فى طلب الغنى * رتعت بأمن فى مروط مروءتى

وقلت أيضا

لا يعرف الدهر احياء وأمواتا * أخا هم أمل فى النفس أم واتى
فنزه النفس عن مال وعن أمل * قد أتعباها ولا تجزع لما فاتا

الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع شعرهم لكثرته بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف تقول الشعر قال ما أردته قط الا تمثل لى فآخذ منه ما أريد وأترك ما لا أريد وكان أبو نواس يقول ما رأيته قط الا تمثل لى انه ساوى وانى أرضى وأكثر شعر أبى العتاهية فى الزهد وكان قد تنسك وتزهد الى أن مات قال أحمد بن الحرث كان مذهب أبى العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعالى خالق جوهرين متضادين لا من شئ ثم ان الله تعالى بنى

فالمرء تنقاضاه منيته * الا الى ذلك الميقات ميقاتا

وقلت في القناعة غزلا

ان غاب من أحببته عن مجلسي * ليذوب قلب الصب من حسراته
احضرت لي وردا وكأس مدامة * وشربت ريقته على جناته

وأبلغ من هذا قول أبي نواس

الم ترأني أفنيت عمري * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيئا اليها * يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت عثمان * فيجمعني واياها المسير

وهو مأخوذ من قول بعضهم

أليس الليل يجمع أم عمرو * وايانا فذاك بنا تدان
وتنظر للهلال كما أراه * ويعلوها النهار كما علاني

وقال ابن المعتز

ألست أرى النجم الذي هو طالع * عليك فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الافق لحظي ولحظها * فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع

وقال آخر

يقابل نجم الافق طرفي لعله * يرى طرف محبوبي فيلتقيان
وأطمع قلبي أن يفوز بقربه * ألست تراه دائم الخفقان

وحكي أن بعضهم رأى امرأة حسناء في طاقة فأحبها ولازم المقام بإزائها والمرور تحت الطاقة الى أن أعيي وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعي سيدتك تبل في هذه الصحفة فبالت له فيها وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع بذلك فلم يزل الى أن دخل الى بعض الخرابات فوضع ازاره في ذلك البول وقال يا منشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرقة فصار ذلك مثلا وقال ابن الجوزي في كتاب الاذكياء روينا ان هدهدا قال لسليمان أو يد أن تكون في ضيافتي فقال له سليمان أنا وحدي فقال لا بل مع العسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا انتهى قلت وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثلا * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

وقال بعض أرباب المجون السحق والبدال والجلد من القناعة وقال الشاعر

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفا * فجزاء يا معشر الفساق

فأجاب الآخر

اذا اجتزا المرد بالبدال * وساحقت ربة الجمال
وضعت كفي على قدي * أصلحه ثم لا أبالي

العالم هذه البنية منهما وان العالم حديث العين والصفة لا محدث له الا الله وكان يزعم ان الله سيعيد كل شئ الى الجوهرين المتصلين قبل ان تفنى الاعيان جميعا وكان يقول بالوعيد وتحريم المكاسب وكان يتشيع على مذهب الزيدية ولا ينتقص أحدا ولا يرى الخروج على السلطان وكان مجبرا احدث الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة بن أشرس بين يدي المأمون وكان كثيرا ما يعارضه بقوله في الاخبار أسألك عن مسئلة فقال له المأمون عليك بشعرك فقال ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسئلتي ويأمره باجابتي فقال أجبه اذا سأل قال أنا

وقال محاسن الشواء

يارب لاتخرس حماة فاهلها * دون البلاد أرامل عزبان
أخذ البغاثر جالها فتباحقت * نسوانها وتبادل المردان

وقال الآخر

لاعدمنا عميرة ابنة كف * انها تسعف المحب الشجيا
نقدها الريق ثم لامهرالا * دلوماء ان لم تكن دهريا

وقال الآخر

جلست يوما عميرة عبثا * وكان فى ذاك منية النفس
فصنت مالى وماشممت خراجك * ولاخضت فى دم الكبس

وقال النور الاسعردى

أرى النحوى زيدا اذا جتهاد * جزى الرحمن بالخيرات غيره
تراه ضاريا عمرا نهارا * ويجلد ان خلا ليلا عميره

وقال آخر مضمنا

عاقبت ابرى الذى أشوقه * بكل خير غدا يرتجيه
فكلما قام قمت أجلده * وذاك ذنب عقابه فيه

وقال الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال

لى عدو يقوم منى بلا رجل مقام المحير المرتاب
باكيا كالمصاب أبكى عليه * ومناه صلاح عقل المصاب
كل يوم أنكيه جلدا الى أن * قد غدا قائما بغير اهاب
جلده هين ولا أجلد الحد على تلكم الامور الصعاب

وكانت بعض الجوارى قد اكتفت بالنساء بدلا من الرجال فراودها رجل عن نفسها فقالت أنا ما أختار الصحابى على النبى تريد بذلك قول الشاعر

وليس على فى هذا ملام * اذا اخترت النبى على الصحابى

فالنبى اسحق والصحابى الزبير وقيل لأخرى ارجعى الى الحق فقالت ان الحق بعض مرادى تعنى ان السحق بعضه الحق وقال بعض الشعراء

مغرمة بالنساء مبهلا * تحنو علينا كل حين
ما أتقنت فى الفتوك الا * تضيف اسحق فى حسين (ى)

وقال آخر

أما والله لو يلفاك ايرى * قبيل الصبح فى ظلماء بيت
لما فارقته حتى كأنى * أرى شفريك فى معصار زيت
وكنت ترين ان السحق شؤم * وان الشأن فى هذا الكميت

ويقال ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحق وقد أجهدتا أنفسهما فجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال بأبى وأمى أنتما هذا عمل يريد الرجال والجبال وما أحلى قول القائل

أقول ما يفعله العباد من خير وشره هو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك فمن حرك يدى هذه وجعل أبو العتاهية يحركها فقال له ثمامة حركها من أمه زانية فقال شتمنى والله يا أمير المؤمنين فقال ثمامة ناقض الماص بظر أمه فضحك المأمون وقال الم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة فلقينى فقال لى يا أبا معن أما أغناك الجواب عن الفه فقلت ان أتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ وانتصر من الجاهل وحدث أبو شعيب صاحب ابن أبى دواد قال قلت لابى العتاهية القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق قال

جرح يريد الفتيله * ايش تنفع المزقات

وقال بعضهم

رجلى وكفى لاعدمت كليهما * بهما أصول على الزمان وأعتدى
أمشى على هذى وأمسح هذه * فطيتى رجلى وجارية يدى

وكتب الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنا برحبة مالك بن طوق كتابا ومنه وما حال مولانا مع من استجده من صاحب وخدين وأهل رفاه وبنين وما هذه المداعجة لاخباره التى لايزال فعل وعدها يستحجب السنين فكتبت اليه فى الجواب وأما سؤال مولانا عما استجده المملوك من صاحب وخدين وأهل رفاه وبنين فوالله ما رأيت فى الرحبة الى الآن قرينة الا من السجع ولا جارية الا من الدمع والفراش عاطل والامكان عماطل ومطيتى رجلى وجارية يدى كما قيل

مقل من الاهلين يسرواسرة * كفى حزنا ما بين شت واقلال
(ترجوا البقاء بدارلا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل)

(اللغة) الرجاء ممدود الامل رجوت رجوا ورجاء ورجاوة وترجية وارتجيته وترجيته كله بمعنى رجوته وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا أى لاتخافون عظمة الله تعالى البقاء بقى الشئ يبقى بقاء وكذلك بقى الرجل زمانا طويلا وبقى من الشربقية والباقية توضع موضع المصدر قال الله تعالى فهل ترى لهم من باقية بدار الدار مؤنثة وقوله تعالى ولنعم دار المتقين ذكر على معنى المثوى والموضع كما قال تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فأنث على المعنى أى وحسنت الجنة مرتفقا كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا أى ساءت النار مرتفقا وأدنى العدد أدؤر فالهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة ولك أن لاتهمز وا لكثير ديار مثل جبل وأجبل وجبال ودور أيضا مثل أسد وأسد والدارة أخص من الدار قال امية بن الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى

ويقال ما بها دورى وما بها ديار أى واحد وهو فيعال من درت وأصله ديوار والواو اذا وقعت بعد ياء ساكنة قبلها فتحة قلبت ياء مثل أيام وقيام ودار الشئ يدور دورا ودورانا لاثبات لها أى لابقاء لها الظل لغة النى وهو ما أظلك من سحاب ونحوه وظل الليل سواده يقال أتانا فى ظل الليل قال ذو الرمة

قد أسعف الناوح المحمول مسعفه * فى ظل أخضر يدعو هامة النوم

وهو استعارة لان الظل فى الحقيقة انما هو ضوء شاع الشمس دون الشعاع فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل وقال اصحاب العلم الطبيعى الظل مطلقا هو الضوء الثانى ومعنى ذلك ان النير اذا ارتفع من الافق استضاء الهواء باثبات الشعاع فيه فهذا هو الضوء الاول فاذا حجب هذا الضوء حاجب كان ماوراء ذلك الحاجب ضوءا ثانيا بالنسبة الى الضوء الاول لانه مستفاد منه وهذا الضوء الثانى هو الظل ومنه مبسوط ويقال مستو أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة القائمة على سطح الارض كظل الشخص الماشى من اشخاص البشر وغيرهم أو الشخص الواقف كالنخل وغيرها من الاشجار ومنه منكوس ويقال معكوس أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة

سألتنى عن الله أو عن غير الله
قلت عن غير الله فامسك
فاعدت عليه فاجابنى هذا
الجواب حتى فعل ذلك مرارا
فقلت مالك لاتجيبنى قال قد
أجبت ولكنك حمار وحدث
عمامة بن أشرس قال كان أبو
العتاهية شديد البخل
فأنشدنى ذات يوم أبياتا له
فى ذم البخل يقول فيها
ألا انما مالى الذى أنا منفق
وليس لى المال الذى أنا تاركه
فقلت له من أين أخذت هذا
القول قال من قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس لك
من مالك الا ما أكلت فافنيت
أو لبست فابليت أو أعطيت
فامضيت فقلت له أتؤمن بهذا
القول انه لحق قال نعم قلت
فلم تحبس عندك أكثر من

الواقعة فى سطح الافق كظل الشخص القائم على السطح القائم على بسيط الافق كوتد خارج من حائط منه مايعبر عنه بالمستعمل وهو ماعدا هذين كوتد قائم على سطح مائل عن الافق أو على سطح كرة او اسطوانة أو مخروط أو ما أشبه ذلك وذكرت هنا ما نظمته فى ملح يشتغل بعلم الوقت وهو هذان البيتان

أهواه مشتغلا بعلم الوقت ذا * حسن بديع فى الانام نفيس
وكأن شمس جبينه لما استوت * جاء العذار بظلها المنكوس

والعرب تزعم ان ظل القناة أطول الظلال تقول يوم أطول من ظل القناة ويزعمون ان ظل الوتد أقصر الظلال فيقولون أقصر من ظل الوتد ولهذا قال الشاعر

فهذا طويل كظل القناة * وهذا قصير كظل الوتد

ويرون ان ابهام القطاة أقصر الاشياء كما قال ويوم كابهام القطاة وقال الآخر

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقال عبد المحسن الصورى ملغزا فى الظل

لى صاحب لا أستطيع فراقه * ما ان يسىء وماله احسان
بيناتراه وقد تقاصر طوله * حتى يطول كأنه شيطان

(رجع) غير تقدم الكلام عليه منتقل متحول (الاعراب) ترجو فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره لكونه معتل الطرف بالواو وأصله أترجو فحذفت همزة الاستفهام وهو جائز كقول عمرو ابن ابى ربيعة المخزومى

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع وهو كثير فى الشعر ومن الذهول فى المحبة وشغل القلب قول المجنون

فوالله ما أدرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

وكثير من الناس يمر على سمعه هذا البيت ويظنه من باب المغالاة فى شغل القلب بالحب والذهول عن شأن المحب وعدم الالتفات الى ماسوى الفكرة فى المحبوب وليس كذلك بل الشك الذى تردد بين الثنتين والثمانية لسبب يختص بهما دون ماعداهما من الاعداد الممكنة وذلك انه كان يعلم من نفسه كثرة السهو بسبب اشتغال فكرته لغيبة لبه فكان يثنى أصابعه لعدد الركعات ثم انه مع ذلك يذهل فلا يدرى هل الاصابع التى ثناها هى التى صلاها أو الاصابع المفتوحة فاذا وجد أصبعين قد ثنيتا كان ذلك محتملا لان يكون قد صلى ركعتين بعددهما أو بعدد الاصابع المفتوحة وهى ثمانية وما أحسن قول القائل

أفرط نسيانى الى غاية * لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة * مهمة ضمنتها طرسا
وصرت أنسى الطرس فى راحتى * وصرت أنسى أننى أنسى

وذكر اصحاب الخواص والتجارب أشياء تورث النسيان وقد نظمها الشيخ علم الدين السخاوى رحمه الله تعالى فقال

توق خصال الخوف نسيان ماضى * قراءة ألواح القبور نديمها
وأكلك للتفاح ان كان حامضا * وكسرة خضراء فيها سمومها

عشرين بدرة لانا كل منها ولا تنفقها ولا تقدمها اذنه اليوم فاقتلك فقال يا أبا من والله ان ما تقول هو الحق ولكنى أخشى الفقر والحاجة الى الناس قلت وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك لا تشترى اللحم الا من عيد الاعيد فتبرك جواب كلامى كله ثم قال والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه باربعة دراهم فلما قال هذا القول أضحكنى وأذهلنى وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد وهو وابراهيم الموصلى وأبو عمرو الشيبانى فى يوم واحد وقيل

كذا المشي ما بين القطار وجمك الشقفا ومنها الهسم وهو عظمها
ومن ذا القول المرء في الماء راكدا * كذلك نبذ القمل حين تميطها
ولا تنظر المصلوب والماء راكدا * وأكلك ثور الفار وهو تمسها

قال حماد بن الزبرقان حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كنت لا أحفظ القرآن فاتفق أن أجى من يعلمني فحفظته من المصحف في شهر واحد ثم قبضت يوما على لحيتي لأقص ما فضل عن قبضتي فنسيت وقصصت من أعلاها ما فوق قبضتي فاحتجت أن أجلس في البيت ستة الى أن استوت وقد روى هذه الواقعة الخطيب في تاريخه انها وقعت لأبي المنذر هشام بن الكلبي النسابة فقال قال لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوما في المرآة الحكاية ذكر ذلك ابن خلكان في وفيات الاعيان ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم في ما يجي ينسى كثيرا

بروحي الذي نسيانه صار عادة * وأفرط حتى كاد يعدمه الحسا
فلو أنه بالهجر أضحى مهددي * لما ساءني علمانه أنه ينسى

وعلى ذكر قص اللحية فقد ذكرت الحكاية المشهورة عن بعض المغفلين قال نظر بعضهم في كتاب الفراسة فوجد أن من كان طويلا صغير الرأس طويل اللحية فانه يكون قليل العقل فاخذ المرآة وقال أما رأسي فصغير ولا حيلة لي في كبره وأما قدي فطويل ولا حيلة لي في قصره وأما اللحية فيمكن تقصيرها فقبض على لحيته وقرب السراج الى فضل ما زاد عن قبضته ليحرق ذلك فلما وصلت النار الى يده نزعها من لحيته هربا من النار فأتت النار على لحيته جميعها وعاد فكالا فكتب على ذلك الكلام باب صحيح مجرب وقال المأمون ما طالت لحية رجل الا وقد تكوسج عقله (رجع) والفاعل لترجو ضمير مستتر فيه تقديره أنت و(البقاء) منصوب على انه مفعول به لترجو (بدار) جار ومجرور والباء هنا ظرفية معناه البقاء في دار (لا) هذه هي لا التي لنفي الجنس وقد تقدم الكلام عليها في قوله فلا صديق البيت (ثبات) مبني على الفتح لانه اسم لا (لها) جار ومجرور متعلق بالخبر المحذوف وتقديره لا ثبات موجود لها والضمير يعود الى الدار (فهل) الفاء للتعقيب وهل حرف استفهام (سمعت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (بظل) الباء للتعدية وهي متعلقة بسمعت (غير) صفة لظل فهو مجرور لذلك فان قلت غير مضاف والمضاف معرفة وظل نكرة فكيف توصف النكرة بالمعرفة قلت غير لا تتعرف بالاضافة لانها وضعت مبهمة وقد تقدم الكلام على مثل هذا (منتقل) مجرور بالاضافة الى غير (المعنى) أترجو الخلود والبقاء بدار هي في نفسها لا بقاء لها وهي أشبه شيء بالظل في كونها وفسادها بيناها هي كائنة اذا هي فاسدة تفصيلا في الحوادث الكائنة وجملة بخراب هذه الدار وحصول القيامة وأخذ يضرب له مثلا في الخارج فقال له مستفهما فهل سمعت بظل غير منتقل وهذا الزام له لانه يضطره الى ان يقول لا ما رأيت لان الظل مستفاد من حركة الشمس وهذه الحركة لا وقفة لها فالظل في انتقال أبدا منسحب لا يستقر على حالة بين طول وقصر واخذ في التنقل قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا فهو اما ان يريد بالدار كناية عن حياة كل فرد من أفراد هذا النوع واما أن يريد به فناء هذا العالم وايا ما كان فلا ثبات له ولا بقاء فالخلود متعذر

له عند موته أي شيء تشتهي
قال ان يأتي مخارق ويضع فمه
على أذني ويغنيني قولي
ستعرض عن ذكري وتنسى
مودتي
ويحدث بعدي للخليل خليل
اذا ما انقضت عني من الدهر
مدتي
فان غناء الباكيات قليل
ومن محاسن شعره قوله
جزى الجعل عني لحمة
عني لحمته على فكري
ما فاتني خير امرئ جلت
مني يداه مؤنة الشكر
(وقوله)
عذيري من الانسان لان
جفوته
صفا لي ولان كنت طوع يديه
واني لمحتاج الى ظل صاحب
يروق ويصفو ان كدرت عليه

(١) قوله فان قلت الخ غير
هنا مضافة الى نكرة فلا يرد
هذا السؤال

واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار

وأما خراب هذه الدار فقد نطق القرآن الكريم به فى عدة مواضع من ذلك قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الآية وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الارض الا أنها تغيرت فى صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتفجر أنهارها وتستوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن مسعود تبدل بارض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة قال الامام فخر الدين رحمه الله اعلم ان التبديل يحتمل وجهين أحدهما ان تكون الارض باقية وتبدل صفتها بصفة أخرى والثانى أن تفنى الذات وتحدث ذات ثانية والدليل على أن اطلاق لفظ التبديل لارادة التغيير فى الصفة جائز أنه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا أنت سويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويقال بدلت قميصى جبة أى نقلت العين من صفة الى صفة أخرى ويقال تبدل زيد اذا تغيرت أحواله أما ذكر التبديل عند وقوع المبدل فى الذات فكقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين فاذا عرفت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين فنى الآية قولان الاول المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات وذكر قول ابن عباس ورواية أبى هريرة رضى الله عنهم وقوله والسموات اى وتبدل السموات بانتثار كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قمرها او كورها فتارة تكون كالمهل وتارة كالدهان القول الثانى ان المراد تبديل الذات وذكر قول ابن مسعود رضى الله عنه فهذا شرح هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول قال لان قوله يوم تبدل الارض غير الارض المراد هذه الارض فالتبديل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة يكون الموصوف موجودا فلما كان الموصوف بالتبديل هو هذه الارض وجب كون الارض باقية عند حصول ذلك التبديل ولا يمكن ان تكون هذه الارض باقية وذلك لان التبدل مع صفاتها فوجب ان يكون الباقى هو الذات لان هذه الآية تقتضى كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون عند قيام القيامة لا يعدم الله الذات والاجسام وانما يعدل الصفات وأحوالها والله اعلم بمراده واعلم انه لا يبعد أن يقال ان المراد من تبديل الارض والسموات هو أن الله سبحانه وتعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين والله أعلم اه كلام الامام رحمه الله تعالى قلت اذا تركنا وظاهر الآية دلنا على ان الارض تبدل باخرى غيرها فى ذاتها لانه قال غير الارض كما قال تعالى بدلناهم جلودا غيرها ومن المعلوم أن الجلود تبلى وتفنى بالاحراق والعذاب فلو قال تعالى تبدل الارض وسكت جاز أن يكون المراد ان صفتها تبدل وقد قال الشيخ علاء الدين بن النفيس رحمه الله تعالى فى رسالته التى سماها برسالة ماذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل عارض بهذه رسالة حى بن يقظان التى للرئيس ابن سينا فذكر سبب خراب هذه الدار وفساد هذا العالم وظهور الآيات التى جاءت فى السنة فى آخر الرسالة فقال ما معناه ملخصا واذا قد ثبت ان ميل الشمس الى الشمال والجنوب يتناقص دائما فاذا بطل هذا الميل او قرب منه صارت

الشمس .

كأن المأمون رحمه الله تعالى يقول خذوا منى الخلافة وأعطونى هذا الصاحب وقوله ان المطايا تشتكيك لانها قطعت اليك سباسبا ورمالا فاذا وردن بنا وردن مخفة واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

(وقوله)

كأنك عند الكر فى الحرب انما تفر من الصف الذى من ورائكا فما آفة الابطال غيرك فى الوغى وما آفة الاموال غير حياتكا

(وقوله)

بكيتك يا على بدمع عينى فلم يغن البكاء عليك شيا وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقوله)

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس وان تسترت بالاهوال والحرس

الشمس دائمة المماسة لخط الاستواء أو ما يقرب منه فلذلك تحدث حرارة شديدة جدا ويحدث في البقاع التي لها عرض بعيد برد مفرط فتفسد الامزجة وتضعف القلوب ويكثر موت الفجأة وتسوء الاخلاق فتفسد المعاملات وتكثر الشرور والخاصمات وتكثر الحروب والفتن ويتقدم الاشرار وتفسد الاذهان وبغدادها تبعد الناس عن قبول العلوم والحكمة فلذلك يقبض العلم ثم اذا بطل ميل الشمس جدا اشتد الحر في البقاع القريبة من خط الاستواء وكثرة الغيران واللهيب خاصة في البلاد الغورية والكبريتية فلذلك تحدث نار بارض اليمن وتمتد حتى تعم الارض التي عند خط الاستواء فحينئذ تكثر الادخنة وتتولد الصواعق والبروق الهائلة والرياح الرديئة ويظلم الجو ويكدر ويلزم من ارتفاع ذلك عن ارض خط الاستواء وما يقرب منه ان يقل جرم الارض هناك ويثقل ما يقابل القطبين من الارض فلا جرم يلزم من ذلك سقوط الجبال ويقل الماء جدا لاجل سيلانه الى قرب خط الاستواء بسبب الخسف ثم يبخره بقوة الحرارة التي هناك فيجف كثير من البحار ولذلك تقل مياه الارض جدا لكثرة ما يتصاعد منها متدخنا فلذلك تظهر الكنوز وما يكون في باطن الارض واذا دام فقدان ميل الشمس مدة افرط الخروج عن الاعتدال حتى افسد الامزجة الحيوانية والنباتية وكان من ذلك القيامة انتهى والايات في خراب هذا العالم كثيرة منها قوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب الآية وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وقوله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل الآية وقوله تعالى اذا الشمس كورت الآيات وقوله تعالى اذا السماء انشقت الآيات وقوله تعالى اذا السماء انفطرت الآيات وأما ذم هذا الدار الفانية فقال رضي الله عنه الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها وقال الشعبي سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله تعالى كتب على الدنيا الفناء وكتب على الآخرة البقاء فلا بقاء لما كتب عليه الفناء ولا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة وما قهر واطول الامل بقصر الاجل وقال الحسن البصري رضي الله عنه ان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق في الموت ومن الكلم النوابغ كل حي يحتضر فطوبى لمن يحتضر قلت الثانية بالخاء المعجمة أي يموت شابا على خضرة ورقة ومنها الليالي ما خلدن لذا تك أفتخالها من مخلداتك وأخبرني سماعا من لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف القرني الاندلسي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قراءة من كتابه أخبرنا الخطيب المقرئ النحوي أبو الحجاج يوسف ابن ابراهيم بن يوسف بن سعيد بن أبي ريحانة الاندلسي الانصاري في كتابه الى من مالقة سنة اثنتين وسبعين وستمائة وفيها توفي رحمه الله عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن اليتيم أخبرنا أبو الفضل معن بن عبد الرزاق السجزي الشيخ بمقبرة سمر من رأى قراءة عليه أخبرنا عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الفتح هلال بن محمد البغدادي عن محمد بن أبي القاسم عن اسمعيل بن اسحق عن نضر بن علي عن الاصمعي عن أبي عمرو عن عيسى بن عمر عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وعناء قد نزعت عنها نفوس السعداء وانتزعت بالكره من أيدي الاشقياء وأسعد الناس أرغبهم عنها

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

(وقوله)

الا انما كلنا باثد
وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الاله
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية
تدل على انه واحد

(وقوله)

ما أن يطيب لذي الرعاية
للاثام لاالعب ولاله و
ان كان يطرق في مسرته
فيموت من أجزائه حزنا
كان ابن خلدة يقول ان هذين
البيتين لروحانيان يطيران
بين السماء والارض وقوله
أيضا
الناس في غفلاتهم
ورحى المنية تطحن

وأشقاهم بها أرغبهم فيها فهي الغاشة لمن انتعشها والمغوية لمن أطاعها والخاترة لمن انقادلها والفائز من أعرض عنها والهالك من هوى فيها طوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة فيصبح في بطن موحشة غبراء مدلهمة ظلماء لا يستطيع ان يزيد في حسنه ولا ينقص من سيئه ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها انتهى قلت فاذا كانت هذه الدار بهذه الصفات التي أخبر بها الصادق الامين ورأينا ذلك أكثر مشاهدة فأي رجاء يؤمله الانسان فيها وأي أمنية ينال منها وهذا ما لا مها وهذه غايتها وأما أيام مدتها فكما قال أبو العتاهية

تأتي المكاره حين تأتي جملة * وترى السرور يجيء في الفلتات

ويعجبني قول أبي الطيب المتنبي ونقله المعنى من عتاب محبوبه الى عتاب الدهر وهو

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

وهذا البيت ظاهره بين الانسجام لفظه وانصبابه في السمع وتعلقه بالقلب وباطنه مشكل لعدم تعلق الجملة الثانية بالاولى وقد تكلم عليه الشريف بن الشجري في أماليه في أول المجلس الثاني عشر وأجاد الكلام فيه فليؤخذ من هناك (رجع) ولله در القائل حيث يقول

حكم المنية في البرية جاري * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار

وذكرت بقوله بينا يرى الانسان فيها مخبرا البيت مارثى به عبد الرحمن بن اسمعيل العروضي ابن يونس صاحب تاريخ مصر وهو

أبا سعيد وما أبالك ان نشرت * عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه * حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا
أرخت موتك في ذكري وفي صحفي * لمن يؤرخني ان كنت محسوبا

ومما نقلته من خط الوراق في رثاء الجزار

بلغت أبا الحسين مدى اليه * لمسبوق ومستبق رهان
وكنت وطالما قد كنت أيضا * تقول على الآلى سبقوك كانوا

وأخذ بعض المغاربة فقال

يا ويح اجسام الأنا * م لما تطيق من الاذى
خلقت لتبقى للقذى * وقفا وهاذاك القذى

وقال آخر

كأن بني الايام وفدان كلما * ترحل وفد جاءنا بعده وفد
فكل يحث السير عنها ونحوها * يسير بذا نعش ويأتي بذا مهد

وقال محمد بن كناسة الاسدي

(وقوله) اذا المرء لم يعتق من المال رقه * تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي * يحق ولا استهلكته هو هالكه

(وقوله) أكل يوم طول الزمان الزمان اذا * جئتك في حاجة تقول غدا
لا جعل الله لي اليك ولا * عندك ما عشت حاجة أبدا

وقوله في الشعر الذي ذكر بسببه يخاطب سلم الخاسر حيث يقول فيه

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال

ومن عجب الدنيا تيقنك البلى * وانك فيها للبقاء مريد
اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى * فان فطام النفس عنه شديد

وقال أبو العرب الصقلي

أرى الدنيا الدنية لا تواتي * فعالج في التصرف والطلاب
ولا يغرك منها حسن برد * لدعلمان من ذهب الذهاب
فأولها رجاء من سراب * وآخرها رداء من تراب

وقال أبو العلاء المعري

وحب الفتى طول الحياة يذله * وان كان فيه مخوة وغرام
وكل يريد العيش والعيش حتفه * ويستعذب اللذات وهي سهام

وقال آخر

حتام اصرف نفسي عن مراشدها * واتعب القلب بين اليأس والامل
ما مدة العمر الا منتهى نفس * ياقرب ما بين عيش المرء والاجل

وقال ابن خفاجة

وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
تحث بها في كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
الا ان جسما يستحيل لتربة * وان حياة تنتهي لخراب

وقال ابن نباتة السعدي

وغاية هذه الدنيا فساد * فكيف تكون منها في صلاح
هي الخرقاء تنقض بعد نسج * فما فيها لحي من فلاح
يؤول به الشباب الى مشيب * ويسلمه العدو الى الرواح
اما في أهلها رجل لبيب * يحس فيشتكي الم الجراح
ومن لبس التراب كن علاه * فلا تغررك انفاس الرياح

وقال ابن نباتة

أيسكن الناس وقد حاطهم * سبعة افلاك عليهم تدور
والدار في الاخرى دها اليزها * في هذه الدنيا لحود القبور

وقال أبو الطيب

نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالي
يدفن بعضنا بعضا ويمشي * أواخرنا على هام الاوالي
ومن لم يعشق الدنيا قديما * ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب * نصيبك في منامك من خيال

قلت يريد بالاوالي الاوائل وهو كثير في كلامهم قال امرؤ القيس

وامنع عرسي ان يزن بها الخالي أي الخائل

وقوله ولكن لا سبيل الى الوصال فيه محذوف فانه حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه

(ما كان أخلقك بأن تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك)

ما أخلقك أي ما أولاك يقال فلان خليق بكذا أي كأنه مخلوق فيه مجبول عليه وتقدر بذرعك أي تقيس الامر بجهدك قبل أن تفعله والذرع الجهد ومن ضاق فلان ذرعا وأصل الزرع بسط اليد كأنه جهد في بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه مالا يقدر عليه والظلع في البعير العمز في مشيه ويستعار لغيره وربع اذا أقام فالمعنى أقم على ضعفك وارفق بنفسك وقال آخر قولهم أربع الى ظلعك أي على قدر قدرتك ويقولون أيضا ارفق على

تقديره ولكن لاسبيل الى دوام الوصال والمعنى عليه لان الوصال حصل ولكن دوام الوصال لاسبيل اليه قوله ويمشى أواخرنا البيت أخذه مهيار الديلمى فقال

رويدا ياخفاف الطى فانما * تداس جباه فى الثرى وخدود

وأخذه أبو العلاء المعرى قبله فقال

خفف الوطء ما أظن اديم الا * رض الا من هذه الاجساد

وما أكثر حكمة قول المعرى من هذه القصيدة

تعب كله الحياة فما أعـ * ـجب الا من راغب فى ازدياد

واللبيب الاريب من ليس يغـ * ـتر بكون مصيره للفساد

وقال فى خراب هذا العالم

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاه الردى على ميعاد

والثريا رهينة بافتراق الـ * ـشمل حتى تعد بالافراد

وهذا قول بفناء هذا العالم وخرابه ثم انه خالف هذا الرأى فقال

راح من راح والثريا الثريا * والسماك السماك والغفر غفر

ونجوم السماء تجرى منا * كيف تبقى من بعدنا وتمر

وأخبرنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال سمعت الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى يقول فى أبى العلاء المعرى انه كان فى حيرة انتهى قلت يعنى من العقيدة ولعمرى هذا الذى يظهر لذوى الالباب من كلامه بينا هو يرى رأى النبوات اذا هو يرى رأى الحكماء ومن تتبع كلامه وجد هذا التناقض فيه وأما هذان البيتان فيمكن أن يفهم منهما عدم المغايرة للاولين لان قوله راح من راح لايدل على ان هذه الكواكب باقية لاتفنى وانما يفهم منه انها أطول اعمارا منا فلها أمد أطول وغاية هى ابعد من غاية الانسان وقال بعض الاعراب

وكل مفارق فقد اخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وهذا أيضا يمكن له التأويل ويرد الى القول بخراب هذا العالم وقال بعض الناس الاهنا بمعنى حتى وليس بشئ وسألت الشيخ الامام العلامة اثير الدين أبا حيان عن ذلك فقال هذا شئ لم أقف عليه فى كلام العرب وقال ابن سناء الملك

بقيت ويلى الزمان الجديد * وتبا لمذهب أهل القدم

فلابد من أن تمور السماء * ويزوى بها كل نجم نجم

فليس السماء كما قد رأيـ * ـتم بالشهب الا ديماحلم

قلت ذهب الحكماء الى القول بقدم أربعة أشياء وهى الزمان والمكان والهيولى والصورة وقال أفلاطون بقدم النفس حتى جاء ارسطاطاليس فبرهن على حدوثها وخالف أفلاطون وقال هو صديقى والحق أصدق لى منه ورتبوا على هذه المقالة أن العالم باق بقاء واجب الوجود لايتغير نظامه ولا يبلى ولا يحول ولا يزول وهى من المسائل التى كفروا بها والصحيح ماذهب اليه المتكلمون فانهم استدلوا على حدوث العالم بجموعه وبرهنوا دعواهم وقرروا الابحاث فى ذلك مع خصومهم وليس هذا مكان شئ من تلك البراهين لما فيها من تقدير

ظلمك لان الراقى فى جبل أوسلم اذا كان ظالما يرفق بنفسه وقال آخر وظلم أوجع على ظلمك أى احمل الحجر على قدر جهدك فان الحجر يسمى ربيعة وهو قول متعمق *(ولا تكن براقش الدالة على أهلها)* هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلفت الاقوال فيه فقال قوم وهم الاكثر براقش اسم كلبه نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم فنفى عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب أشأم من براقش وعلى أهلها تجنى براقش وقال أبو عمرو ابن العلاء براقش امرأة كانت لبعض الملوك فأفرد الملك

المقدمات التى تنتج لنا المطلوب على ذلك فليؤخذ ذلك من كتب الكلام وقال الخباز البلدى أوغيره

قلت للفرقدين والليل ملق * فضل أذياله على الآفاق
أبقيا ما بقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بهم الفراق

وقال ابن سناء الملك

آثرت دهرى ان تبقى به أبدا * فكان ايثار دهرى غير ايثارى
والمرء بالدهر لا ينفك منكسرا * قهرا وغير عجيب كسر فخار

وقال من أبيات

ترنو فمنها وجهها وهى جنة * ويخضر منها نضرة فهو سندس
صلينى وهذا الحسن باق فربما * يعز بيت الحسن منه ويكنس

ولما وقف القاضى الفاضل رحمه الله تعالى على هذه القصيدة التى منها هذه الابيات كتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وماقات هذه الغاية الاوتعلمنى انها البداية ولاقلت هذا البيت انه القصيدة الا تلا مابعده ومانريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولاعيب فى هذه المحاسن الاقصور الافهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بمانحتها ودونوا مادونها وشغلوا التصانيف والخواطر والاقلام بما لا يقاربها وسارت الاشعار وطالت بما لا يبلغ مدها ولا نصفه والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها وقد ذلت السين فيها وانقادت فلو أنها الراء لما زادت وبيت يعزل ويكنس أردت ان أكتبه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها فأجاب ابن سناء الملك قائلا وعلم المملوك مانبه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يكتبه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له متعجبا منه معتقدا انه قد ملح فيه وأن قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه فى الكنس الا ابن المعتز فى قوله

وقوامى مثل القناة من الخط * وجدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ولا آنس ناره الا ما وجد عليها هدى ولا مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار قلبه الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة فقال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتجنب
تحاول منى شيمة غير شيمتى * وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال

وما زارنى الا وقلت صبابة * اليه والا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد أبا تمام فقال

سلم على الربيع من سلمى بذى سلم

وقد قال

خشنت عليه أخت بنى خشين

فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكاد سمعه ينجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز فقال

وقفت فى الروض أبكى فقد مشبهه * حتى بكت بدموعى أعين الزهر
لو لم أعرها دموع العين تسفحها * لرجتى لاستعارتها من المطر

وقد قال

قد لك غصن لا شك فيه كما * وجهك شمس نهاره جدلك

واستخلفها وكان لهم موضع اذا فزعوا دخلوا فيه فاذا ابصره الجند اجتمعوا وان جوارها عبث ليلة فدخن فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لهم انصاحها ان رددتهم ولم تستعملهم فى شئ ودخنت مرة أخرى لم يحضروا فامرت بهم فبنوا بناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فحدثوه بالقصة فقال على قومها تجنى براقش وحكى الشرقى عن لقمان حكاية أخرى فى هذا المعنى وهى تقارب هذه والاول أقرب الى المعنى

(وعنز السوء المستشيرة تحتفها) هذا أيضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه وأصله ان رجلا وجد عنزا فاراد ذبحها

فوجد المملوك طبعه الى هذا النمط مائلا وخاطره فى بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب عليه خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمى ويصم فقد أعماه حبه له وأصمه الى ان نظم تلك اللفظة فى تلك الابيات تقليدا لابن المعتز فانه قالها وجل اتقالها وهى تغفر لذلك فى جنب احسانه فاما المملوك فهى عورة ظهرت من لسانه فأجاب القاضى الفاضل رحمه الله ولاحجة فيما احتج به عن الكنس فى بيت ابن المعتز فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا فى الصواب فقط وقد علم ماذكره بن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن باردة وغثه مالا يلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه من حظه وللمجترى فأعطاه أكثر من حقه وما أنصفهما ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادى ولكن للعتاب مواضع انتهى قلت قد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة فى غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا أزدجر عما قبحه لانه غلب عليه الهوى فقال

توسوس شعرى به مدة * ومابرح الحلى والوسوسه
وخلصنى من يدى عشقه * ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من عشقه * ولحيته كانت المكنسه

وأما القاضى الفاضل فما أظنه خلا هذا الايراد من ضعف انتقاد وأحاشى ذلك الذهن الوقاد من هذا الاعتقال فى ورطة هذا الاعتقاد وما أراه الا أنه تعمد أن يعكس مراده وبوهى ماشاده وبوهن ماشيده ويرميه ببلاء البلاده اما على سبيل النكال أو النكاده لان الفاضل رحمه الله تعالى ممن يتوخى هذه الالفاظ ويقصدها وينشيها وينشدها ويورى زنادها ويوردها فمن كلام القاضى الفاضل فى بعض رسائله وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره ولا ألبابهم ان تسيغ خمره ولا سيوفهم ان تنكس قممه ولا أعراضهم ان تأخذ لطيمه انتهى (رجع) وأما قول الطغرائى فهل سمعت بظل غير منتقل فقد ذكرت به قول القائل

الكون عندى كالخيال حقيقة * فى شكله وعمومه وخصوصه
يبدى خيالا للشخوص نواطقا * والناطق الفعال غير شخوصه

وأحسن منه

رأيت خيال الظل أعجب منظرا * لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشكال يزهره بعضا * لبعض بأصوات هنالك دقاق
تمر وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرق باقى

وظرف القائل فى قوله

ماترى فى الوجود غير شخيص * بذقين يهدى الى أن يموتا

وعلى ذكر الخيال فما أحسن قول الوجيه المناوى

اذا ماتغنت قلت سكرى صبابة * وان رقصت قلنا احتكام مدام
أرتنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام

وقلت أنا فى مليح مخايل

مخايل قد بدت عليه * مخايل البدر فى الكمال

فلم يجد سكينا فبينما هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها بها (فما أراك الا سقط بك العشاء على سرحان مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على خلافه وأصله ان ذئبة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب فأكلها وقيل رجل أعشى العين وقع على ذئب فأكله وعلى هذه الرواية يكون العشاء مقصورا وقيل بل هو سرحان بن قعنب اليربوعى كان فاتكا رحى وادبا فورده وف الاسدى فقال أشهد لايمنعنى سرحان رعى ابلى الليلة فرعى فربه سرحان بن قعنب فقتله فقال أخوه يخاطب زوجة الاسدى ابلغ صبيحة ان راعى أهلها

تريك بابانه فتونا * تروق فى الحسن والجمال
فقد غدا وصله يقينا * أحسن ما كان فى الخيال

وقلت فيه أيضا

هويت خيالا يحكى الغصن قده * اذا ما انثنى هاجت عليه البلابل
أراق دم العشاق سيف جفونه * ومن بعد ذا أضحى عليهم يخايل

*(ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * أصمت فنى الصمت منجاة من الزال)*

(اللغة) السر الذى يكتم والجمع أسرار والسريرة مثل ذلك والجمع السرائر وقوله تعالى يوم تبلى السرائر معناه يوم تختبر سرائر القلب وهو ما أسره من العقيدة والنية وفى المثل ما يوم حليمة بسر لان حليمة بنت الحرث بن أبى شمر الغسانى لما وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السما أخرجت لهم طيبا فطيبتهم فنسبوا اليها مطلعا فاعل من الاطلاع اصمت صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا وأصمت مثله والتصميت التسكيت والتصميت أيضا السكوت ورجل صميت أى سكيت والصمتة مثل السكتة منجاة نجوت من كذا نجاء ممدود ونجا مقصور والصدق منجاة وأنجيت غيرى ونجيته وقرئ بهما الزال تقول زللت زلا وزليلا اذا زلت فى طين أو منطق قال الفراء زللت بالكسر تزل زللا والاسم الزلة والزليلى واستزله شيره وزال النية والتصفيق يعنى انه نزل من موضع الى موضع لطلب الكلأ والنية الموضع الذى ينوون المسير اليه وزحلوقة زل قال الراجز

لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل

وكذلك زحلوقة زال (الاعراب ويا خبيرا) الواو عاطفة على المنادى فى قوله يا وارد اسؤر عيش البيت ويا حرف نداء وقد تقدم الكلام عليه هنا لك خبيرا اسم فاعل من خبرت الامر ونصب لانه نكرة غير مقصودة وتقدم الكلام على المنادى (على الاسرار) على حرف جر ومعناه هنا الاستعلاء معنى وهو متعلق بمطلع لان خبيرا لا يعدى بحرف جر يقال اطلعت على كذا والاسرار مجرور بعلى (مطلعا) صفة لخبيرا وقدم وأخر تقديره ويا خبيرا مطلعا على الاسرار (أصمت) فعل أمر من صمت وقد تقدمت القاعدة فى الهمزة المختلسة فى أول فعل الامر وعلة بنائه على السكون (فنى) الفاء هنا واقعة فى جواب الامر وفى حرف جر (الصمت) مجرور بفى والجار والمجرور فى محل الرفع لانه خبر مقدم (منجاة) اسم مصدر مثل رضاة وهو مرفوع على انه مبتدأ والخبر تقدم فى الجار والمجرور (من الزال) من لبيان الجنس وهو متعلق بمنجاة والزال مجرور بمن (المعنى) ويا من خبر الامور واطلع على الاسرار اصمت ولا تبد شيأ مما خبرته واطلعت عليه فان صمتك منجاة لك من الزال وهذا أمر يجب اتباعه على كل من طلب السلامة فقد يترتب على افشاء السر مفاسد كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر الى أخيه سرا فالتفت يمينا وشمالا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كتم سره كان الخيار بيده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به وقال أكثم بن صيفى ان سرك من دمك فانظر أين تريقه وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لانى كنت به أضيق صدرا حيث استودعته اياه وأخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على مستقر
لم يثنه خوف من الحدثان
(وبك لا بظبى أعفر)
هو مثل يضرب للشامت بالرجل يقول نزل به المكروه ولا نزل بظبى تريد أن عنا بى بالظبى أشد من عنا بى به والأعفر الذى لونه لون التراب وهو الغبرة وكذلك غزلان السهل وكأنه خص الظبى بالداء لان العشار والكسر سريعان اليه وقيل لانه متى أصابه داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من أبيات يتعلق بها حكاية وذلك ان الفرزدق كان قد هجا بنى نهشل بأبيات منها

لعمرى لقد قل النهى فى عديدكم
بنى نهشل ما ألؤمكم بقليل

وقال آخر اذا ماضاق صدرك من حديث * فأفشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الظلوم

وقال بعضهم السر ما كتمته فى نفسك فاذا أسررته الى غيرك فليس بسر وما أحسن ما أنشد فى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان لابى حفص عمر بن محمد النحاتى البجلى اللغوى قوله

سرك ان أودعته ثانيا * فاعلم بان قد آن أن تفشيه
لان ما أضمر فى حالة الا فراد تستخرجه التثنيه

معناه اذا قلت قام الزيدان فان الفعل هنا لم يحمل ضمير تثنية لما كان فى حالة الافراد فاذا قلت وقعدا احتجت الى أن تظهر ضميرا يعود على الاثنين لانك تذكر الفعل للاثنين فى حالة الافراد لم يظهر وفى حالة التثنية ظهر وجاء رجل الى القاضى شريح فكلمه بشئ وأخفاه فلما خرج قال له رجل يا أبا أمية ما قال لك قال يا ابن أخى أومار أيته ستره عنك وقال عبد الله ابن أبى زكريا الخزاعى فقيه دمشق وأحد الاعلام وكان يعدل بعمر بن عبد العزيز ما علمت شيأ من العبادة أشد من السكوت قيل انه كان لا يتكلم الا اذا سئل وكان من أكثر الناس تبسما وكان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير وأسر رجل الى آخر حديثا فلما فرغ قال له أحفظت قال بل نسيت ومن كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى افرح بما لم تنطق به من الخطا فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب ومنه أيضا كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا ومن كلام الحكمة اكتم مذهبك كما تكتم ذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه وقال ابن المحلى العنبرى الطبيب

من لزم الصمت اكتسى هيبة * تخفى عن الناس مساويه
لسان من يعقل فى قلبه * وقلب من يجهل فى فيه

ومن الكلام النوابغ رب كلام أوردك مورد القتال أوردك عن مورد القذال ومنها يا بنى ق فاك ما يقرع قفاك ق فعل أمر من الوقاية ماضيه وقى ومضارعه يقى ومنها ان لم تملك فضل لسانك ملكت الشيطان فضل عنانك ومنها ملاك حسن السمت ايثار الصمت وقال بعض النساك أسكتنى كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهى من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه وسمع بقراط رجلا يكثر كلامه فقال له ياهذا ان البارى عز وجل جعل للانسان لسانا واحدا وأذنين ليكون ما يسمع أكثر مما يقول ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله تعالى وأمت الاسرار فى قلبك والحد موتاها فى جنبك فقبيح بك ان لا يرى لك سرا الا عند ربك وقال أبو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وقال آخر

ابخل بسرك لا تبح يوما به * فصغيره يأتى بكل عظيم
أوما ترى سر الزناد اذا فشا * يأتى وشيكا سقطه بجحيم

وقال مؤيد الدين الطغرائى

ولا تستودعن السر الا * فؤادك فهو موضعه الامين
اذا حفاظ سرك زيد فيهم * فذاك السر أضيع ما يكون

وما أحسن قول ابن عمانى من قصيدة

ثم خرج سادات بنى تميم وفيهم الحتات بن يجاشع عم الفرزدق الى معاوية فوصلهم وترك حتا تا فما تابه فقال معاوية انى اشتريت من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشترى منى دينى أيضا فالحقه بهم فى الصلة فاقام ينتجزها فطعن فمات فرجع معاوية فيما أعطاه فحينئذ قال الفرزدق وهو اذ ذاك بالبصرة

أبوك وعمى يا معاوى أورثا * ترائا فأولى بالتراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته * وميراث حرب حامد لك ذائبه
وكم من أب لى يا معاوى لم يكن * أبوك الذى من عبد شمس يقاربه
فوجدا النهشليون سبيلا

وضاق على العجز حتى كأنني * حملت به للضيق في صدر محنق
فيالتني كالدمع في جفن عاشق * فاخرج أو كالسر في صدر أحمق

وما أحسن ما اعتذر به التهامي عن اظهار سره بقوله

قد بحت وجدا فلامتني فقلت لها * لا تعذليه فلم يلؤم ولم يلم
لما صفا قلبه شفت سريرته * والشئ في كل صاف غير مكتتم

وسمعت امرأة عاشقها وهو ينشد

سري وسرك لم يشعر به أحد * الا الاله والا أنت ثم أنا

فقالت له لا تنس القوادة فانه لابد أن تدري بسرنا وحكى الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعي سرا تضمنت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبي

وما السر في قلبي كتاب محفرة * لاني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني اخفيه حتى كأنني * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وقال أبو الحسين جعفر بن عثمان المعنى الاندلسي صاحب الحكم

ياذا الذي أودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري * كأنه مار في اذني

وكنت قد أهديت الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة من رحبة مالك بن طوق حمل سمك فراقني وسألته كتمان ذلك لمصلحة آثرتها وكتبت مع ذلك

أهديته سمكا صطادودك لي * فليس ذا سمكا الا كنه شبك
لا تنكر التمر اذ يهدى الى هجر * فأنت بحر وقد أهدى لك السمك

فكتب الجواب عن ذلك ومنه فأهاله رفد لم يكن فيه عيب غير السرف وجودا لو تمكن المملوك منه لوصل فيه القول ووصف ولكن أشار مولانا الى مصلحة كتمه وجرى في امتثال الاشارة على رسمه وخشي أن يجري له في هذه المطالعة ذكر ايحكمه ويأخذ من أقصته اللؤلؤية معنى ينثره أو ينظمه فيتوهم مولانا ان المملوك يشيع أمره طلبا لاشاعة كلامه واذاعة ثناره ونظامه فسكت والاقوال تعتلج وصمت والالفاظ الآثار تكاد في مسامع الاعين تلج ومنه على ان المملوك ان سكت مقاله فقد تكلمت مقلاته وحاش غليانها بشكر ما هبت به من مولانا وهباته وليست والله كما قال بعض العرب مقلاة تزور ولكن ذات نتاج تعاود منها القرى وتزور

هبات عن البحر الفرات تحدثت * فقد عظمت عن قولي المتغالي
وقد أفصحت عندي المقالي بشكرها * فلم تخل عندي من ثناء مقالي

انتهى وأما الجاحظ فلم ير الصمت مذهبا لانه قال كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه ونفع الكلام يعم والرواة لم تر وسكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه وبه وضع الكلام المحمودة كثيرة وبطول الصمت يفسد البيان وقال أبو تمام الطائي تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلام وفضله

فسعوا به الى زياد وقالوا هيا أمير المؤمنين فقال زياد لعريف بني تميم أحضر قومك والفرزدق فيهم فأخذوا عطاءهم فأحسن الفرزدق بالشعر فهرب ومازال يطوف حتى أتى المدينة فأتى ابن سعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة منشدا

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

فأمنه سعيد فبلغ زيادا فقال لا والله لا أرضى عنه حتى ينتسب في بني فقيم ثم قال مروان لم ترض أن تكون قعودا تنظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا أبا عبد الملك لصافن فقدها

والصمت ونبله فقال ليس النجم كالقمر انك انما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شئ فهو أكبر منه قلت ليس هذا بانصاف لان الصمت مطلقا ولا الكلام مطلقا وانما الصمت محمود اذا تكلم الانسان فيما لا يعنيه أو فيما اذا انقل عنه آلت عقباه الى مضرته أو مضرة غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وأفتى الفقهاء أنه ان علم أن قوله الحق يصادف موقعا وقبولا تعين أن يقوله والا فالسكوت أولى وزب كلمة أدنت أجلا وقطعت دولا ومنعت أملا ودهت الى مأدبة شرها الجفلى وأما الرسل فكلامهم متعين واجب عليهم لانهم الزموا البلاغ وكلفوا هداية العباد ولا يكون ذلك الا بالكلام ولو لازموا الصمت لم يؤدوا الامانة ولم ينصحوا العباد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعثه الله في زمرة العلماء يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها فالكلام في العلم ونشره هداية وهداية الناس تتعين على من اتصف به وقد قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ونصح المسلمين فريضة على كل مسلم وروى الشعبي عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفي بعض الروايات او ليسكت وقال الحسن بن عمرو الشعبي سمعت بشر بن الحرث يقول الصبر هو الصمت والصمت هو الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت الا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه انتهى والكلام مذموم اذا تكلم به في غيبة بل هو محرم أو اشتغل بما لا فائدة فيه أو بما اذا حفظ عليه أو نقل عنه حصلت به فتن أو نشأت به احن أو تولدت به أحقاد أما اذا كان الكلام بين أحباب وأصحاب وأهل وغاص وصفاء ومروءات وديانات فلا بأس بالكلام وما أحسن ما قال محمد بن كناسة الاسدي

في انقباض وحشمة فاذا * جالست أهل العفاف والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم

وقال القاضي الفاضل رحمه الله

الصمت أسلم لكن ان اردت دمي * ان لا يفيض فسامحني افض كلمي
بيني وبين وجودي الله يحكم لي * عليه يا ليتني لا شئ في العدم
ولا حديثي ولا دهري وحادثه * ولا همومي ولا وهمي ولا هممي
ولا حسامي الذي للحز أغمده * ولا اجرد في الشكوى سوى قلمي
ولا الليالي التي نيرانها اتقدت * بالفكر لم تعل في الدنيا سوى علمي

وقال سيف الدين الآمدي رحمه الله اجتمعت بالشيخ شهاب الدين ابي الفتوح يحيى السهروردي في حلب فقال لي لابد لي ان املأ الارض فقلت من اين لك هذا قال رأيت في المنام كأني شربت البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب ذلك فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل انتهى ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد

أرى قدمي اراق دمي * وهان دمي فهاندمي

ونقلت من خط القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى ما صورته حكى لي

عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى المدينة مروان أحضر الفرزدق فقال أنت القائل هما دلتاني من ثمانين قامة كما أتقض بازا قشعم الريش كاسره
فقلت أردت الاستتار لا يشعروا بنا
وأقبلت في الحجاز ليل أبادره
فقال نعم قال أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عن المدينة فاستجار بعبد الله ابن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق أن مسكينا الدارمي رثاه فقال ولم يكن هجا زيادا حتى مات خوفا منه
أمسكين أبكى الله عينك انما
جرى دمعها في باطل فتحدرا
بكت أمرأ من أهل ميسان كافرا

الضياء محمد بن خميس الوكيل المعروف بابن المغربي قال لما اعتقل الشهاب السهروردي بالمقام بقلعة حلب دخلت عليه المقام قاصد الأراه وجلست أتوضأ للصلاة فرأيته يمشي ويقول اللهم اقبض روحي على خط مستقيم ولما رجع من تمشيه قال اللهم خلص لطيفتي من هذا العالم ثم عاد وقال

لو علمنا اننا الا نلتقي * لقضينا من سليمى وطرا

قال فتركته وخرجت ولم أسمع منه شيأ غير هذا انتهى ما نقلته ووجدت شمس الدين محمد بن التلمساني قد خرج على الحاشية بخطه قوله اللهم اقبض روحي على خط مستقيم تبع فيه اقليدس حيث قال اللهم أمتنا على زاوية قائمة وابعثنا على خط مستقيم انتهى قلت قدم الكلام على هذا في قوله وضج من لغب نضوي البيت وقوله اللهم خلص لطيفتي تبع فيه قول ارسطو فيما أظن اللهم خلص لطيفتي من ظلمات الهيولى وذكرت هنا ما حكاه ابن المزرع قال سمعت الجاحظ يقول وقد أنشد أبيات أبي نواس السينية التي أولها ودار ندامى عطلوها وأدلجوا الابيات لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا لهو الشعر ولو نقر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف انتهى قلت وكتاب الصنائع لابن مولاهم ولابن يعمر في هذا الباب غايه وفي العجب العجيب آيه وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

فان يكن أحمد الكندي متهما * بالفخر يوما فاني لست أتهم
فاللحم والعظم والسكين تعرفني * والخلع والقطع والساطور والوضم

يشير الى قول أبي الطيب

فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقال

ان شئت تعرف في الآداب منزلتي * واني قد عدا في العز والنعم
فالظرف والسيف والاوجاق تشهد لي * والعود والنرد والشطرنج والعلم

وقلت أنا في هذه المادة

ان كنت تنكر حالي في الغرام وما * ألقى واني في دعواي متهم
فالليل والويل والتسهيد تشهد لي * والحزن والدمع والاشواق والسقم

وقال أبو الحسين الجزار متهكما يفخر على أبي الطيب

تعاظم قدري على ابن الحسين * فذهني كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الخروف أبو الطيب

وقال أبو الحسين أيضا

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ كان في جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

قلت قد رأيت بعضهم قد قال ان الكتف تؤكل من أسفلها لان لحم الكتف اذا جذب من الجانب الاسفل انقلع بكليته ولان المرقة تجري بين اللحم والعظم فاذا أخذت من أعلاها ربما انصبت المرقة على الآكل وقال النصير الحماحي أنشدنيه القاضي جمال الدين ابراهيم بن

ككسرى على ايلانه أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه
به لا بظبي بالصريمة أعفرا
* (أعذرت ان أغنيت شيأ
واسمعت لو ناديت حيا)
يعني بلغت العذر في
نصيحتك ان قبلت مني
وتركت التعرض الى
واسمعتك ان كنت حيا تسمع
وهذا نصف بيت من بيتين
لعمرو بن معدي كرب ويروى
لدريد ابن الصمة وقد
تقدم ذكرهما وهما
لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نار نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد
وبعض المتعصبين على أبي
العلاء المعري يزعم أنه خرج
ليلة الى بعض مراقب موسى

شيخنا الامام شهاب الدين محمود وقال أنشدني النصير لنفسه من لفظه

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * بها يداري من لا يداريه
أعرف حر الاشياء وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

وقد أتى بمثلين معروفين وقال تاج الدين مظفر الذهبي

كافت بتصوير الدمى في شبيبتي * واتقنتها اتقان حرمذب
وحاولت عنها رجعة ومدحتكم * فلم أخل من تزويق زور مكذب

وقال نجم الدين بن صابر المنجنيقي

تعلمت علم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم المديح لشقوتي * فلم اخل في الحالين من قصد حائط

وقال سيف الدين المشد

الحمد لله في حلي وترحالي * على الذي نلت من علمي ومن عملي
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم أصبحت والديوان ينسب لي

وقال السراج الوراق

رب سامح أبا الحسين وسامحني فحسبي وحسبه الاثام
فذنوب الوراق كل جريح * وذنوب الجزار كل عظام

وقال أيضا

نصب الحشا غرضا وقرطس اذ رمى * وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يجبني * ياليت شعري أينا الوراق

وقال أيضا

بني اقتدي بالكتاب العزيز * وراح لبري سعيا ولاجا
فما قال لي أف مذ كان لي * لكوني أبا ولكوني سراجا

وقال أيضا

قالوا وقد مل فلان * ومالوا المطول رجعه
قطعت عنه فقلت دعه * كنت سراجا فصرت شمعه

وقال أيضا

اتى على الانام اني * لم أهج خلقا ولا هجاني
فقلت لا خير في سراج * ان لم يكن دافق اللسان

وقال أيضا

قلبي لديك وطرفي طال بعدهما * عني فلي أبدا سهد وتذكار
ولست منهما قول السراج اذا * ما قال من قلق في قلبي النار

وقال أيضا

الهي قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعمائك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسي فسرني * وما ساءني أن السراج منور

وقال

عليه السلام ورفع رأسه الى السماء وقال يارب كلمني فانا أفصح من موسى قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد فانشد البيتين وذكر انهما من شعره والحكاية باطلة في حقه من وجوه متعددة

(ان العصا قرعت لذي الحلم * والشئ تحقره وقد ينمى)

قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ما هو أصلح وقوله ان العصا قرعت والشئ تحقره مثلان في التحذير منظومان في قول الحرث بن وعلة الشكري وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال من أبيات حسنة في معناها

أقلت سداتنا بلا ترة * الا لتوهن قوة العظم

وقال أيضا

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

وقال وقد وقع المطر

جاء لسان السراج مبلولا * لكم بشكر كالروض مطلولا
فقال قوم والقطر يأخذه * قد عاد هذا السراج قنديلا

وقال أيضا

شعريتى مذ رمدت قد حجبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
الحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وعلى الجملة فقد استعمل اسمه وصناعته كثيرا الى الغاية وأخبرنى المولى القاضى عماد الدين اسمعيل بن القيسرانى قال قال والدى للسراج الوراق لولا لقبك راح نصف شعرك وحكى انه جهز يوما غلامه ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به الخص فأحضره وقلبه وأخذ فى الاكل فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال أتفعل مثل هذا بنا فقال والله ياسيدى مالى ذنب لانه قال أعطنى زيتا للسراج وحضره وأبو الحسين الجزار ليلة من الليالى عند الصاحب بهاء الدين للمنادمة فقام أبو الحسين الى بيت الخلاء فقال الصاحب ياطواشى قم قدام جمال الدين بالشمعة فقال أبو الحسين يامولانا الصاحب المملوك تعودان يخرا على السراج فقال السراج لاجرم أنى ما بقيت أنيك علقا وما أحسن قول شرف الدين أبى الطيب أحمد بن الحلاوى

جاء غلامى فشكا * أمر كيتى وبكى
وقال لى لاشك بر * ذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما * مشى ولا تحركا
فقلت من غيظى له * مجاوبا لما حكى
تريد أن تخدعنى * وأنت أصل المشتكى
ابن الحلاوى أنا * فلا تكن معلكا
ولا تحاد عنى ودع * حديث ذاك المعلكا
لو أنه مسير * لما غدا مشبكا
فذر أى حلاوة الالفاظ منى ضحكا

(رجع) وهذا شهاب الدين السهروردى وهو المقتول حبسه الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين باشارة والده وكان شابا فاضلا أوحد أهل زمانه فى العلوم الحكمية بارعا فى اصول الفقه مفرط الذكاء فصيح العبارة له كتاب التنقيحات وكتاب التلويحات وهو أكثر مسائل من اشارات ابن سينا وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق والرسالة المعروفة بالغربة الغربية على مثال رسالة حى بن يقظان ويقال انه كان يعرف على السيمياء وانه اجتمع بالظاهر غازى وأراه منها عجائب فقيل لوالده السلطان صلاح الدين انه يفسد عقيدة ولدك فكتب اليه أن اقتله بلا معاودة فقتله وهو ابن ست وثلاثين سنة أو ثمان وثلاثين والناس فى

ووطئتنا وطأ على حنف
وطء المقيد نابت الهرم
وزعمت أنا لا حلوم لنا
ان العصا قرعت لذى الحلم
لا تأمنن قوما ظلمتهم
وبدأتهم بالشر والشتم
أن يأبروا نخلا لغيرهم
والشئ تحقره وقد ينمى
الا تكن لما أبيض مشربى
وعضضت من نابى على جذم
ترجو الاعادى أن أصالحها
جهلا توهم صاحب الكلم
قومى هم قتلوا أميم أخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى
وان عفوت لاعفون جللا
وان أصبت لاوهنن عظمى
واختلف فيمن قرعت له
العصا وضرب به المثل فقيل
هو عامر بن الظرب بن عباد
العكرى أحد حكام العرب

أمره مختلفون فقائل انه من أهل الصلاح والكرامات ظهرت بعد موته وقال القاضي بهاء الدين ابن شداد رحمه الله تعالى في أول سيرة صلاح الدين انه كان حسن العقيدة كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذكره وأكثر الناس على انه ملحد لا يعتقد شيئا وانه انما قتله قلة عقله وكثرة كلامه ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله اجتمع هو وعبد الله ابن المقفع ليلة فتحادثا الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيته قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه وكذا كان ابن المقفع فانه قتله قلة عقله وكثرة كلامه شر قتلة ومات شر ميتة قلت وكذا أيضا كان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله علمه متسع جدا الى الغاية وعقله ناقص يورطه في المهالك ويوقعه في المضايق وما أحسن قول القائل

الصعو يرتع في الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

وكم قد رأيت من ذي منظر ورواء حسن وسمت وبهاء كان له في النفوس أبهة وعظمة حتى اذا تكلم انسلخ مما كان فيه ورمى بالهوان وحكي ان بعضهم كان يجلس الى القاضي أبي يوسف فطال الصمت فقال له يوما القاضي أبو يوسف ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال أبو يوسف اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت أنت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثل بقول القائل

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وبعض الناس يروي أن هذه الواقعة اتفقت للشافعي رضي الله عنه وان هذا السائل كان يحضر مجلس الشافعي وهو ذو أبهة وزي حسن وبخور يعبق فيحترمه الشافعي ويتجمع منه ويضم رجليه ويجد لذلك المكان فلما كان في بعض الايام أطال الجلوس والشافعي ضام رجله الى أن خدرت فلما سأل هذا السؤال وقال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل قال الشافعي يمد الشافعي رجله ومدها وبعضهم يرويها انها وقعت لابي حنيفة رضي الله عنه والظاهر انها وقعت لابي يوسف رحمه الله تعالى وقال الهيثم بن صالح لابنه اذا قللت من الكلام أكثرت من الصواب واذا أكثرت من الكلام قللت من الصواب فقال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني من الكلام والصواب فقال أبوه ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك

*(قدر شحولك لا ران فطنت له * فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل)*

(اللغة) رشحولك فلان يرشح للوزارة أي يربى لها ويؤهل فان الترشيح هو أن ترشح الام ولدها باللبن القليل تجعله في فيه قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وترشح الفصيل اذا قوي على المشي قال الاصمعي اذا قوي ومشى مع أمه فهو راشح وأمه مرشح فطنت الفطنة الفهم تقول فطنت بالفتح ورجل فطن وقد فطن فطنة وفطانة وفطانية أربأ قال أبو زيد ربأت الشيء اذا حذرته واتقيته والمرباة المرقبة ومنه قيل لمكان البازي الذي يقف عليه مربأ الهمل بالتحريك الابل بلا راع مثل النفش الا ان النفش لا يكون الا ليلا والهمل يكون ليلا ونهارا يقال ابل همل وهاملة وهمال وهوامل وترى كتبها هملا أي سدى وفي المثل اختلط المرعي بالهمل قال الزمخشري في المستقصى أي تساوى النعم التي لا راعي لها والهاراع لسوء الرعية يضرب

المثل وبين وفيه يقول ذو الاصبع
ومناهاكم يقضي
فلا يدوم ما يقضي
وهو أول من قضى في الجنين
وذلك أنه اختصم اليه في
رجل له ما للمرأة وما للرجل
أيجعل رجلا أم امرأة فقال
لهم انصرفوا عني حتى أنظر
في أمري فما نزل بي مثلها
فانصرفوا وبات ليلته ساهرا
وكانت له جارية ترعى غنمه
يقال لها سخيلة وكان يقول
لها اذا سرحت عنه بكرة
ضحيت يا سخيل واذا راحت
يقول مسيت يا سخيل لانها
كانت تأخر حتى تسبق فلم
يقل لها شيئا ورأت سهره
وفكره فقالت له ما عراك
فقال دعيني من شأنك فأعادت

مثلا لقوم يشكل عليهم أمرهم فلا يعزمون فيه على رأى (الاعراب قد) حرف يجب الافعال ويقرب الماضى من الحال وهى هنا للتحقيق وقد تقدم الكلام عليه (رشحوك) رشح فعل ماض والواو ضمير الفاعلين والكاف للمخاطب وهى ضمير المفعول وضمير الفاعلين هنا لانه آثر طى ذكرهم اما الخوف منهم اذا ذكروا واما للجهل واما لعلم المخاطب بهم وهم معهودون فى ذهنه (لامر) اللام لام التعدية وأمر مجرور بها وهو فى موضع نصب (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها (فطنت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب فارق بين ضمير المتكلم والمخاطب انما ضموا تاء المتكلم وفتحوا تاء المخاطب لان الرفع هو العمدة فى الكلام وهو أول الحركات فاعطوا الاول للاولى لان المتكلم أولى من المخاطب كما ان المخاطب أولى من الغائب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم بالناس وفتحوا تاء الخطاب لانها استحقت ثانى الحركات وهى الفتحة لما أخذ الاولى الاول (له) جار ومجرور وهو متعلق بفطنت (فاربا) الفاء جواب الشرط اربا فعل أمر مبنى على السكون وهو سكون الهمزة (بنفسك) الباء للتعدية وعلى ما حكاه أبو زيد أن اربا يتعدى بنفسه فالباء هنا للمصاحبة ونفس مجرور بالباء والكاف فى موضع جر بالاضافة (أن) حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على أن فى قوله وعادة النصل أن يزهى بجوهره وهى هنا مصدرية لانها ومادخلت عليه فى تأويل المصدر (ترعى) فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من رعيت (مع الهمل) مع قال الجوهرى فى صحاحه هى كلمة تدل على المصاحبة وقال محمد ابن السرى الذى يدل على ان مع اسم حركة آخره مع حركة أوله وقد يسكن وينون تقول جاآ معا انتهى (الهمل) مجرور باضافته الى مع كأنه قال اربا بنفسك أن ترعى مصاحب الهمل قلت اللغة الفصحى أن تكون العين من مع متحركة قال بعضهم ما عمر بيت فيه مع ولا نهضت قافية مقيدة وهذا كلام من ذاق البلاغة وارتضع اخلافها ومعا اذا جاءت فى الكلام فانها تنصب على الحال اذا قلت جاآ معا كأنك قلت جاآ متصاحبين وذكرت هنا قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمتيمين أشتكى أبدا * عين رقيبى فليته هجعا
حاذرها من احبه فابى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

قلت فى هذا نظر لان التعجب لم يصادف موقعا لانك اذا قلت العددا مازوج وانا فرد كانت هذه القضية مانعة الجمع والخلو معا لان العدد لا يجتمع فيه الزوجية والفردية ولا يخلو من واحد منهما واذا كان كذلك فما بقى للتعجب ولا للانكار محل ولا مساغ وانما عادة الشعراء وغيرهم التعجب مما يخرج عن العوائد المألوفة والقواعد المعروفة كقول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولاذاك ماخص بالحسر
وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وما أحسن ما استعمل أبو الطيب معانى القافية حيث قال

عليه فقال ويلك انه اختصم الى فى ختنى له ماللذكر وما للانثى فى ميراثه أجعله امرأة أم رجلا فقالت لا أبالك أتعقله فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها * متى سخيل بعدها أوضحى * فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذى أشارت قال السهيلى وهو حكم معمول به فى الشرع من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل فى الشريعة قول الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب ووجه الدلالة على الكذب أن القميص لم يكن فيه خرق ولا أثر ثم ان عامرا كبر وضعف حتى قال فى شعره

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

ويعجبني قول أبي نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

الاحمل لي عجب عاجب * تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجهه من * رأيت الهلال على وجهه

قلت وهذا في غاية الحسن يظن السامع له من أول وهلة أنه من باب التكرار وتحصيل الحاصل الى أن يشحذ ذهنه ويتأمل غرض الشاعر في ذلك فيرتفع له طربا ومن هذه المادة قول القائل

قالت لبترب معها منكرة * لوقفتي هذا الذي تراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

معناه قالت بمن هو متيم تستفهم من تربها قالت لها بالتي قالت بمن وقالوا هو مأخوذ من قول أبي الطيب

قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

وفي البيتين عيب ولم أر أحدا تنبه له وهو الايطاء في القافية لان من في القافيتين للاستفهام ولو كانت احداهما للاستفهام والاخرى موصولة كالوسطى في قوله قالت بمن لكان أكمل وأخلص من الايطاء في بيتين ومنها قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الحموي

ما بان لي فيك حين * لولم يبن لك حين
يا جنتي كل هون * لولا تجنيك هين
قد نبتنا بوعيد * وتنكر الوعد دين
ان كان جفنيك جفن * فان عيني عين

قلت يليق بهذا النوع ما سماه به الشيخ زين الدين عمر بن مظفر الوردي وهو ايهام التوكيد وأنشدني فيه لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

تعشقت أحوى لي اليه وسائل * واصلاح أحوالي لديه لديه
أمر به مستعطفا متلطفا * فيثقل تسليمي عليه عليه
فلا كان واش كدر الصفو بيننا * وبغض تحبيبي اليه اليه

ومثله قول ابن نقادة

يثبت تأليف الهوى حسنها * وقدها للصبر ان ماح ماح
وطرفها سكرة خمره * اذا ادبرت وهو باصاح صاح
أمد قلبي نحو كاساتها * رشفا اذا أمدت الى الراح راح
واضحها موضح عذري فما * يلومني فيها اذا لاح لاح

وأما تحصيل الحاصل وتكرار اللفظ والمعنى بعينهما فهو كما قال الارجاني فيما أظن ولكنه قصد ذلك

سال الصدى عنه وأصغى للصدى * كيما يجيب فقال مثل مقاله

ارى شعرات على حاجبي بيضا نبتن جميعا تواما
أظل أهاهي بهن الكلا ب أحسبهن صوارا قياما

فقال له الثاني من ولده وقيل ابنته انك ربما أخطأت في حكم فيجعل عنك قال فاجعلوا لي امارة أتنبه بها حتى أعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويجعل ابنه في البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنه فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب به المثل وهو أول من فعل ذلك وقيل هو شخص في زمن النعمان بن المنذر حذر أخاه وذلك ان النعمان أرسل شخصا يرتاد الكلأ فأبطأ فغضب وعزم على أن يسأله اذا ورد

فان قال خصما قتله وان قال جديا قتله وعرف بذلك أخوه فقال للنعمان أتأذن اليه لى ان انذره قال لا قال فاشير قال لا قال فاقرع له عصا قال فاقرع فلما ورد اخذ اخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التى كانت معه قرعا مختلفا الى ان فهم اخوه القصة فقال لم اجد خصبا ولم اذم جديا الارض مشكلة لا يقلها يعرف ولا جد بها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان أولى لك بذلك نجوت فنجا وقال اخوه قرعت العصا حتى تبين صاحبي ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

ناداه اين ترى محـط رحاله * فاجاب اين ترى محـط رحاله

وكان بهاء الدين أسعد السنجارى فى بعض أسفاره فنزل فى بعض الطريق وكان له غلام يدعى ابراهيم وكان يأنس به فبعد الغلام فقام يناديه يا ابراهيم يا ابراهيم مرارا ولم يجبه غير الصدى فقال

بنفسى حبيب جاروهو مجاور * بعيد عن الابصار وهو قريب
يجيب صدى الوادى اذا ما دعوته * على انه صخر وليس يجيب

وما أحسن قول محاسن الشواء

لى صديق غدا وان كان لا ينـطق الا بغيبة أو محال
اشبه الناس بالصدى ان تحدثـه حدثنا اعاده فى الحال

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

لما رفعت اضعف الطيف حين سرى * نارا شفيا فى هدته فى دجا الظلم
وسار نحـوى ليلقانى فلم يرنى * ولا استبنت له من شدة الالم
فكنت مثل الصدى فيما أجبت به * فما ارى ويحس الصوت من كلمى

وقول السراج الوراق

وقفت باطلال المحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب انى أروى ديارهم * وحظى منها حين اسلاها الصدى

وقال السراج الوارق ملغزا فى ماء

ما اسم شئ اذا سألت ماهو * قلت لى كالصدى مجيبا ماهو
ولعمرى لقد أجبت وأثلجـت فؤادى به فزال صداه

وقال ابن سناء الملك

يحكينى الربع اواحكيه بعدكم * سقما فيا ليت شعرى اينا الحاكى
فما مررت بربع كان ربعكم * الا ظننت صداه انه الشاكى

وانشد فى نفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

امعهد سعدى بالعذيب سقاكا * ملث الحيا حتى يبل صداكا
صدى كلما اشكو اجاب كأنما * خلقنا على اطلالها نتشاكى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

خيال الفتى فى كل صاف لعينه * كصوت الصدى فى سمعه اذ يجاوب
فيسمع من ذا ناطق وهو صامت * ويبصر من ذا حاضر وهـو غائب

وأما قول أبى الطيب والذى بعده فانهما فى غاية ما يكون من مبالغة وصف البشرة بالرقة والصفاء وما أحسن قول بعضهم

برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكى فانظر أدمعى فى خدها * تجرى فأحسب انها تبكى لى

وقال الآخر

ولما التقى الواشون والركب ظاعن * وقد رام للتوديع منى تدانيا

بدت فى محياه خيالات أدمعى * صفاء فظنوه بكاء البكائيا

ومثله قول الارجانى

قابلنى حتى بدت أدمعى * فى خده المصقول مثل المراه
يوهم صحبى انه مسعدى * بادمع لم تذرها مقلتاه
وانما قلدنى منه بدمع * عين من جفون مراه
ولم تقع فى خده قطرة * الا خيالات دموع البكاء

وقال الارجانى

وأغيد راق ماء الوجه منه * فلو أرخى لثاما عنه سالا
تبين سوادها الابصار فيه * فحيث لحظت فيه حسبت خالا

وأخذه الآخر فقال

ولما استقلت أعين الناس حوله * تراقبه حيث استقل وسارا
تمثلت الاهداب فى صفو خده * خيالا فقالوا الشعر فيه عذارا

وقال أبو الحسن على بن أحمد الديباجى المصرى

يا حبذا غر تزرفن صدغه * واخضر شاربه فزاد جمالا
وكأن اسود ناظرى فى خده * لما نظرت له تمثل خالا

وقال بن رشيق فيما أظن

أخاف تحنيه فاصفر ان بدا * ويصفر خوفا ان أتم عليه
وأكثر ظنى أن مرآة خده * توصل الوان الوجوه اليه

وقال أحمد بن صالح بن شردار الوزير

ظبى ترى وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال بن قاضى ميلة

محيا ترى الاتراب اشخاصها به * جرى فيه رواقراق النضارة مذهبا
اذا زاره ذو لوعة لاح نفصه * الى الحول فى افرنده متنصبا
فاعجب بوجه حسنه من وشاته * يسنم على من زاره متنقبا
بدت صور العشاق فى ماء خده * فاثنت رقيب الحى أن يسترقبا

وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت فى مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغى أن ينادم هذا الا أعمى ولا يناك الا بارع وهم وقال آخر

ومهفهف قسم الاله مثاله * نصفين من غصن ومن رمل
فاذا تأمل فى الزجاجة ظله * جرحته لحظة مقلة الظل

وقال آخر

اضمر ان اضمر هجرى له * فيشتكى اضمار اضمارى
رق فلو مرت به ذرة * لخضبته بسنم جارى

وقال بن سناء الملك

نظرانى لوجهه * بدموع معثره
رق حتى كأنما * لثمه سوء مقدره

وأنشدنى

وقيل المراد بقوله عاقصة قصير لما كان مع جذيمة واقبلت عساكر الزباء قال له انى متى انكرت القوم قرعت لك العصا وهى فرس جذيمة التى لا تلحق فاركبها وانج فلما رأى الشر قرعها بالسوط فأنف جذيمة من الهرب فركبها قصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لو كان لجذيمة حلم لركبها لكن القول الاول أشهر وأحسن

(وان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك)

يعنى ان ندمت على ما أقدمت

وانشد في لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز الحلي

وظبية من ظباء الترك كالشمة * لكنها في رياض الحسن قد سرحت
ان جال ماء الحيا في خدها خجلت * وان تردد في أجفانها انفتحت
قست على صبها قلبا ووجنتها * لو رقبيلها بالوهم لانجرحت

وقال ابن القابلة

ووجه مليح رق حسنا اديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لي عند اللقاء به رشا * تكاد الحيا من حياه تعصر
ولم يتعرض كي أراه وانما * اراد يريني أن وجهي اصفر

وعلى ذكر رؤية الهلال فما أحسن قول ابن الرقاق

لله شهر ما انتظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبدى لي أغن مهفهف * لضيائه ينجاب كل ظلام
فطفقت أهتف في الانام ضللتم * وغلطتم في عدة الايام
ماجاءنا شهر لاول ليلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

وقوله أيضا

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله * عيونا الى جو السماء جواثلا
الى ان بدا أحوى المراشف أحور * يجر لا براد الشباب دلادلا
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * بمدرحوى طيب الشمول شمائلا
اتطلبك الابصار في الجو ناقصا * وانت كذا تمشي على الارض كاملا

قلت ومع حسن هذين المعنيين فقد طول في المقطوعين وزاد في التوطئة لما اراد وكان يكفيه في كل مقطوع بيتان وقد خطر لي نظم هذا المعنى في بيتين لا غير فقلت

ولما ترا أينا الهلال بدا لنا * محيا حبيب لم يغب قط عن فكري
فقلت عجيب أن يرى البدر هكذا * تماما ونحن الآن في أول الشهر

وقلت في ذلك أيضا

رأيت الهلال وحبي معا * وفي وجهه شغل عيني وفكري
فبشرت بالسعد عيني التي * أرتني الهلال على وجه بدري

وقال آخر في مليح لم ينظر الهلال

تراآت البدر عيون ولم * ينظر اليه مع نظاره
وما الذي يصنع بالبدر من * أطلعه الله بازراره

قيل ان في أيام اياس بن معاوية القاضي تعذر على الناس رؤية الهلال فلم يره أحد فحضر اليه أنس بن مالك رضي الله عنه فيما أظن وقال رأيته فقال أرني مكان رأيته فأراه فلم ير اياس شيئا ونظر شعرة بيضاء خارجة عن حاجبه فحناها وقال له انظر الى الهلال وحققه فنظر فلم يجد شيئا وهذا من تفرس اياس رحمه الله تعالى (فائدة) ذكرتها هنا وهي انه وجد بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أبو القاسم السهيلي قال اجمع المسلمون على ان حجة الوداع كان يوم عرفة فيها يوم الجمعة وكان أول شهر ذي الحجة في تلك السنة يوم

عليه وتركته ولمت نفسك أرحت نفسك بانقطاعك عنا وأرحتنا منك
(وان قلت جحجحة ولا طعن ورب صلف تحت الراعدة) مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل والجحجحة صوت الرحى والطعن الدقيق فعل بمعنى مفعول كذبح وفرق والصلف قلة البركة والخير ولذلك يقال اصلف من ملح في ماء أي لا يبقى وسحاب صلف اذا كان قليل الماء كثير الرعد والمعنى انك متى قلت انى أتوعد ولا تفعل فسترى ما يكون
(وانشدت لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلطه وان جرحا)

الخميس وهذا الاشكال فيه ثم قال بعد ذلك وقال أكثر أهل التاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول بعد الحجة المذكورة بثلاثة أشهر وكيف حسب الانسان الشهور من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وجعل أول ذى الحجة الخميس ما يتصور أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول سواء حسب الجميع نواقص أو كوامل أو بعضهن نواقص وبعضهن كوامل فاعتبره تجده كذلك وأجاب عن هذا السؤال قاضى القضاة شرف الدين البارزى الحموى بما صورته يحتمل انه لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى هلال ذى الحجة بين مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على أهل المدينة فلم يروا هلال ذى الحجة الا ليلة الجمعة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى بالمدينة أرخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وأرخوا فى أول ذى الحجة وهو يوم الجمعة فجاءت الشهور الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل وجاء أول ربيع الاول الخميس وكان ثانى عشر ربيع الاول يوم الاثنين وكان بين رؤيته صلى الله عليه وسلم وبين رؤية اهل المدينة مسافة القصر والصحيح من مذهب الشافعى اعتبار اختلاف المطالع والله اعلم بالصواب وقد أجاب القاضى عز الدين بن جماعة عن هذا الاشكال ايضا بان تفرض الشهور الثلاثة كوامل ويكون قولهم لاثنتى عشرة ليلة خلت منه اى بايامها كاملة فتكون وفاته بعد استكمال ذلك والدخول فى الثالث عشر والاشكال قوى وكلا الجوابين فيه نظر لما فى كلام السير مما يدل على نقصان الثلاثة او اثنين منها والراجح من حيث الاتباع انه لليلتين خلتا من ربيع الاول والجمهور على انه لاثنتى عشرة ليلة خلت وصرح به جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين (المعنى) قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه فى مرادهم منك فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرمونه منك ان اردت ان لا ترعى ها ملا فقعود سدى يحذر نفسه من أعاديه الذين يسعون فى قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به ويتربصون به الدوائر قال الارجانى

عرفت دهرى واهليه ببادرتى * من قبل ان تجدتنى فيهم الحنك
فلا حسائك فى صدرى على احد * منهم ولا لهم فى مضجعى حسك
ولا أغر ببشر فى وجوههم * وربما غر حب تحته شبك

وقال ابن الساعاتى

لا يغرنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال مهيار الديلمى

خلعت موفقا نظرى وقلبى * هواه فمن يعادى او يوالى
اطالع صاحبا فارى بظنى * خلال تجارى فيه اختلالا
وأخبره فلا ارضاه قولا * لاخبره فارضاه فعالا

وأبو الطيب أوجز قولا من هذا لانه قال

اخالط نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها من فعله والتكلم

والسابق الى هذا المعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما ينسب اليه من الشعر حيث قال

هذا البيت لبشار بن برد وقد ذكر أبو الفرج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت عليه يوما وبين يديه مائة دينار فقال خذ منها أتدرى ما قصتها قلت لا قال أنا اليوم جالس واذا بفتى من ذوى النعمة دخل على فقال يا أبا معاذ هذه مائة دينار نذرت أن أدفعها الك فقلها فقلت ما سببها فقال كنت قد هويت امرأة وتعرضت لها فصعبت على فأردت السلو فذكرت قولك لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا عسر النساء الى مياسرة والصعب يركب بعد ما جمحا فصبرت فادركت مقصودى منها وآليت على نفسى ان

عينـاك قد دلتا عيني منك على * أشياء قد كنت طول الدهر تخفيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها اومن اعاديها

وقال أبو الطيب

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

وهو مأخوذ من قول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقال أبو الطيب

ويعرف الامر قبل موقعه * فماله بعد فكره ندم

ومن حكم أبي الطيب قوله

لو فكر العاشق في منتهى * صورة من يسبيه لم يسبه

ومثله قول القائل

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائبه قبل ان تنزلا
يرى الامر يقضي الى آخر * فيجعل آخره أولا

وما أحسن قول أبي نواس

أسأل القادمين من حكمان * كيف خلفتم أبا عثمان
وأبا ميسة المهذب والما * جد والمرتجى لصرف الزمان
فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم * كيف لم يغن عنهم كتماني

قلت أبو عثمان هو أخو مولى جنان وأبو ميسة هو مولاها وهذه جنان كان أبو نواس يهواها ولم يصدق في هوى امرأة غيرها وله فيها ملح ظريفة قال شرف الدين شيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي رحمه الله تعالى أنشدت والدي أبيات أبي نواس هذه فقال هذا شبيه بقصد ظريفة وهي ان بعض عوام بغداد عرض له نسيب فوصف له بطيخ رقي وكان عزيزا في ذلك الفصل فلم يجده فذكر له ان بطيخة منه عند بعض الفكاهيين بالكرخ فلما جاءه لم يرد البداءة بوم البطيخة اثلا يفطن لقصده فقال كيف تبيع هذا الرمان فقال البطيخة بنصف دينار فقال بعها لمن يطلبها بما شئت فأنا أريد مشتري طبق فاكهة كيف تبيع التفاح قال البطيخة بدينار فلم يزل يساومه على نوع نوع وهو يزيد في البطيخة حتى أجأته الضرورة الى ان صدقه واشتراها منه بما تراضيا عليه انتهى قلت ومن هذا الباب ما حكي ان انسانا مر بمكتب فيه صغير مليح الوجه فوقف وسأل الفقيه وقال يا مولانا هذا ابن من وأشار الى صغير غير ذلك فقال الفقيه يا مولانا لا تتعبني وتضيع الزمان في السؤال هذا المليح ابن فلان وما أحلى قول شرف الدين شيخ الشيوخ

سألته من ريقه شربة * اطفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

وأنشدني جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدني القاضي زين الدين عمر بن الوردي قال أنشدني الاديب يحيى بن محمد بن زكريا الحموي الخباز لنفسه

احمل اليك هذه المائة دينار (فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه)
بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا ويستثيلك نحوها وكزا وصفعا)
يعني انك ان لم تبال بتوعدي ولم تصدقه وعاودت المراسلة بعثت من يزعجك من مكانك والازعاج عدم الاستقرار ومنه المرأة المزعاج التي لا تستقر في مكان والخضراء ناحية المزدرع من البلد أو اسم ضيعة والوكز مثل الدفع وهو ضرب الظهر مع الدفع وقيل الضرب بمجتمع اليد على الذقن

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوس حالبش واخشى بأن * تستتبع الحالبش بالقلب

وقال أبو حاتم الحجارى بالراء

وزائر زارنى وقد هجعت * عيناى لما تبلج الفجر
بكيت للقرب ثم قلت له * من ثمر الوصل يجتنى الهجر

وقال سعيد بن حميد الفضل الشاعرة

ما كنت أيام كنت راضية * عنى بذاك الرضا بمغتبط
علما بأن الرضا سيعقبه * منك التجنى وكثرة السخط

وقال العباس بن الاحنف

قد كنت أبكى وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

وقال آخر

بكيت فقالت أراك بكيت * فقلت الوصال اخاف انتقاضه
فقالت فديتك من عاشق * يشمر للذيل قبل المخاضه

وقال ابن خفاجة

ما للعذار وكان وجهك قبلة * قد خط فيه من الدجى محرابا
ولقد علمت بكون ثغرك بارقا * ان سوف يرجى للعذار سحابا

وأنشدنى لنفسه اجازة القاضى شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى

أأحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد البعاد رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد الغروب طلوع
وهل لى ولا والله ما ذاك ممكن * فؤادا ذا حان الفراق مطيع
وقد كنت أدرى والحياة شهية * برؤيتكم أن النوى سيروع

ومن تلميح قول القائل

عاقنى عن حلاوة التشييع * ما أرى من مرارة التوديع
لا يفى انس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وما أحسن اعتذار القائل عن ترك الوداع

ما اخترت تركك وداعكم يوم النوى * والله من ملل ولا تجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * ويقال انت قتلته فتفاديت

وقال عبد الصمد بن بابك

ان لم أودعك فعن عذرة * فانن اليها اذ ناواعيه
قرت بك العين فنزهتها * عن نظرة ليست لها ثانيه

ويعجبنى قول القائل

انى لأكره ان انام فالتقى * بك فى الكرى خوف الفراق الثانى

وذكرت هنا قول ابن رشيق يرثى

المنايا ختم فطوبى لنفس * سلمت بالرضا لحتم القضاء

(فاذا ضربت اليها عبث اكار وهابك وتسلط نواطيرها عليك

الاكارون الزراعون جمع اكار ويجمع على اكرة كانه جمع آكر فى التقدير مأخوذ من الاكرة وهى الحفيرة فى الارض والعبث ان يخلط بعمله لعبا ماخوذ من العبثة وهى طعام مخلوط والسلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان

(فمن قرعة معوجة تقوم فى قفالك ومن خلة منتنة يرمى بها تحت خصالك)

أى تضرب فى القفا بالقرع المعوج الى أن يستقيم وهو

لو بودى قتلت نفسى لالقا * ولكن خشيت فوق اللقاء

هو مأخوذ من قول القائل

ولقد هممت بقتل نفسى بعده * أسفا عليه فخفت ان لا تلتقى

ومعناه انى اذا قتلت نفسى كنت فى النار وهو من اهل الجنة وهذا من ألطف معنى يكون وقال آخر يتمنى الوداع وهو مشهور

أرأيت من يرضى بفرقة الفه * أنا قد رضيت لنا بان نتفرقا

حتى أفوز بقبلة فى خده * عند الوداع ومثلها عند اللقا

وقال آخر يهون أمر الوداع

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادو

وما أحسن قول الارجانى

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجميع متصله

واليوم جاء الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وعلى ذكر القلب فما أحسن قول القائل

جاذبتها والريح تضرب عقربا * من فرق خدها مثل قلب العقرب

فتمايلت عجبا وصدت وانثنت * وتسترت عنى بقلب العقرب

وقال الآخر

وتحت البراقع مقلوبها * تذب على محسن خدندى

تسالم من وطئت خده * وتكبر قلب الشجى المكمد

وقال الآخر

فقالت ترى ماذا الذى أنت قانع * به من هوانا قلت معكوس قانع

وقال آخر فى ذم الدنيا

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تامله مقلوب اقبال

وقال أبو الفضل الميكالى فى ذم الاقحوان

للاقحوان على ملاحته * وخز بقلب يشتكى العشقا

مقلوبه فى اللفظ يخبرنى * ان الاحبة قد نأوا حقا

وقال آخر فى ذم أترجة

اترجة قد أتتك برا * لا تقبلنها اذا برتا

ولا تراها فدتك نفسى * لان مقلوبها هجرتا

وقال آخر فى البهار

حكانى بهار الروض حتى ألفته * وكل بهار للعب مصاحب

فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين أقلب راهب

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق فقال

ياحسن ماسمى البهار به * لو تركته عيافة العائف

عما لا يستقيم فيكون كناية عن ايصال الضرب والرمى بالفعل تحت المخصى كناية عن استدخاله فى استه وفى نتفه مناسبة واستقذار للمفعول به

(ذلك بما قدمت يداك لتذوق وبال أمرك وترى ميزان قدرك)

يعنى بما فعلت أنت والعرب تقول هذا ما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدى على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم بالفم ونقل الى اختبار الشئ ويستعمل فى القليل والكثير ولذلك ذكره الله تعالى فى

قلبته راهبا فاشعرنى * خوفا ويا ويل راهب خائف

وقال أيضا

لم كره النمام اهل الهوى * اساء اخوانى وما احسنوا
ان كان غاما فعكوسه * من غير تكذيب لهم ما من

وكتب بعض الافاضل مع كرسى أهداه

اهديت شيئا يقل لولا * احدوثة الفال والتبرك
كرسى تفاءلت فيه لما * رأيت مقلوبه يسرك

وقال ابن قزل ملغزا فى رمح

أى شئ يكون مالا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر
اسمر القد أزرق السن وصفا * انما قلبه بلا شك أحمر

وقال آخر ملغزا فى دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

وقال آخر فى كون

يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سوقك
تنظره بالعين فى يقظة * كما يرى بالقلب فى نومك

وقال الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل

راح بها الاعمى يرى مع العمى * وهاك برهانا على هذى المدح
الخمر للاقداح قلب دائما * والحدق انظارها تجد قلب القدح

وكتب النصير الحمامى الى السراج الوراق ملغزا فى سيل

اترشد فى شيئا به يدرك المنى * له قلب صب كم فؤاد به صب
اذا ركب البيداء يخشى ويتقى * فلم يثنه طعن ولم يثنه ضرب
بقلب يهد الصخر يوم لقائه * ومن أعجب الاشياء ليس له قلب

فأجابه السراج الوراق

أرا النصير الدين عذبت خاطرى * وقد راق لى من لغزك المنهل العذب
وأثبت قلبا منه ثم نفيته * واعرفه صبا وهام له قلب
واعرف منه أعينا لا تحفها * جفون كعادات الجفون ولا هدب
ومن وصفه صب كما أنت واصف * صدقت ولولا ما عرف الحب

وكتب النصير اليه أيضا ملغزا فى ثور

تعرف اسما قلبه فى دبره * ما حواه صدره فى عمره
ملك ذى القرنين يغدو عنده * ان خلا فى ربع مع خضره
يشكر الكافر يوما سعيه * حين ترنو عينه فى اثره

فأجاب السراج الوراق عنه ولكن ليس فى الجواب ما يدخل فى هذا الباب فلهذا لم أثبته

وكتب اليه النصير أيضا ملغزا فى آل

العذاب والوبال الامر الثقيل الذى يخاف ضرره ومنه طعام وبيل وكلأ وبيل والويل هو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشئ وأصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها

*(فمن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى)*

هذا بيت من شعر المتنبى ختمت بذكره الرسالة لمناسبة ما قبله وكذلك مذاهب أكثر البلغاء فى مقاطيع رسائلهم اما آية أو مثل أو بيت من الشعر يتمثلون به فى معنى ما هم فيه فيكون له مزية ظاهرة ويجب أن يكون من أحسن ما سمع وفى القصيدة

تعرف اسما ظاهرا * طورا وطورا يحجب
مثل السحاب انما * بارق هذا خلب
وهو اذا قلبته * فانه لا يقلب

فاجابه السراج بقوله أرحتنى منك بالغز ليس فيه تعب
قلبته لا كالذى * قلت وقلبى قلب
وان يكن ذا كذب * فانت منه أكذب

وانشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد ابن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة لغز افيه

ماسانح منفرد * عن الورى مغترب
لا مأكل يحبه * ولا لعمرى مشرب
وهو على ما تدرى * يعزى اليه الكذب
وان أردت قلبه * فانه لا يقلب

ونقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله قوله ملغزا فى باب

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وهذا محقق
يحفظ المال والحريم ولولا * محفيظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كله ان تفرق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تحيفه لمن يترمق
وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يترندق
فأجبنى عنه يقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

قلت فى هذا اللغز ألفاظ لا يخفى على الفاضل ما فيها من الوهم والغلط ثم رأيت ان أطيل الكلام فيها وعلى ذكر الباب فما أحسن ما كتب به شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه الى والده ملغزا فى ذلك وهو

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب أبوه ذهاب ومجى وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام وذكرت هنا أيضا ما نقلته من خط الفاضل علاء الدين الوداعى وصورته حدثنى شيخنا الامام تاج عبد الرحمن الفزارى رحمه الله تعالى قال كان شيخنا شيخ الاسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رضى الله عنه اذا قرأ القارئ عليه من كتاب وانتهى الى آخر أى باب كان من أبوابه لا يقف عليه بل يأمره أن يقرأ من الباب الذى بعده ولو سطرا واحدا ويقول ما شتهى ان نكون ممن يقف على الابواب انتهى (رجع) الى ذكر القلب وقد أتيت من هذا النوع بما يكفى ولا بد من ايراد نوع آخر من القلب وهو أشرف من الاول وهو أن الكلمة وما فوقها لا يتغير معناها بالقلب وقد عبر عنه الحريرى فى مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ومثله بقوله سائب كاس ومثله قوله تعالى كل فى فلك وقوله تعالى وربك فكبر ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن

التى منها هذا البيت أبيات حسنة أذكرها جريا على العادة فى الاستطراد مما ينطوى على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدى من مصر الى العراق يصف طريقه فى الليل لا على أعكش
أحم البلاد خفى الصوى
وردنا الرهيمة فى جوزه
وباقيه أكثر مما مضى
أعكش موضع والاحم الاسود

يوم القيامة اقرأ وارقا ومنه قول الحريري كبر رجاء أجر بك وقول القاضي الفاضل رحمه الله تعالى ابد الا تدوم الامودة الادباء وقال العماد الكاتب للقاضي الفاضل رحمه الله تعالى سر فلا كبابك الفرس فقال له دام علاء العماد وهذا مطلع قصيدة للارجاني ومنه مودتي لخلي تدوم ومنه أرض خضر أفيها أهيف ساكب كاس ومنه وهو موزون أرانا الاله هلالا أنارا ومنه مراكب كادم ومنه مطرق قرطم ومنه سرفسار برأس فرس ومنه حوت فه مفتوح ومنه آدم جد محمدا ومنه ريح أحمر ومنه هريره وكذلك هره ومنه كبرت آيات ربك ومنه عقرب تحت برقع وقول الارجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال كمال الدين علي بن النبيه

ابق أقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غنى هبه

والصوى العلامات في الطرق وهي أحجار يوضع بعضها فوق بعض ليعرف بها الطريق وفي الحديث ان للاسلام صوى ومنارا وازهمة موضع والضمير في جوزه عائد على الليل يعني اعترض قوم هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقي الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه فقيل في الجواب وجهان أحدهما انه انما أراد بالنصف مدة

وقال سيف الدين بن المشد

ليل أضاء هلاله * أني يضيء بكوكب

ومن كلام المولى صفي الدين الحلي كد ضدك كن كما أمكنك كرم علمك يكمل عرك ومن هذا ان يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافية كقول الشاعر

رقت شمائل قاتلي * فلذاك روحي لا تقر
رد الحبيب جوابه * فكأنه في اللفظ در

وقد سميت أنا هذا النوع بمجنح القلب وفي هذه التسمية توربة مطبوعة وقد فكرت في هذين البيتين فوجدت الكلمة الاولى ثلاثية والثانية ثنائية فقلت لو اتفق الكلمتان في العدد لكان أكمل في الصناعة فامتحنت الخاطر بنظم شيء في هذا النوع كاملا ففتح الله علي بالمطلوب عاجلا فقلت في الوزن والروى

رضت فؤادي غادة * ما كنت أحسبها تضر
ودت رسولي خائبا * فسدا مني أبدا تدر

وكذا فكرت يوما في قول شمس الدين محمد بن التلمساني

أسكرني باللفظ والمقلة السكلاء والوجنة والكاس
ساق بريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

فكدت أرقص لابل أطير عجبا وأميل لابل أذوب طربا وقلت هل أستطيع له طلبا أو أحكي لثغره شنبا فلم أر بيني وبين هذا الانسجام نسبا ولم أجد لي الى غير القالب الذي أبرز فيه معناه منقلبا ورضت جوادفكري في هذا الميدان فكبا وجردت حسام اقدامي على المعارضة فنبا وعلمت انه غاية فات لحاقها ولم أر لي ما يقتضي أربا ولكن

قد يدرك المجد الفتى ولباسه * خلق وجيب قميصه مرقوع

فقلت ليست المعارضة مطلوبة في انسجام لفظه وعذوبة تركيبه ولكن في الصناعة فقط والاتيان بمثل هذه المادة لا غير تجربة للخاطر المستكن فحركت لها جوارحا تحن ففتح علي في ذلك الوقت بما أرجو أن يوجب المقة لا المقت فقلت

قلب الدن من أحب فأضحت * نفحة الند من حياه تهدى

قال لى اعجب فقلت غير عجيب * كل دن قلبته كان ندا

فقلت لو اتفق لى شئ فى رويه لكان أقرب وأغرب فى البديع وأعرب فرجعت رجوع المفلس الى بقايا الدفاتر الموروثه وبقيت أخبط فى الظلام على خرط القتاد بعد الجلوس فى النهار على الزرابى المبثوثه وقلت ألق دلوك فى الدلاء ولا تجزع ان جاءت بقليل حمأة أو كثير ما فما كل قريحة تكدى ولا كل خطر يردى

وما عقمت أم الندى بعد حاتم * لما كل يوم فى البرية مولود

فقلت قلت وقد سرت فى الظلام وقد * أهمنى منه فقد اياسى

كيف يطير الفؤاد من جزع * وكل سار فقلبه راس

ولما قرأت المقامات الحريرية على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله أنشدنى من لفظه عند وصولى فى القراءة الى بيتى ابن سكرة موالياً لبعضهم

لقيتها قلت وقيتى من الافات * بالله ارحمى صبك المضنى والامات

قالت تريد بحدوثة وخرافات * تنصب علينا وتأخذ سادس الكافات

ثم التفت الى الحاضرين وقال هل فيكم من يحفظ من نوع قول ابن سكرة شيئاً فبعض القوم أنشد قول ابن التعاويذى

اذا اجتمعت فى مجلس الشرب سبعة * فبادر فما التأخير عنه صواب

شواء وشمام وشهد وشادن * وشمع وشاد مطرب وشراب

وسكت الباقون فأنشدته لابن قزل

عجل الى فعندى سبعة كملت * وليس فيها من اللذات اعواز

طار وطبل وطنبور وطاس طلا * وطفلة وطباهيج وطناز

وأنشدته له أيضا

جاء الخريف وعندى من حوائجه * سبع بهن قوام السمع والبصر

موز ومز ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب ومرى

وأنشدته لغيره أيضا

رمتنا يد الايام عن قوس خطبها * بسبع وهل ناج من السبع سالم

غلاء وغارات وغز وغربة * وغم وغدر ثم غبن ملازم

فاعجبه رحمه الله ذلك وأمر بتعليقها ثم انه قال الا ان من خاصية هذا النوع انه لابد وأن يكون بعض هذه السبعة موصوفا ليقوم الوزن بذلك فاستقريت ما احفظه فكان كذلك قلت والعلة فى ذلك انها سبعة ألفاظ ويريد الناظم يأتى بها فى بيت واحد فيضطره الوزن الى زيادة لفظة ليكون كل نصف فيه أربعة وبقى هذا الكلام فى ذهنى ولم أكن اذ ذاك مشتغلا بغير التحصيل والقراءة والمطالعة الى أن اشتغلت ببعض العمل فاردت امتحان الخاطر الخاطر بنظم شئ من هذه المادة بحيث أن يكون سبعة ألفاظ بغير زيادة وصف فاتفق ذلك فقلت

اذا تيسر لى فى مصر واجتمعت * سبع فانى فى اللذات سلطان

خود وخمر وخاتون وخادمها * وخاصة وخلاعات وخلان

وقلت أيضا ان قدر الله لى فى العمر واجتمعت * سبع فانا فى اللذات مغبون

الثلث الاوسط والثانى أن الضمير فى جوزه عائد على أعكش والرهمة ما فى وسطه وردوه وباقى الليل أكثر مما مضى

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى الفتى
يعنى بمن فى مصر من فاتهم ومن بالعراق من هو قادم عليهم ومن بالعواصم سيف الدولة

قصرو قدر وقوادوقعبته * وقهوةوقناديل وقانون

وقلت فى الجميع بين ثمانية

ثمانية أن يسمح الدهر لى بها * فمالى عليها بعد ذلك مطلوب
مقام ومشروب ومزح ومأكل * وملهو ومشموم ومال ومحبوب

وقلت ايضا

الى متى أنا لا انفك فى بلد * رهين جمات حور كلها عطب
الجوع والجرى والجيران والجدرى * والجهل والجبن والجرذان والجرب

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس لغيره

اذا كان فى اسم المرء شين هوت به * الى الشر فليحذر أذاه الحاذر
شريف وشيبى وشيخ وشاهد * وشمر وشريب وشرخ شاعر
سوى الشافعى أوشادن راق حسنه * كذا الشهداء المتقون وشاكر

وأنشدنى أيضا لابى الحسين الجزار

وكافات الشتاء تعد سبعا * ومالى طاقة بلقاء سبع
اذا ظفرت بكاف الكيس كفى * ظفرت بمفرد يأتى بجمع

ووقفت أيضا على بيتين لابى الحسين الجزار وهما

يارب ان أعدمتنى راحة الدنيا * فهب لى راحة الآخره
فى بلدتى لم أخل من هاجر * ورحلتى لم أخل من هاجره

فاعجبانى وأنشدتهما لبعض أدباء العصر فى زمعه وكررت العجب منهما فقال لقد نفعت فى غير ضرم أى شئ قال انما ذكر ان له فى بلده هاجرا وفى غربته هاجرة فذكرت أنت فعلمت انه ذاهل عن نكتة البديع فيهما وأنشدتهما للولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة فقال قد نظمت أنا أيضا فى مثل هذا وأنشدنى قوله

يارب ان ابنى وشعرى معا * قد أصبحا فى حالة حائله
الشعر محتاج الى قابل * والابن محتاج الى قابله

وكنت أجتمع أنا وهو بالحائط الشمالى من الجامع الاموى بدمشق بكرة النهار وبعد العصر نتذاكر فاتفق ان غبت ليلة عن ميعادنا فكتب الى

امولاى غبت وخلفتنى * من الهم ذا فكرة خاضعه
فها أنا بعدك فى جامع * ولكن قلبى فى جامعه

فكتبت الجواب اليه

وقفت على نظمك المشتهى * وشاهدت روضته اليانعه
فكم ألف مثل غصن النقا * وهمزته فوقه ساجعه
أقام على الود لى حجة * ولكن عن الناس لى قاطعه
وقد سمع العبد الفاظها * فياحسنها فى الحشا واقعه
واصبح شكرى لها تاليا * وجلته للثنا جامعه
ورحت لباب الدعا قارعا * الى ان تصيب العدا قارعه

ومن يك قلب كقلبى له
يشق الى الغر قلب النوى
ونام الخود يم عن ليلنا
وقد نام قبل عمى لاكرى
وقد كنت أحسب قبل الخصا
صى أن الرؤس محل النهى
فلما نظرت الى عقله
وجدت النهى كلها فى الحصى
وقد ضل قوم بأصنامهم
فما بزق رياح فلا
يعنى ان من أطاع كافورا
فقد ضل بطاعة شئ اسود مملوء

فلما

فلما وقف عليها قال والله هذا التالى والجامعة ما كانالى فى حساب وقلت فى هذه المادة

يازمنا اوقعنى شؤمه * فى محنة ليس لها كاشفه
الفضل يحتاج الى عارف * والحال تضطر الى عارفه

وقلت ايضا مذ غاب محبوبى عن ناظرى * بظلمة كالروضة الناضره
ابكى بطرف فى الدجى ساهر * حتى يرى شخصى فى الساهره

وكنت كثيرا ما اقول للشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى يعجبنى قول القاضى الفاضل عجبت لاطراد تلك القوافى ورأيت الشعراء أتت عما لفت فى ضيق الاودية وخاطره وقلمه أتيا بما الفيافى القيافى فلما كنت بصفد كتب الى كتابا جوابا عن كتاب صدر منى اليه يقول فيه فلله ذلك السحر الحلال الشافى بل تلك القوى فى القوافى يسئل تلك المقاصد التى أقصدت المنى فى المنافى فكتبت الجواب اليه ومنه وعكف منه على كعبة الفضل فلله ما نشر فى استلامى وطوى فى طوافى واراد طائر القلب ان ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم وظهر الخوى فى الخوافى وحكى لى الشيخ فتح الدين قال كان شرف الدين محمد بن الوحيد الكاتب يقول قولهم النبيذ بغير الدسم سم وبغير النغم غم لم يقع لها تين السجعتين ثالثة وقد عملت أنا لهما ثالثة وهى وبغير المليح قبيح قلت ما كان ابن الوحيد لمح ما فيهما من الجناس المرقص ولوان الامر يرجع الى السجع أو الوزن أو التضاد عمل الناس مجلدات كثيرة من هذا النوع وقد تكلفت أنا لهما سجعة ثالثة وهى وبغير النهم هم أعنى أن الاكثار من الشراب سبب الانشراح والسرور على العادة من كلام الذين أولعوا بالشراب وبالغوا فى الاكثار منه وحضوا عليه كقول الشاعر

اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى * فسيان ماء فى الزجاجة أو خمر

ولما قرأت كتاب حسن التوصل الى صناعة الترسل على مصنفه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله تعالى وكان مما أورده فى أنواع الجناس قول المطوعى وهو

أخو كم كرم يفضى الورى من بساطه * الى روض جود بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود فى مجالس جود

قال لى عند ما مررت بهما ما جاء لاحد مثل هذا الجناس فبقى هذا الكلام فى ذهنى فلما كان بعد مدة اتفق لى نظم سبعة وعشرين مقطوعا فى هذا النوع وقد أودعت ذلك فى كتاب لى سميته جنان الجناس فمن ذلك قولى

وساق غدا يسعى بكاس وطرفه * يجر رداء السيف والغصن كفاح
اذا جرح العشاق قالوا اقتفى * مدراج راح أم مدار جراح

وقولى أيضا بكيت على نفسى لنوح حمائم * وجدت لها عندى هدية هاد
تنوب اذا ناحت على الايك فى الدجى * مناب رشاد فى منابر شاد

وأنشدت يوما بعض فضلاء العصر ما أنشدنيه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قراءة منى عليه وهو

تثنى وأغصان الاراك نواضر * فتحت وأسراب من الطير عكف
فعلم بانات النقا كيف تثنى * وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

هو اعلم لم يضل أحد بمثل ذلك ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

يعنى من جهل قدر نفسه عرف غيره بارتكاب القبائح التى لا يتنبه لها ومن نوادر المتنبين على سرقات المتنبى قول أحدهم انه سرق هذا البيت من حكاية وهو ان قصارا كان يعمل على شاطئ نهر وكان كل يوم يرى كركيا يجيء فيلتقط من الحماة دودا

وقلت هذا هو الديباج الخسروانى والسحر الحلال لاهل المعانى لا ما يعلل به شعراء العصر نفوسهم ويظنون انهم جلوا فى مجالس الطرب كؤسهم هيهات هيهات أنى هذا النوع عن غاياتهم وفات فقال لى هل لك فى أن تأتى له بمشابه أو تجد طاقة على الدخول فى بابه قلت ليس لى بهذا يدان ولا أنا من فرسان هذا الميدان أما المعنى فيمكن الاتيان به فى وزن أقصر وأما العذوبة والانسجام فالاعتراف بالعجز عنهما أعضد وانصر فنظمت فى أصل المعنى لا فى لطف المبنى بيتين وهما

لم أنسه فى روضة * والطير تصدح فوق غصن
فأعلم الورق البكا * و يعلم البان التثنى

واجريت يوما ذكر قصيدة له مدح بها الملك المؤيد صاحب حماة رحمهما الله تعالى اظهر غزلها فى مظهر البديع كما يظهر أبو الطيب الحماسة فى صورة الغزل وقد تقدم منه قطعة فى اثناء هذا الكتاب وأنشدنى لنفسه رحمه الله اجازة من قصيدة

وان تردعلم بديع الهوى * فات الى عندى فعندى المراد
جانس طرفى النجم مستيقظا * لى فى الدجى بين السها والسهاد
وطابق الشوق لهيبى بما * دمعى فضلا بين خاف وباد
وقسم الوجد غرامى كما * شاء واعضائى على ما أراد
فقلبى للدمع والجسم للاسقام والقلب لحفظ الوداد
وفرع الحب الضنى فى الحشا * عن مقل فيها منايا العباد
فما ظبا أرهفها فيهما * ليوم حرب من سيوف حداد
يوما بأمضى من جفون بدت * من كحل خالطها فى السواد
وقلت بالموجب فى قولهم * بعد النوى يعرف صدق الوداد
فهو كما قالوا ولكنه * يعرف ممن وده فى ازدياد

فطرب الحاضرون لذلك طرب المشوق الى وجه الحبيب والعانى لغيبة الرقيب وقالوا هل يمكنك أن تخرط فى سلكها أو تحتوى قريحتك على مثل ملكها فقلت ماكل غصن تناله يد المصر ولا كل بديع فى الوجود يدخل تحت الحصر ولا كل بطل يثق فى المبارزة بالنصر ولكن لا يترك فرض الظهر لدخول وقت العصر ولا يهدم الحصن لاجل القصر فنظمت ولو وفقت هدمت وهو

أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة * لهم بديع الحب أصبح ينتمى
فلى الجناس لان دمعى عن دمى * يجرى ألست تراه مثل العندم
وله مطابقة التواصل بالقلى * ولعاذليه لزوم مالم يلزم

وقلت أيضا

لا تعجبوا منه فاحسنه * الا بليغ حرت فى وصفه
ان كان قد أوجز فى خصره * فانه أطنب فى ردفه
وما اتى بالواو فى صدغه * الا وقد رتب فى عطفه
ولف فى البردة اعطافه * حتى يطيب النشر من لفه

وهذا آخر كتاب غيث الادب المسجم فى شرح لامية العجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ويقتصر فى القوت عليه فرأى الكركى صقرا قد ارتفع فى الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها فقال الكركى مالى لا اصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسما فارتفع فى الجو وانقض على حمامة فأخطأ وسقط فى الحمأة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فأخذه الصياد ورجع الى منزله فاستقبله رجل فقال

هذا وقد تفضل بعض أهل المعارف والعلوم الحائزين قصب السبق فى المنطوق والمفهوم بارسال تقريظين مشتملين على تاريخين فذكرناهما على حسب الورود وهاك عذب زلالهما المورود قال الهمام الاكمل والعلامة الافضل حضرة الشيخ ابراهيم أفندى الاحدب الطرابلسى

هل بارق من ثنايا ثغر مبتسم * أبان نظم اللآلى فى دجى الظلم
أم وجنة وردها غض تفتح من * مر النسيم جلاها بارئ النسم
أم عارض قلم البارى حكاه لنا * فى صفحة صوغت بالنون والقلم
وهى عقود زهت فى جيد غانية * روت معاطفها عن بانة العلم
أم هذه الشهب فى الظلماء مشرقة * تهدى الى منهج الآداب كل عمى
وهل زلال معين قد تسلسل فى * ورد الثنايا جلا عن مورد شبم
أم ذى مناهل غيث قد أضيف بما * حلا الى أدب بالفضل منسجم
لامية النجم استعلت به وزهت * بمعرب للمعانى غير منعجم
شرح بديع به شرحى يطول اذا * أحكمت فيه بيان النعت بالحكم
أبان للقوم أفنان الفنون فما * روض جلا نور منثور ومنتظم
وكم به من عيون راق موردها * رويها بالقوافى رى كل ظمى
اخلاف غيث سماها درصيبها * كم شب منها رضيع غير منفطم
لله در صلاح الدين منشئها * أبكار حسن فما سلمى بذى سلم
لم ينصف ابن الدمامينى حيث أتى * منقصا لعلاه غير محتشم
أحرى به انه يثنى عليه ولم * ينسب فساد الى من للصلاح نمى
ولم يعب فيه احماضا يطيب به * ذوق حلا بعد مر الجد للفهم
سفر يروق لذى الأسفار منزله * وفيه يغنى فقير السمع للنغم
جلت اناطبعه الاسكندرية فى * أيام غيث البرايا منهل الكرم
وثغرها افتر مسرورا بطلعة من * علا على النجم كعبا ثابت القدم
سامى المآثر اسمعيل من طلعت * أقماره فى سماء الفضل والنعم
عز بمصر الذى عزت معالمها * به فأم حماها سادة الأمم
وقد غدت كعبة المعروف كل فتى * يسعى لأبوابها مسعاه للحرم
يمينه بيسار المرتجى ضمنت * كما بعليا ه برت أحرف القسم
به العلوم ازدهت بالطبع وابتسمت * تهدى الثناء بما يحلو بكل فم
من ذاك شرح جلت أحكامه حكما * فرق حاشية للنصف الحكم
فلو رآه صلاح الدين قال وقد * أبان وهو أشم القدر عن شمم
قد رق طبع كتاب ما يؤرخه * بدا الشرحى على لامية العجم

سنة ١٢٩٠ ٨ ٥٤٨ ١١٠ ٤٨١ ١٤٤

وقال حضرة الاديب الكامل والاريب الفاضل الشيخ رمضان حلاوه

روّ الفؤاد بمنهل ومنسجم * وداو كلم الحشا من هذه الكلم

ماهذا فقال كركى يتصفر فسمع المتنبى حكايته فاخذ منها معنى هذا البيت وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل الفهود

تمت الرسالة وشرحها * والدلالة ولمحها * ولا أدعى فيها غير انتخاب الاخبار * واختيار المتمكن من النثار والنثار * فانى أتيت بيوت الاشعار من أبوابها * وميزت أبكار الفكر من أترابها *

واشرح حديث الصبا ياصاحبي فبها * شرح الصدور لما فيه من نعم
واستطرد القول في شأن الحبيب فقد * بان الحبيب ضحى عن باله العلم
وأجل المعاني معاني الحسن تعرب عن * حال المعاني بنصب الشوق والسقم
واذكر لدنيا لغات في الهوى حسنت * مبلغات لحى الالهى الفهم
حليل أيلك من راقت مشاربه * وبحر آدابه فياض كالديم
لله شرح لسامي العلوم على * لامية العجم المرفوعة العلم
مطول أدبا في ضمنه حكم * لاخير في قصر الآداب والحكم
من كل معنى يكاد السحر يعبده * وكل لفظ رقيق الحسن منتظم
يظل يورد انجاثا ويعقبها * وورد الحديث فيروى منه كل ظمى
له رجوع الى انحاف شاردة * على اصالة رأى فيه ملتئم
وقد بدا طبعه زاكي الطباع على * نسيم صفو بطيب الروض مختتم
لما انتهى قلت في التاريخ فاق علا * شرح الصلاح على لامية العجم

سنة ١٢٩٠ ١٠١١٨١ ٥٠٨ ١٦٠ ٨٦١١٠ ١٤٤

وعلى الجملة ففي عواطف من
مرضت عليه هذه النبذة
ما يسد خللي * ويشد أملي
* ويكثر قللي * ويرضي كل
وقت رحلتي الشمالية
يقبولي عطر الله بذكره
المشارق والمغارب * وزين
سماء المدح في مناقبه بزينة
الكواكب ولاخلت أبواب
نعمه وعلمه على كلا الحالين
من طالب * آمين * والحمد
لله رب العالمين

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وعلى آله هداة الانام وأصحابه الائمة الاعلام فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل الراقي من درجات البلاغة أسنى رتبة يشهد سموها كل لوذعي نبيل المشتمل على بديع الرقائق ومحاسن [illegible] المسفر عن وجوه مخدرات القصيدة الموسومة بلامية العجم كل حجاب ونقاب الم [illegible] خفي دقائقها مالا يصل الى الوقوف عليه الا ثاقب الاذهان ولا يهتدي الى ابرازه على هذا الوجه البديع الامن لا يدرك شأوه في مضمار البيان الموسوم طبقا لمعناه بالغيث المسجم في شرح لامية العجم للعلامة الفاضل والهمام الكامل الاستاذ صلاح الدين بن أيبك الصفدي الاديب الشاعر المفلق الاديب رحمه الله وأكرم مثواه مطرزا بطراز الكتاب النفيس المغني الواقف عليه عن المسامر والانيس المسمى شرح العيون لرسالة ابن زيدون للعالم النحرير وعلم الفضل الشهير جمال الدين الاستاذ محمد ابن نباتة المصري تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وكان طبعهما البهي الفائق وتمثيل شكلهما الشهي الرائق

بالمطبعة البهية الازهرية احدى جليل المطابع المصرية السنية المنسوبة للشهم
الهمام الاوحد المقدام السيد محمد رمضان عاملنى الله واياه بالاحسان احد
ذوي ادارتها الامراء الاماثل احدان الفضائل والفواضل ووافقت
نهاية الطبع منتصف رمضان المعظم من عام ألف وثلاثمائة
وخمسة من هجرة النبي الاعظم صلى الله وسلم
عليه وعلى آله وصحبه وعترته وتابعيه
وجميع حزبه
آمين

(فهرسة الجزء الاول من شرح العلامة خليل بن أيبك الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

٢ خطبة الكتاب
٦ ذكر الناظم وتاريخ مولده ووفاته وبعض ما اتفق له
٨ الكلام على الكيمياء
١٣ الكلام على بعض ما يتعلق بفوائد الشعر
١٦ حكاية سواد بن قارب مع رؤيته من الجن
١٩ ايراد أشياء من نظم المصنف
٢٩ الكلام فيما يتعلق بالمتن من العروض والقافية
٣٦ الكلام على قوله اصالة الراى البيت وفيه الكلام على الراى
٣٨ الكلام فيما يتعلق بتطهير الاناء اذا ولغ فيه الكلب
٣٩ الكلام على واو العطف وفيه فوائد منها الكلام على قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى
٤٣ ايراد المشهورين بالراى والدهاء
٤٤ رجوع الملك العادل عن محاربته بواسطة القاضى الفاضل وبلاغته
٤٦ الكلام فى سبب دخول كتب اليونان الى البلاد الاسلامية
٤٦ الكلام على الترجمة
٤٧ مناظرة أبى الحسن الاشعرى لابى على الجبائى وما ينشا كل ذلك
٤٩ الكلام فيما يتعلق بالقضاة والاذكياء
٥١ الكلام على قوله مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع البيت وفيه ايراد مسئلة من باب التنازع
٥٢ ايراد جملة من معانى الكاف
٥٣ سبب تغير الملك الناصر على الوزير القمى
٥٣ الكلام فى دابة تسمى السرفة
٥٤ الكلام على الياقوت وعلى كيفية تكونه
٥٦ الكلام على السمند
٥٧ الكلام فى الافتخار وضده من النظم وغيره
٦٣ الكلام على قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت وفيه الكلام على بغداد وانشائها وما فيها من الاماكن
٦٤ الكلام فى حذف ألف ما الاستفهامية عند دخول حرف جر عليها
٦٥ الكلام فى بعض معانى الباء وفيه الكلام على قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الآية
٦٨ الكلام فى الانتقال من بلد الى بلد لاسباب وفيه ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وما قيل فى ذلك

صحيفة
٧٠ ايراد جملة من التضمين لجير الدين محمد بن تميم وغيره
٧٦ الكلام على قوله ناء عن الاهل البيت وفيه الكلام على الجمع واسم الجمع واسم الجنس
٧٧ نبذ في أعضاء الانسان التي أوّل كل منها حرف الكاف
٧٧ مقاطيع في تشبيه بعض الاعضاء ببعض الحروف
٧٨ الكلام على البرهان اللمي والبرهان الانى
٧٨ الكلام في وقوع اسم الفاعل مبتدأ واعتماده على نفي أو نحوه
٧٩ الكلام في تعدد الخبر
٨١ نبذة في التثنية وفيه ذكر حذف الفاعل لامور
٨١ الكلام في مدح السيف وان عرى عما يحسنه
٨٣ الكلام في ان كل مجتهد مصيب في الفروع لا في الاصول
٨٤ الكلام على قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة
٨٥ تعليل رؤية الاحول الشئ شيئين وما يتعلق بذلك من المقاطيع وغيرها
٨٦ الكلام على كذب الحس وغلطه في بعض الصور وبعض نوادر تتعلق بذلك
٨٨ مقاطيع تتعلق باللباس وبالاغنياء والفقراء
٩٠ الكلام على قوله فلا صديق اليه مشتكى حزن البيت
٩١ الكلام على لا النافية وشروط عملها عمل ان
٩٣ الكلام على عدم الاستغناء عن الصاحب وشبهه وما يتعلق بذلك من المقاطيع
٩٧ جملة من المقاطيع في الكتمان وعدم الشكوى
٩٧ الكلام في ما يتعلق بالانتقال من بلد لاخرى
٩٨ الكلام على قوله طال اغترابي البيت
٩٨ الكلام على حتى ووقوعها في الكلام
١٠٠ الكلام فيما يتعلق بالغربة عن الاوطان من النظم وغيره
١٠٥ الكلام فيما يتعلق بالصوفية
١٠٧ ايراد سؤال من الفقه في قبل وبعد وفيه رسم شجرة لطيفة تتعلق بذلك
١٠٩ ايراد مسئلة عجيبة في بيت يتفرع الى ألوف من الصور في تقديم ألفاظه وتأخيرها
١٠٩ الكلام على قوله وضج من لغب البيت وفيه الكلام على قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب
١١٠ الكلام على المفعول من أجله
١١١ الكلام على الموصول وصلته وبعض نوادر للنحاة
١١١ ما جاء من الانتقاد على بيت الناظم وغيره وبعض نوادر تتعلق بذلك
١١٧ ذكر من رزقوا السعادة في أشياء فاقوا فيها غيرهم
١١٨ الكلام في الفأل والحية نظما ونثرا وبعض نوادر تتعلق بذلك

صحيفة

١٢١ الكلام فى حسن الخلاص
١٢٤ الكلام فى رد الاعجاز على الصدور من النظم وغيره
١٢٤ ايراد بعض نوادر من غلب عليه فنه
١٢٥ الكلام على قطر الدائرة والخط المستقيم والزاوية وشكل ذلك
١٢٦ رجوع الى من غلب عليه فنه وذكر حكايات تتعلق بذلك
١٢٩ الكلام على قوله أريد بسطة كف البيت والكلام على أحرف المضارعة وعلى تعليل اعراب الفعل المضارع
١٣١ مناظرة الجاحظ ليوحنا بن ماسويه فى الجمع بين السمك واللبن
١٣٢ الكلام على معانى اللام
١٣٣ الكلام على قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم الآية
١٣٤ الكلام فيما يتعلق بالفقر والغنى
١٣٥ ايراد ما وقع للأمير بدر الدين بيليك الخازندار وبائعه وأمثال ذلك
١٣٧ الكلام فى حب المال وطلب انفاقه والمواساة به وايراد جملة مقاطيع فى ذلك
١٤٠ الكلام على قوله والدهر يعكس آمالى البيت
١٤١ ايراد لعبد القاهر الجرجانى فى اعراب خلق الله العالم وجوابه
١٤٢ الكلام فيما يتعلق بالامانى والامل من النظم وغيره
١٤٥ الكلام فى كيفية حركة الافلاك وفيما يراه الانسان فى المنام من طيف الخيال وغيره وما يتعلق بذلك من الابيات
١٤٩ الكلام على رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وفيما يأمر به منامًا
١٥١ الكلام على كيفية القوة المخيلة فى النوم وحديث الرؤيا الصالحة
١٥٢ الكلام فيما يتعلق بالخيال من النظم وغيره
١٥٢ الكلام فى الحجر حال صعوده فى الهواء وهبوطه
١٥٣ مسئلة فرضية فيها اثبات الجوهر الفرد ونبذة تتعلق بجبن أبى دلامة
١٥٤ الكلام على قوله وذى شطاط البيت وفيه الكلام على رب وسد خولها
١٥٧ الكلام فى الالتفات وأقسامه
١٥٨ نبذة فى حسن الايجاز فى قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك الآية
١٦٠ نبذة فى القول بالموجب وايراد شئ من محاسنه نظمًا وغيره
١٦٤ الكلام على قوله حلو الشمائل البيت وفيه الكلام فى الطعوم التسعة
١٦٥ الكلام فى الاضافة اللفظية والمعنوية
١٦٦ الكلام فى مباسطة النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ومزاحته معهم
١٦٨ نبذة تتعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم
١٦٨ نبذة تتعلق بمدح سيدنا على رضى الله عنه
١٦٩ الكلام فى المركب المعتدل وما يليه مقاطيع فى الاوصاف المحمودة

صحيفة

١٧٠ ايراد جملة مقاطيع فى الشبابة
١٧٢ ايراد جملة من حسن المقابلة
١٧٤ نادرة السراج الوراق وأبى الحسين الجزار فى الاجازة
١٧٥ مقاطيع تتعلق بالحصر والردف
١٧٦ الكلام على قوله طردت سرح الكرى البيت
١٧٧ ذكر بعض المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا
١٧٨ الانتقاد على المصنف فى منعه رفيقه عن النوم وفيه الكلام على حسن الاستعارة وما ورد فى ذلك من النكات الأدبية والمقاطيع الشعرية
١٨٥ الكلام على قوله والركب ميل البيت وفيه الكلام فيما لا ينصرف
١٨٧ نبذة من المقاطيع فى المطايا وحالها وحال راكبها
١٨٨ نبذة فيما يتعلق بالجمع مع التقسيم
١٩٠ الكلام فيما وقع للافشين عند خروجه على المعتصم وفيه ايراد نادرة عن بعض القسقة وأخرى تدل على شرف همة المعتصم
١٩٢ الكلام على قوله فقلت أدعوك للعلى البيت وفيه ذكر الخلاف بين الامام أبى حنيفة والشافعى فى القرء وايراد حجج كل وغير ذلك
١٩٦ الكلام على ما يتعلق بفاء التعقيب وذكر ما يناسب ذلك من النظم وغيره وفيه نبذة فيما يتعلق بالحمل ووضعه
١٩٨ الكلام فى الضمائر وفى قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم الآية
٢٠٠ ايراد شئ مما يتعلق بحسن الظن وتحقيق الأمل وذكر الخطأ فيما يؤمل من الاخوان ومن النظم وغيره
٢٠٣ نادرة لابن الشيرجى من التلعفرى وما يتعلق بالاصفع من النظم وغيره
٢٠٥ الكلام على قوله تنام عنى البيت
٢٠٨ ايراد جملة مقاطيع فى السهد وفيه نادرة أبى أيوب وزير المنصور
٢١٠ الكلام فيما يتعلق بالسماء والنجوم وغير ذلك
٢١٣ الكلام على قوله فهل تعين على غى هممت به البيت وفيه الكلام على همزة الاستفهام وعلى هل .
٢١٢ الكلام فى معانى على
٢١٣ الكلام فى اعانة الصاحب
٢١٤ ايراد مقاطيع فى تهوين الخطوب فى الوصال وايراد بعض مغالطات من علم المنطق
٢١٥ الكلام على قوله انى أريد طروق الحى البيت
٢١٦ الكلام فى ان وأخواتها ومواضع كسرها وفتحها
٢١٨ ايراد بعض ما يتعلق بالصرف من المقاطيع وغيرها

صحيفة

٢١٩ الكلام فى قدوم الرجل من السفر وفى منعه من طروق أهله ليلا وفى استهال الاخطار عند زيارة الاحباب
٢٢٠ الكلام على قوله يحسمون بالبيض والسمر البيت وفيه الكلام على واو العطف وآية الوضوء
٢٢٤ ايراد جملة من المقاطيع فى الرماح المنصوبة حول منازل الاحبة
٢٢٦ ايراد جملة من محاسن التدبيج
٢٢٦ الكلام على قوله فسريناه فى ظلام الليل البيت
٢٢٦ الكلام فى انقسام الامر الى قسمين لغوى وصناعى وفى معانى الى
٢٢٨ نادرة النميرى مع الحجاج ونادرة المطرزى مع الشريف المرتضى
٢٢٩ جملة مقاطيع فى الاستدلال بالطيف على منازل الاحباب
٢٣١ الكلام على قوله فالحب حيث العدى والاسد رابضة البيت
٢٣٢ الكلام فى مسوغات الابتداء بالنكرة
٢٣٣ الكلام فى احتجاب الحبيب وصيانته
٢٣٣ جملة من النظم وغيره تتعلق بعدم الغيرة والقيادة وما أشبه ذلك من الجنون
٢٣٥ نبذة فيما يتعلق بالرقيب
٢٤٠ الكلام على قوله نؤوم ناشئة بالجزع البيت وفيه الكلام على قد
٢٤٠ الكلام فيما يتعلق بقوله تعالى يسجد له فيها بالغدو والآصال رجال الآية وفى آية الرؤية والرد على المعتزلة
٢٤٣ نبذة فيما يتعلق بالكحل وغيره من المقاطيع وغيرها
٢٤٦ الكلام على قوله قد زادنى طيب أحاديث الكرام بها البيت
٢٤٧ الكلام على ما وانها تأتى لمعان شتى وذكر أمثلة لذلك
٢٤٩ الكلام فى مدح الجبن والبخل فى النساء وما فى ذلك من النظم وغيره
٢٥٠ الكلام على قوله تبيت نار الهوى البيت وعلى أقسام النار وما فى ذلك من النظم وغيره
٢٥٨ الكلام على قوله يقتلن انضا حب البيت وفيه الكلام على الحب واقسامه والعشق والاعداد المتحابة
٢٦٢ الكلام على اداة التعريف وما يتعلق بها
٢٦٣ الكلام فى الضيف وما يتعلق بمراعاة حقه وغير ذلك
٢٦٦ الكلام على قوله يشق لديغ العوالى البيت
٢٦٦ الكلام فى بعض ألفاظ صارت بين الشعراء حقيقة عرفية وان كانت فى الاصل مجازا وبعض مقاطيع تتعلق بذلك
٢٦٩ الكلام فى النهى عن الخمر والميسر وتشبيه الريق بالخمر وغيره

(تمت فهرست الجزء الاول ويليه الجزء الثانى اوله الكلام على قول المصنف)

(فهرست الجزء الاول تأليف سرح العيون شرح رسالة بن زيدون وهذا الشرح المذكور قد وضعها مشاعلى شرح لامية العجم)

صحيفة		صحيفة	
٢	خطبة الكتاب	١٢٥	ترجمة سليك ابن السلكة
٥	ذكر منشئ هذه الرسالة	١٣٠	ترجمة ملاعب الاسنة
١٠	ذكر سبب انشاء هذه الرسالة	١٣٥	ترجمة قيس بن زهير
١٣	ذكر الرسالة وشرحها	١٤٣	ترجمة اياس بن معاوية
٢١	أكثم بن صيفي	١٤٨	ترجمة سحبان الوائلي
٢٧	ترجمة المتنبي	١٥٠	ترجمة عمرو بن الاهتم
٤١	ترجمة يوسف عليه السلام	١٥٤	مطلب الصلح بين بكر وتغلب
٤٢	ترجمة زليخا امرأة العزيز	١٥٧	مطلب حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان
٤٢	ترجمة قارون	١٦٦	مطلب منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل الى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري
٤٦	ترجمة النطف	١٧٥	ترجمة الحجاج الثقفي
٤٨	ترجمة كسرى أنوشروان	١٩٤	ترجمة قتيبة بن مسلم الباهلي
٥٥	ترجمة قيصر ملك الروم	٢٠٤	ترجمة المهلب بن أبي صفرة
٥٧	ترجمة الاسكندر	٢٠٨	مطلب الكلام على الازارقة
٥٨	ترجمة دارا ملك الفرس	٢١٧	ترجمة هرمس وبليناوس
٦٩	ترجمة اردشير	٢٢١	ترجمة افلاطون
٧٢	ترجمة الضحاك	٢٢١	ترجمة ارسطاطاليس
٧٦	ترجمة جذيمة الابرش	٢٢٧	ترجمة بطليوس صاحب كتاب المجسطي
٨٠	ترجمة شيرين	٢٣٠	ترجمة بقراط او ابقراط
٨٢	ترجمة بلقيس	٢٣٣	ترجمة جالينوس
٨٢	ترجمة الزباء	٢٣٨	ترجمة أبي معشر
٨٥	ترجمة مالك بن نويرة	٢٤١	جابر بن حيان
٩٠	ترجمة عروة بن جعفر الرحال	٢٤٣	ترجمة النظام
٩٢	ترجمة كليب بن ربيعة	٢٤٨	ترجمة الكندي
٩٢	ترجمة جساس	٢٥٦	ترجمة عبد الحميد
٩٥	ترجمة مهلهل	٢٦١	ترجمة سهل بن هرون
١٠٢	ترجمة السموأل	٢٦٢	ترجمة الجاحظ
١٠٨	ترجمة الاحنف بن قيس		
١١٣	ترجمة حاتم الطائي		
١١٩	ترجمة زيد ابن مهلهل		

(تمت فهرست الجزء الاول ويليه الجزء الثاني واوله ترجمة الامام مالك)